البرتغاليون في بحر عُمان

أَحداث في حوليات

من ١٤٩٧م إلى ١٧٥٧م

المجلد الثامن

الدكتور سلطان بن محمد القاسمي

منشورات القاسمي

البرتغاليون في بحر عُمان

أَحداث في حوليّات

من ١٤٩٧م إلى ١٧٥٧م

البرتغاليون في بحر عُمان

أَحداث في حوليّات

من ١٤٩٧م إلى ١٧٥٧م

المجلد الثامن

الدكتور سلطان بن محمد القاسمي

منشورات القاسمي

اسم الكتاب :
البرتغاليون في بحر عُمان ، أحداث في حوليات ، من ١٤٩٧م إلى ١٧٥٧م ، المجلد الثامن .
الدكتور سلطان بن محمد القاسمي (الإمارات) .
....
اسم الناشر : منشورات القاسمي ، الشارقة ، الإمارات العربية المتحدة .
سنة الطبع : ١٤٤٦هـ - ٢٠٢٥م
© حقوق الطبع والنشر محفوظة

التوزيع : منشورات القاسمي
ص . ب : ٦٤٠٠٩ الشارقة ، دولة الإمارات العربية المتحدة
هاتف : ٠٠٩٧١٦٥٠٩٠٠٠٠ — براق : ٠٠٩٧١٦٥٥٢٠٠٧٠
البريد الإلكتروني : Info@aqp .ae
....
الفهرسة الوصفية أثناء النشر :
مكتبة الشارقة العامة ، هيئة الشارقة للكتاب ، الشارقة ، الإمارات العربية المتحدة :
٩٥٣،٠٧٥٣
ق س . ب
القاسمي ، سلطان بن محمد بن صقر ، حاكم الشارقة ، ١٩٣٩م- البرتغاليون في بحر عُمان : أحداث في حوليات ١٤٩٧م — ١٧٥٧م / سلطان بن محمد القاسمي . - الشارقة ، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي ، ٢٠٢٥م .
٢١ مج . ؛ ص : ٤٦٢ ؛ ١٥,٥ X ٢٣,٥ سم .
يشتمل على هوامش .
تدمك : ٣-٩٦-٧٢١-٩٩٤٨-٩٧٨
١- عُمان (السلطنة) — تاريخ — العصر الحديث — الاحتلال البرتغالي ٢ - عُمان (السلطنة) — تاريخ — عصر اليعاربة ٣ — دول الخليج العربي — تاريخ — الاحتلال البرتغالي أ — العنوان
....
الترقيم الدولي : ٣-٩٦-٧٢١-٩٩٤٨-٩٧٨
إذن طباعة رقم MC-٠٣-٠١-٤٩٣١٦٥٨ بتاريخ ٢٠٢٥/٠٢/١٨م ،
مكتب تنظيم الإعلام ، وزارة الثقافة والشباب ، الإمارات العربية المتحدة
الطباعة : AL Bony Printing Press — Sharjah، UAE
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"

المحتويات

مقدمة المجلد الثامن ٧

- أحداث عام ١٥٤٧م ٩
- أحداث عام ١٥٤٨م ٢٣٧

دليل الباحثين **٤٣١**

هوامش المجلد الثامن **٤٥٥**

مقدمة المجلد الثامن

يضم هذا المجلد بين دفتيه ، أحداث عامين ، وهما العام ١٥٤٧م والعام ١٥٤٨م ، جرت بهما أحداث كثيرة أهمها احتلال الأتراك للبصرة ، وما جرى بعد ذلك ، حيث كان حاكم الهند في حيرة من أمره أيسمح بالاتصال بين هرمز والبصرة أم المقاطعة ، واستشار المسؤولين البرتغاليين فمنهم من هو مؤيد ، ومنهم الرافض ، وبقيت بدون قرار .

على الجهة الأخرى من شبه الجزيرة العربية ازداد النشاط التركي ما بين ظفار وقشن وبلاد الشحر ، أما عدن فقد شهدت احتلال العرب للمدينة ، وتم طرد الأتراك منها .

يلي الأحداث في عدن ، أن البرتغاليين يعدون أسطولاً لاحتلال عدن ، بينما الأتراك قد قاموا باحتلال عدن قبل ستة أيام من قرار ترتيب الأسطول البرتغالي .

الدكتور سلطان بن محمد القاسمي

أحداث عام ١٥٤٧م

بعث ملك "قشن" هديّة إلى الحاكم ، بتاريخ الرابع عشر من شهر يناير ، عام ١٥٤٧م : [١]

لقد استلَم السيّد "جوميز سيراو" "Gomez Cerao" ، أمين الخزينة في مدينة "غوا" "Goa" ماركاً واحداً ، وأوقيتين ، وثلاثة أثمان من الكهرمان في قطعتين من سعادة الحاكم "دوم جـواو دي كاسـترو" "D . Joao de Castro" ، وكان "سيماو نويلهو" "Simao Nouelho" قد جلبَها من "ديو" (.......) وقد أرسلَت إلى سعادة الحاكم كهديّة من ملك "قشن" ، تمّ تسجيل كمّيّة هذا العنبر -الكهرمان- بواسطة شخصي بموجب وصْل استلمتُه من الخزينة تحت الرقم ٢٢٨ .

تم تحرير هذا بواسطة "مانويل فالكاو" "Manuel Falcao" الكاتب

(١) رقم الوثيقة والهامش.

في هيئة الخزينة ، ولقد قام كل منّا بالتوقيع عليه في يوم إرساله من "مانويل فالكاو" .

"مانويل فالكاو "

"جوميز سيراو"

وفي العام نفسه (١٥٤٧م)

أرسلت هديّة من ملك هرمز إلى الحاكم في "ديو" "Diu" ، "ديو" ، بتاريخ السادس عشر من شهر يناير ، عام ١٥٤٧م : (٢)

لقد استلم "أنطونيو جيل" "Antonio Jill" الوكيل التجاري في محطّة "ديو" التجارية ثمانية وأربعين (.......) من السُّكّر ، من السيّد "أنطونيو بيساو" "Antonio Bissao" ، بالإضافة إلى ثمانية عشر (....... ...) من المعلّبات والمأكولات المحفوظة ، وجرّة صغيرة من السفرجل ، وثماني جرار أخرى من الفواكه المجفَّفة ، وجرّتَين من الزبيب ، وجرّة من الخوخ ، واثنتين من لب الأناناس ، وثلاث من اللّوز .

إذ يرسل جلالة ملك هرمز هذه الأغراض ؛ فإنّه يهيدها إلى سعادة الحاكم في "ديو" ، ولقد صدر أمرُه بتسليمها إلى الوكيل التجاري ، وبالفعل سلِّمت له ، وتم إدراجها حيث سلِّمت لي بواسطة "بيرو فيريرا" .

الكاتب في هذه المحطّة وفْق شهادة تفيد أنّ هذه الوثيقة قد حُرِّرت

(٢) رقم الوثيقة والهامش.

له ، ولقـد وقّع كل منّا عليهما في "ديو" بتاريخ السابع عشر من شهر يناير ، عام ١٥٤٧م .

"بيرو فيريرا" "Pero Ferreira"

"أنطونيو غونسالفيس" "Antonio Goncalves"

وفي العام نفسه (١٥٤٧م)

بعـــث "باستيـــاو لوبير لوباتو" "Bastiao Lopez Lobato" الوكيـــل التجـــاري فـي هرمـز ، رسالـة إلـى سعادة الحاكـم "دوم جواو دي كاسترو" "D . Joao de Castro" ، هرمز الثالث من شهر فبراير ، عام ١٥٤٧م ، يذكر فيها احتلال الأتراك للبصرة : (٣)

سيدي اللّورد :

في اليوم الثاني والعشرين من شهر فبراير وصَل في هذه المدينة "أنطونيو رودريغيز" "Antonio Roderigues" ، وكان من الممكن أن يرجع حالاً لو كانت ظروف الطّقس تسمح بذلك ، ولقد بدا مليئاً بالحماس بشأن العمل في خدمة سموّكم ، بحيث إنه يعتبر الأيّام التي قضاها هُنا في هذه البلاد مضيعة للوقت ، لقد جاء مؤخراً خلال موْسم

(٣) رقم الوثيقة والهامش.

الشتاء الذي بدأ قاسياً هُنا هذا العام ، ومع ذلك لم أتمكَّن من أن أرتِّب له الأمور كما ينبغي وبالسرعة المطلوبة .

سيدي ، بالنسبة لشحنة الأسماك التي أمر سموّكم بأن نرسلها له - حقيقةً - لا تتوفَّر هنا في هذه البلاد ، وهي عادة ما تُجلب من أماكن أخرى وفي أوقات متباينة وتستغرق عدّة أيام حتى تصل إلى هنا ، غير أنني بذلت قصارى جهدي ، وسوف يبلغك "أنطونيو رودريغيز" بذلك .

سيدي ، سعدت كثيراً عندما علمت بأن سعادتكم بخير وتتمتع بصحّة جيّدة ، ولا أعتقد أن هناك من هو أكثر سعادة منّي ؛ لأنني إلى جانب إحساسي بأن الفضل في سعادتي هو كرمكم ولطفكم وتمتعكم بأجمل الصفات العظيمة التي لم تضعني في موضع المكلَّف والملزم ، إلا أن ذلك يدفعني - حقيقةً - لأن أكون الملزم من تلقاء نفسي لتنفيذ جميع أوامركم .

خِصالكم سيدي عظيمة ونفْسكم مليئة كرماً وإحساناً ، ولعمري أن من ينكر هذا فهو مريض قلباً وقالباً وفاسد كياناً ونشأةً ، إن مولاي صاحب السموّ ما أقدم على توظيفك إلا لقناعةٍ بحسن خُلقك ، بل حتى أعداؤك وخصومك على عِلم تامّ بأصالة معدنك والقيم الجميلة المتأصلة في نفْسك .

لقد كتبت لي سيدي إنه ما يزال يعاني صعوبات جمّة في بناء هذه القلعة ، وكم نحن محظوظون بأن يكون إنقاذنا من تلك الصعوبات على يد سعادتكم ، حيث تعهّدت بأن تحمل عنّا تلك الصعوبات بنفسك .

حقيقةً فأنت محظوظ سيدي بعدما نلت على أيدي صاحب السموّ

تلك الأفضال والامتيازات ؛ تقديراً منه لشخصك ولما قمت به من أعمال في خدمته وجهودك الصادقة في إنقاذ الفئات المسيحيّة ، بعد تدخُّله القويّ كي يضمن ويوفر لهم الحماية من خلال إدارة سعادتكم في تلك المناطق ، وبالتالي يترتَّب عليك أن تساعدهم في كل ما يخصُّهم .

لقد سبَق أن كتبت إلى سيادتكم بوساطة أخرى من خلال خادمكم "بدرو كورديرو" "Pedro Cordeiro" ، وأعتقد أن تلك هي المرة الأخيرة التي قدَّمت لسعادتكم تقريراً مفصَّلاً عن موضوع استيلاء الأتراك على البصرة .

بعد مرور أيام قليلة أرسَل الأتراك خطاباً يعربون فيه عن حُسن نواياهم تجاه قائد هذه القلعة ، ولقد أرسلت لسعادتكم نسخة منه ، ومنذ أن استولى أولئك القوم على البصرة بقيتُ أسمع أخباراً بأنهم أرسلوا سفيراً أو زائراً لهذه القلعة ، وحتى اليوم لم يحضر أو يأتي أي مبعوث هامّ ، ويقال إن هناك حوالي سبعمائة أو ثمانمائة من الرجال في البصرة وإنهم يتعاملون مع السكان هناك بالكثير من التسامح والوُدّ .

سيدي ، لقد ظلَّت الأوضاع في هذه المملكة وفي "لار" "Lar" ، كما هي لم يحدث أي تغيير يذكر ، ومنذ أن وصلت إحدى قوافل الجمال في هذه المدينة عبر "لار" في سبتمبر وما بعده لم يعقبها وصول أي قافلة أخرى من هناك .

أمّا السلطات الحكومية في هذه البلاد ، فهي ليست كافية بحيث يمكنها تحصيل الرسوم الجمركية كما ينبغي ؛ لأنه بالإضافة إلى القصور الشديد والنقص في القوات إلا أن هذه الفئة القليلة تهتم فقط بشؤونها الخاصّة بها .

سيدي ، لقد عملت على ترتيب الأوضاع ، وعملت وبصعوبة بالغة في المراسلات ؛ نظراً لضيق وقتي لأن أحد الكتبة قد توفي ، أما الآخر فهو كسول لا يأتي بعمل يذكر .

لو توفر لدى الوقت وأمكنني إيجاد سفينة ما لأبحرت فوراً لمقابلة سعادتكم ، وسوف أقبِّل الأرض والمكان الذي نشأ فيه سعادتكم فكبر فيه مقامكم وعظم فيه قدركم ؛ فمن خلال أيدي سعادتكم البيضاء المعطاءة سيكون خلاصنا ، سيدي إنه ليشرِّفني أن أنفِّذ كل ما تأمرني به .

سيدي ، إنه لشرف عظيم لي أن أتلقى رسائلكم التي تُتَلقى بشؤونكم ، وحقيقة إنني لا أستحق هذا الكرم العظيم والأفضال والرعاية التي يحيطني بها سعادتكم ، وهذا ما يملأ نفسي فخراً واحتراماً لكم .

في هذه المناسبة يقول سعادتكم أن "أنطونيو رودريغيز" يبدو رجلاً مناسباً ، وكما يرى سعادتكم فهو شخص مواظب ودؤوب ، مجتهد في عمله بكل تفانٍ وإخلاص ، وهو الشخص المناسب للمكان المناسب ، وبوسعك أن تستخدمه متى ما أردت وأين تريد ، وبوسعك أن تزرع في نفسه الشرف وتمنحه الامتياز الذي يستحقه ؛ لأن الرجال يمكن وصفهم بالإجراء وفي مقدور الأمراء والنبلاء أن يجعلوا منهم أوعية كبيرة ومتميزة ، وإذا حدث أن أتى "أنطونيو رودريغيز" بشيء من المؤن والإمدادات فإن هذا يُعزى لعدم توفر سفينة كبيرة يمكنه أن يبحر فيها قبل هذه .

لقد صمّمت على أرسال المزيد من الأسماك إذا ما تمكَّن سعادتكم من إيجاد سفينة ؛ ففي الوقت الراهن لا أجد السفينة المناسبة كي أستغلَّها لهذا الغرض .

سيدي ، إنني أتوسل للرَّبِّ أن يمنحك طول العمر ويمتعك بالصحّة وينصرك على خصومك وأعدائك ، وأتمنى أن يرى أعمال "دوم ألفارو" فينعِم عليه بالمزيد من التشريف والفخر والازدهار في بلاده .

تم تحريره في هرمز ، الثالث من شهر يناير ، عام ١٥٤٧م

"باسياو لوبير لوباتو" .

وفي العام نفسه (١٥٤٧م)
صدرت الامتيازات الّتي منحَت للسيّد "د . مانويل دي ليما" "Manuel de Lima" ، عندما ذهب كي يتولّى قبطانية هرمز ، بتاريخ شهر فبراير ، عام ١٥٤٧م : [٤]

تمّ إعطاؤه صلاحية إرسال سفينة إلى البنغال في واحدة من سنوات حكمه (...) الحضور إلى مدينة "غوا" ؛ لدفع الرّسوم - وهذه لأنّه أرسل مرّتين بالأسطول إلى خليج "كامباي" (...) السّماح له بإرسال سفينة سنويّاً تحمل عشرين خيلاً - السّماح له بإرسال سفينة إلى "ملقا" سنويّاً لنقل تجارته - السّماح له بالحضور إلى "غوا" ؛ لدفع الرّسوم الجمركيّة ، السّماح له بجلب اثنين "بهارس" من الختّام ، وشمع من البنغال في السّفينة التي سوف يرسلها إلى هناك ويأخذها إلى هرمز .

منحُه معاش عام كامل مقدّماً ، أيضاً السّماح له بإحضار عشرين "بهارس" من الختّام في كلّ عام ، إضافة للعشرين المذكورة سابقاً ،

(٤) رقم الوثيقة والهامش.

السّماح له بإرسال عشرين خيلاً إلى "شول" "Chaul" في كلّ عام من أعوام حكمه بالإضافة إلى عشرة خيول أخرى . السّماح له بالبناء في أرض "بيسين" "Bassin" ، بنـاء سفينة مسمّرة بحمولة أربعمائة كانديس - صدر الأمر إلى الوكيل التّجاري في هرمز ؛ كي يتحمّل جميع النّفقات الضّروريّة وقت الحرب ، الإذْن له بأن يكون لديه مجموعة من الجنود المشاة وخلافه ممّا كان لدى القباطنة السّابقين .

التّرخيص له بالتّعيين في جميع الوظائف الشّاغرة في القلعة ، بإمكانه إصدار الأمر كي يعطي نفقات إسكان جميع أقربائه وكذلك الخدم العاملين معه ، ومعاشاتهم ، ومؤنهم الغذائيّة ، ومساكنهم ، ويجب أن تؤخذ إحدى سُفنه للتّقييم .

وفي العام نفسه (١٥٤٧م)

بعث "رافائيل لوبو" "Raffeal Lopo" رسالة إلـى نائب الملك من "غوا" ، في يوم الثاني من شهر مارس ، عام ١٥٤٧م ، يشرح له الوضع في البصرة بعد احتلالها من قبل الأتراك : (٥)

سيّدي ، في رأيي أنّنا لا يجب أن نسمح بحركة النّقل البحريّ التّجاريّ إلى البصرة طالما كان الأتراك هناك ، لأنّ هذه السُّفن إذا وصلت إليهم فإنّها سوف تساعدهم على البقاء في المدينة ، فهم ليس لديهم أيّ دخل آخر غير الّذي يأتيهم من الميناء ، كما أنّ المدينة تعاني من نقص في الطّعام ، ومعظم الموادّ الغذائيّة تأتيها عن طريق البحر ، وإن كان بعضها من "الجزائر" ومن بلاد فارس ، ولكن هذه الموادّ الغذائيّة ستنقطع أيضاً إذا رأى أهالي هذه المناطق أنّنا لا نريد مصادقة الأتراك .

علاوة على ذلك ، فإنّ السّفن الّتي ستذهب إلى هناك ستحمل إليهم اللّيف الهندي ، والأخشاب ، والحديد والصلب ، وكلّها موادّ لا

(٥) رقم الوثيقة والهامش.

تَكاد تتوفّر لهم ، وهم في أمسّ الحاجة إليها ، ومع أنّنا نحرص حرصاً شديداً على هذه السّلع ، إلّا أنّ الأتراك لا يعدمون الوسيلة للحصول عليها ، ولكن مع منع النّقل البحريّ التّجاريّ ستقلّ كثيراً الموادّ الّتي يستطيعون الحصول عليها .

إنّ مولانا الملك لن يخسر شيئاً بسبب منْع السُّفن من الإبحار إلى هناك ؛ لأنّه لا يحصل على أيّ دخل من البصرة إلّا من تجارة الخيول ، وإذا لم تأت خيول الجزيرة العربيّة عن طريق البصرة ، فإنّها سوف تأتي عن طريق "القطيف" أو "قلهات" ، كما اعتادَ التّجّار أن يأتوا بها من قبل ، وكما يفعلون حتّى الآن .

أمّا الخيول الّتي تأتي من بلاد فارس فإنّها يمكن أن تأتي عن طريق "بوشهر" وميناء هرمز .

إضافة إلى ذلك ، فإنّ الأتراك لن يستطيعوا إعالة أنفسهم في البصرة إذا منعنا النّقل البحريّ عنهم ، وبالتّالي فإنّ بغداد والمناطق الأخرى الّتي يقيم فيها الأتراك سوف تتكبّد خسائر جسيمة .

لقد سمعت وعلمت بكلّ هذا من عدد كبير من الأشخاص ، ومن المسلمين وأهالي البصرة ، وغيرهم من المقيمين في المناطق المجاورة عندما كنت كبير القادة في هرمز .

تمّت كتابة الرّسالة اليوم الثّاني من شهر ديسمبر ، عام ١٥٤٧م

"رفائيل لوبو"

وفي العام نفسه (١٥٤٧م)

بعث الملك رسالة إلـى "د . جواو دي كاسترو" ، "الميريم" "Almereim" في يوم التّاسع والعشرين من شهر مارس ، عام ١٥٤٧م ، وفيها معلومات مغلوطة عن الوضع في البصرة : (٦)

رسالة من الملك أرسلها إلى "جواو دي كاسترو"

فيها يحثّه بشدّة على أن يرسل إليه معلومات عن الأحداث وأعمال التشويش التي أثّرت على المسلمين والهندوس في ولايات الهند ، وأيضـاً يأمره بعدم تغيير العقود والمناصب التي في حوزة هؤلاء المسلمين ، ويوصيه بأن يقدِّم له تقريراً مفصَّلاً عن كلّ شيء هناك .

"الميريم" في يوم التّاسع والعشرين من شهر مارس ، عام ١٥٤٧م .

الصديق "د . جوا ودي كاسترو" ، أنا الملك ابعث إليك بتحيّاتي .

بعد مغادرة سفن أسطول هذا العام ، عرفت من رسالة كُتبت في

---

(٦) رقم الوثيقة والهامش.

"البندقيّة" في اليوم العاشر من هذا الشّهر أن سفير فرنسا في "البندقيّة" ، كان قد استلم عدّة رسائل من سكرتير سفير آخر من سفراء الملك في بلاط الأتراك ، وكانت هذه الرّسائل كتبت بتاريخ الثّاني من شهر فبراير الماضي ، وقد أخبره السّكرتير في هذه الرّسائل أنّ قادة الأتراك قد استولوا على البصرة بقوّة السّلاح .

كانت هذه المعلومات الاستخباراتيّة قد وصلت إلى أحَد اليهود الذين يعيشون في "البندقيّة" من خلال رسائل كتَبها في نفْس الوقت مراسلوه في "القسطنطينية" .

تقول معلومات إضافيّة في تلك الرسائل إنّ ثلاثة آلاف هنديّ وخمسمائة برتغاليّ ذهبوا للمساعدة في الدّفاع عن البصرة فُقدوا وقتلوا ، ويوجد أعداد غفيرة من الجنود الأتراك في البصرة ، لأن السّلطان التّركي كان يقوم ببناء قاعدة عسكريّة للأتراك هناك لكي ينطلقوا منها للهجوم على الهند (...)

هذا ما كان ينوي أيضاً أن يفعله باستخدام أسطول آخر كان مرابطاً في قناة السويس (...) وهذا الأسطول الذي كانت تجري عمليّات إصلاحه وإعادة تجهيزه ، والّتي يقوم بالإشراف عليها أصدقاؤه الأتراك الذين جاءوا من القاهرة لهذا الهدف .

رغم أن هذه المعلومات الاستخباراتيّة ، بالأسلوب الذي كُتبت به وبالطُّرق التي وصلت بها ، قد لا تكون لها مصداقيّة كبيرة ، فإنّك تستطيع أن تكتشف بطريقة أكثر مصداقيّة ماذا حدث بالضبط؟ وما إذا كان له أهمّيّة كبيرة أم لا .

إنّ من المهمّ جدّاً أن أخبرك بالمعلومات التي أعرفها من هنا ؛ لأن آخر سفينتَين غادرتا "البرتغال" منذ يومَين فقط ، فإنّه بدا لي أنّه ممّا يخدم مصالحي أن أرسل وراءهما سفينة صيد سريعة بهذه الرّسالة ، حتّى إذا لحقت بهما أو بإحداهما يمكن أن تسلم الرّسالة لأحد قادة هذه السُّفن ؛ لكي يسلّمها بمجرد وصول السُّفن .

بالنّسبة للظّروف الحالية ، لا الوقت ولا عدم التّأكّد من هذه المعلومات الاستخباراتيّة يجعل من الممكن أن نفعل أكثر من أن نرسل إليك هذه الأخبار ، ونخبرك كيف ومتى وصلتْنا .

تعرف أنت جيّداً مدى أهمّيّة هذا الأمر ، ولا أحسب أنّه من الضّروريّ أن أوضّح لك هذا ، لأنّك تستطيع أن ترى بنفسك كلّ شيء ، ولا شكّ أنّك تدرك تمام الإدراك إلى أيّ حدٍّ يمكن أن يؤثّر هذا على مصالحي وعلى الأمن والدّفاع في تلك الأطراف .

إذا جاءتنا نفْس هذه المعلومات الاستخباراتيّة من مصادر أخرى ، وندعو الله ألّا يحدث هذا في سبتمبر (...) فسوف أكتب إليك مرّة ثانية ، وسأتّخذ الإجراءات المناسبة الّتي تتّفق مع ما يبدو أنّه يعود بالمنفعة علينا ، وطبقاً للظّروف التي سيحدّدها الوقت وطريقة وصول هذه المعلومات الاستخباراتيّة إلينا .

أمّا في الوقت الحاضر فليس لدينا ما نقوله أكثر من ذلك حول هذا الموضوع ، وليس لديك أيّ شيء آخر تحتاج أن تفعله أكثر من متابعة هذا الموضوع .

كتب هذه الرسالة "أنطونيو دي فيراز" "Antonio de Viraz" في "الميريم" .

في يوم التّاسع والعشرين من شهر مارس ، عام ١٥٤٧م .

رغم أنّني طلبت منك عدم إرسال أيّ سفينة من هناك ، على العادة المتّبعة ، فسوف يظلّ الأمر كما هو عليه ، ولكن إذا حدث شيء مشابه لهذه الظّروف ، فلن تعجز عن إرسال سفينة تحمل إليَّ آخر المعلومات عن صورة الموقف حوْلكم .

أحثّك بشكل خاصّ على أن تراعيَ وتلتزم بما تمّ الاتفاق عليه مع ملك هرمز ، وخاصّة بشأن التعيينات العسكريّة والأمور الأخرى (...) ويكون الالتزام كاملاً طِبقاً لما اتّفقنا عليه شكلاً ومضموناً ، ورَغم الشّروط الّتي أصدرتها فيما يخصّ هذه التّعيينات العسكريّة التي سوف تسلّم إليكم هناك .

الملك .

"د . جواو دي كاسترو" .

وفي العام نفسه (١٥٤٧م)

بعث "لويس فالكاو" "Luis Falcao" رسالة إلـى ملك البصرة ، عن الأتراك ، بتاريخ عام ١٥٤٧م ، وقد استلم رسالة رياض باشا المرسلة لعلي بن عليان شيخ الجزائر : (٧)

نسخة طِبق الأصل من خطاب كتبه "لويز فالكاو" إلى ملك البصرة عن الأتراك .

لقد كنت مستغرباً جدّاً عندما رأيت الوكيل التّجاري هنا من دون خطابك ، وعندما علمت منه مدى قُرب الأتراك من أراضيكم ، وحيث إنّ ذلك ليس وقت الشكوى إليك حول الإهمال الشّديد ، ويجب أن أؤجّله إلى وقت أنسب ، كيف لا يمكنك أن تكتب أيّ شيء عن قرارك .

حيث إنّك تعلم كم أنا مستعدّ لمساعدتك عندما تحتاج مساعدتي؟ بالحديث عما يهمّك الآن ، أقول الآن سيدي : إنّ ملك الجزيرة قد

---

(٧) رقم الوثيقة والهامش.

كتب لي أنّه كان مستعدّاً لمنع المرور الحرّ لهؤلاء الصعاليك ، وقد سألني إذا كان من الممكن أن أساعده ، لأنّه أراد دوْماً صداقة البرتغاليّين .

قد كنت مسروراً بخطابه أيضاً ، وكذلك اهتمامه بإعطائي تقرير حول قراره ونواياه الحسنة ، وكذلك الثّقة والصّداقة الّتي يودّ أن يتبادلها معي ، وعلى الفور بدأت في الاستعداد ، وكما تعلم فإنّ نيّتي هي أن أذهب لمساعدتك ، فقد قمت بإرسال برتغاليّ إلى هناك كي تعلم منه – أنّ بمساعدة إلهنا – أنّي سوف أكون معك قريباً جدّاً .

أيضاً من خلاله يمكنك إخباري حول كيفيّة القيام بجولتي الخارجيّة والوصول إلى هناك ، وكم واحد من هؤلاء الأشخاص الأشرار يوجد هناك ، وما الذي يقومون به بعد الوصول ؟

يجب أن تخبرني عن كلّ شيء حقّقته ، لأنّه من الأفضل أن أعرف ، وحيث إنّي مضغوط الآن ، فلن أقول أكثر من ذلك في هذا الخطاب ، ما عدا "عسى الله أن يمنحك النصر ضد أعدائك" .

من رياض باشا ، حاكم بغداد إلى عليٍّ بن عليان ملك "الجزائر"

بعد كلّ مجاملاته كما هو معتاد ، قال : "خلال تلك الفترة حافظنا أنا وأنت على صداقة قويّة وكنّا أيضاً جيراناً جدّاً ، والقوافل تأتي وتذهب بين كلّ من الدّولتين .

الآن في يوم معيّن ، أمرني سيّدي الملك بأن أذهب وأستولي على البصرة ، ومن هناك كان عليَّ الذّهاب إلى هرمز والهند للمحاربة ضد البرتغاليّين الضّالّين ، وأحرّرهم من ديانتهم المشينة وأقتلهم ، وكان

على رجالي المغادرة على الفور ، مستعدّين ومجهَّزين جيّداً بكل ما يحتاجون إليه من أسلحة ثقيلة وسفن ، وسافروا برّاً من طريق زكية ، وقد اتّفقنا على مقابلة بعضنا البعض في "كارنا" "Carna" ، بالقرب منك ، ومن هناك نبدأ في طريقنا برّاً لأخذ البصرة من جهة النّهر ، وبما أنّني قد قمت بالتّصرّف في تلك المسائل بنفْسي ، فسوف أخبرك بقراري في ذلك الخطاب .

قد أبلغتك كي تعلم أين أقِف وأيضاً لأنّك صديقي ، وأنا أطلب منك أن تحقّق شرفك ، وأن تطيع ملكي ، وتصبح أحد أصدقائه ، لأنّك لن تحصل منه سوى على الشّرف الرّفيع بالإضافة إلى العديد من الهدايا والمكافآت .

إنها فكرة جيّدة منك بأن تقوم بإرسال شخص مهمّ لي هنا ، وسوف أقوم بإرسال شخص من عندي ، كي يذهب كلاهما إلى الملك ، لأنّك لن تحصل منه سوا على الشّرف الرّفيع ، لا تغفل عن نصيحتي لأنّي صديقك ؛ لأنّك لن تخسر شيئاً إن أطَعْت الملك وسوف تحصل على كلّ ما تريده منه .

يقول لنا الرّبّ في أوامره المذكورة في القرآن بألّا نعصي أوصياءه ، ولا أنبياءه أو أولي الأمر ؛ لأنّ ملكي ملك عظيم ، وهو في الحقيقة ملك يعطي النّصيحة الجيّدة والتي لا تختلف عما أقوله لك ، لأنّ نيّتي وأعمالي في تلك الرّحلة موجّهة نحو شخص واحد وهم الـ "Franks" القاسين الضّالّين ، كي أزيلهم من الوجود ، وأدمّر منازلهم ، وأشرّدهم كي لا يذكر اسمهم بعد الآن .

يجب أن تشاركني فوراً كي لا يجدوا أيّ ملجأ في أرضي ؛ لأنّه لا يصحّ أن تعزف عن القيام بالشرف العظيم الّذي يفيد سمعتك بشكل كبير وكذلك يجلب راحة البال ، وسأصبح أنا صديقك ، ثالث أهمّ شخص بعدك أنت والملك ، لا ترفض نصيحتي كصديق لك ، وسوف يذهب رجالي من "كارنا" إلى البصرة ، أستمع إلى نصيحتي فأنا أنتظر ردّك .

نسخة طِبق الأصل من خطاب لويز فالكاو إلى ملك "الجزائر" .

لقد استلمت خطابَين منك من قِبل الوكيل التّجاري ، وسررت بهما جدّاً ، بسبب الاهتمام الّذي أبديتَه عندما أعطيتني تفاصيل عن وصول هؤلاء الصّعاليك ، وكذلك الثّقة التي لديك في صداقتنا ، ويحقّ لك أن يكون لديك تلك الثّقة ، حيث إنّه - حتّى الآن - لم يندم أحَد على كونِنا أصدقاء في تلك المنطقة التي نعيش بها .

إذا كتب لك هؤلاء الأشرار ، بسبب حاجتهم لدعمك وخدماتك ، بشكل مليء بالخداع المتخفي بالكلام المعسول ، فإنّه يمكن التّنبّؤ بالفوائد التي سوف يحصل عليها ملك عدن و"كاماران" ؛ لأنّي أعلم أنّك على خبرة بظلم وشرّ هؤلاء الأشخاص ، فلا يمكنني أن أخبرك أكثر من ذلك عنهم .

ردّاً على ما قلته لي في التّدخّل في ذلك الموضوع قبل أن تزيد الأمور ، لأنّ نيّتهم هي الوصول إلى تلك القلعة ، فيمكنني أن أؤكّد لك أنّهم إن قاموا بذلك ، فإنّهم سوف يحصلون على ما يستحقّون ، وقد شهدت قلعة "ديو" كيف يمكن للبرتغاليين أن يعاقبوا المتعجرفين .

لكن حيث إنّه من عاداتنا ومن أوامر ربّنا أن نساعد مَن هو في العَوْن ، فأنا أجعل نفْسي على استعداد ، ليس خوفاً من هؤلاء

الملعــونين ، وليس طمعاً في الفائدة التي سأحصل عليها من هذا العمل ، ولكن كي أقوم بما تأمرني به لمساعدة ملك البصرة ، الّذي كنّا على صداقة معه لعدّة سنوات .

إن اللَّوم يقع على ملك البصرة في تجرّؤ هؤلاء الأوغاد على المَجيء إلى بغداد ، لأنّي كتبت له منذ عدّة أيّام بأنّ عليه أن يقوم بواجبه بالذّهاب للإمساك بقلعة "زقويا" ، وأنّني سوف أذهب لمساعدته ؛ لأنّني إن ذهبت في أسطول عبْر البحر وذهبَ هوَ برّاً مع الرّجال ، فسيكون من المستحيل الدّفاع عنها .

هو لم يجبني حتّى الآن ، وقد عاد الوكيل التّجاري الخاصّ بي من هناك ، ولم يكتب إليّ حتّى طالباً العَون ، رغم أنّه كان في حاجة ماسّة إلى ذلك ، ولكن بالعودة إلى تلك النّقطة ، أقول بأنّي كنت على استعداد ، وأنّي كنت سوف أكون معه بمجرّد أن أستطيع ذلك .

في غضون ذلك كان يمكنه أن يعرقل طريقهم ، حيث إنه رجل قويّ ويمكنه القيام بذلك ؛ لذلك فأنا أكتب إلى ملك البصرة ، وأخبره أنّه لا يملك أيّ رجال ولا أيّ عدالة أو حقيقة ، وأعتذر أنه يجب عليّ أن أذكر رجلاً مميّزاً بتلك الأشياء .

بالنسبة للقلعة التي زعم أنّه تركها لي لبنائها ، وكذلك أرضه ، فأنا أشكره جدّاً على ذلك ، عندما يذهب البرتغاليّون إلى هناك يمكن الثّقة بهم في كل شيء ، فسوف يقومون بأيّ شيء تعتبره صحيحاً ، وسوف يتمّ تدمير هؤلاء الأوغاد .

خير الكلام ما قلَّ ودلَّ ، لن أقول أكثر من ذلك في هذا الخطاب ، "عسى الله أن ينصرك على أعدائك" .

وفي العام نفسه (١٥٤٧م)

بعث "دي مانويل دي ليما" رسالة إلـى "دي ألفارو دي كاسترو" "Alvaro de Castro" ، من "قلهات" في السّادس والعشرين من شهر إبريل ، عام ١٥٤٧م ، يذكر فيها خبراً مفاده أن الأتراك قادمون لهرمز : (٨)

سيّدي ، أودُّ أن أبدأَ خطابي بأن أقول لك ، شاكراً الله ، بأنّي بصحّة جيّدة ، وأعرض خدماتي لك في كل الأمور الّتي تأمرني بها ، ويجب أن أعتبرها خدمة إذا كان من الممكن الاستفادة منّي في أيّ من الأمور الّتي تودّ أن تأمرني بها .

لقد وصلت هنا في "قلهات" في الخامس والعشرين من شهر إبريل ، ووجدت هنا الكثير من فاكهة المانجو ، حيث ظننت أنّي سيزيد وزني ، وإلى جانب المانجو وجدت هنا أيضا بعض الـ "caturs" الّذين تمّ قيادتهم

(٨) رقم الوثيقة والهامش.

من قِبل "جونكالو فالكواو"[أ] ، وقد أبلغني أنّ بعض سُفن الأتراك قد جاءت من السويس إلى زبيد ، وهم يعتقدون أنّ الأسطول التّركيّ سوف يذهب إلـى هرمز هذا العام ، ولكن الله وحده أعلم إن كان ذلك صحيحاً .

هناك أشخاص قليلين في هرمز ، فقط "الكاسدوس" ، أمّا الأتراك فموجودون في البصرة ، هناك ألفَين منهم ، ويقال بأنّهم أشخاص محترمون جدّاً ، ويقال بأنّهم يقومون في أوقات فراغهم بإطلاق النّيران على مسافة طلقة بندقيّة على الشّواطئ الصّخرية .

هل يمكنك أن تخبرني كيف يمكنني أن أخدمك؟ فإنّك بالتّالي تكون قد أسديت لي خدمة كبيرة .

أقبِّل يديك .

"قلهات" ، السّادس والعشرين من شهر إبريل ، عام ١٥٤٧م .

خادمك

"مانويل دي ليما" .

السيّد الأعظم "دي ألفارو دي كاسترو" ، الضّابط الأعلى في بحر الهند ، وسيّدي .

(أ) كان "جونكالو فالكاو" قائد معقل "سانت توماس" خلال أوّل حصار لـ"ديو" (كوريا ٣ ، صفحات ٨٥٧ ، ٨٥٨) .

وفي العام نفسه (١٥٤٧م)

أُرسل خطاب من "دي مانويل دي ليما" إلى "دي ألفارو دي كاسترو" ، "قلهات" في السّادس والعشرين من شهر إبريل ، عام ١٥٤٧م ، يشرح وضع هرمز : [٩]

سيّدي ، في الثّامن والعشرين من شهر إبريل ، تمّ إرسال خطاب لي هُنا في "قلهات" منك ، والّذي تمّ أرساله من خلال "تيرادا" من "ديو" ، وقد جاملتني فيه بشكل لا يقدّر بثمَن ، وقد كان هناك أيضاً خطاب آخر من السيّد الحاكم ، الّذي أهانني فيه بشكل كبير ، والّذي يصعب عليَّ جدّاً أن أقول ذلك ؛ وذلك من أجل فائدة الهند[أ] ، وهُم يتصرّفون كما يقومون دائماً ، ولا أودّ أن أقول أكثر من

(أ) انظر خطاب بتاريخ الثّامن عشر من شهر مارس إلى "دي جواو دي كاسترو" ، الذي يكتب فيه "دي مانويل" عن الإشاعات المنتشرة من بعض الرجال ذوي الرّتب المنخفضة ، والتي تقول أنّه على علاقات سيّئة مع الحاكم .

(٩) رقم الوثيقة والهامش.

ذلك كي أكون مسروراً ومبتهجاً ، غيرَ أنّهم يحقدون على صداقتي مع السيّد الحاكم .

لقد تمّ إخباري بأنّ هرمز في حالة سيّئة لدرجة أنّه لا يوجد أيّ تجّار يذهبون إلى هناك ؛ لذلك لا يمكنني أن أحصل من هناك سوى على أكثر من مائتَين بارداوس ، ولكن مع خدمة السّيّد الحاكم ، أتمنّى مِن الله أن أحصل على أربع ريالات في خدمة سيادته وأنت[أ] .

أرجو أن تخبرني دائماً عن الطُّرق الّتي يمكن أن أخدمك بها ، فإنّك بالتّالي سوف تقدّم الكثير من الخدمات .

أقبِّل يديك .

"قلهات" .

الثّامن والعشرين من شهر إبريل ، عام ١٥٤٧م .

خادمك

"مانويل دي ليما" .

السيّد الأعظم "دي ألفارو دي كاسترو" ، الضّابط الأعلى في بحر الهند ، وسيّدي .

(أ) كانت رئاسة هرمز تعتبر الأكثر ربحاً في الهند ، والّتي كان متوقّع من خلالها أن يصبح الضّبّاط أغنياء .

وفي العام نفسه (١٥٤٧م)

أُرسل خطاب من قبل "مانويل دي فاسكونسيلوس" "Manuel de Vasconcilos" ، "غوا" ، إلى "دي جواو دي كاسترو" "D . Joao de Castro" ، "كانانور" "Cananor" ، الثاني عشر من شهر مايو ، عام ١٥٤٧م[أ] ، يشرح فيه الوضع في "الشحر" : [١٠]

سيّدي ، في الثّامن من مايو وصلَت سفينة "غليون" تابعة للخواجا سميّ الدّين قادمة من "الشحر" ، حاملة له خطاباً من أخيه في "جدّة" ، وكانت الأخبار التي يحويها كالتالي :

بند : ثارَ أحد أبناء الأمام ، سيّد الجبل ، ضدّ أبيه ، وأرسل في طلب

(أ) التّاريخ المذكور في أوّل النَّصّ المطبوع هو ١٥٤٨م ، ولكن في نهاية الخطاب ذكر تاريخ ١٥٤٧م (ملاحظة المترجم) .

(١٠) رقم الوثيقة والهامش.

رجال للقتال من الأتراك ؛ للإمساك بأرض أبيه ، وكي يجعله تابعاً له ، وقد أرسل لهم الأتراك ضابطاً بحريّاً وخمسة عشر ألف رجل ، والّذين قاموا بدور كبير معه في الساحل ، وأمر هؤلاء الرّجال ألّا يرحلوا قبل أن يستولوا على المضيق بأكمله .

بند : أرسلَ ضابط بحريّ هؤلاء الرجال المقاتلين في إحضار ضابط بحريّ ومعه أربعة "foist" ، والّذين وصلوا إلى مسقط ، وقد ظلّ معهم ، وظلّت الـ "foist" في "موكا" .

بند : ظلَّ أسطول السويس في مكانه ، وقال بعض الرّجال الّذين جاؤوا إلى "موكا" ، والذي كانوا حيث يوجد الأتراك ، قالوا إن الأتراك أعطوا أسطولاً إلى خادم للخان اليهوديّ ، الّذي كان ضابطاً تحت "سكاندبيرج" "Scandbridge" ؛ كي يأتي إلى الهند ، ولكن لم يذكر متى .

بند : بَعد أن أمسكَ "بريستر جون" "Prester John" بأراضيه ، ذهبَ "سيدزيلا" إلى الأتراك وطلب منهم مساعدته ، وقال إنّه الآن أصبح سيّداً لما كان ملكه ، هذا ما قاله الخطاب .

بند : قالّ نوخذة السفينة أنّ الـ "cutar" الثّلاثة التّابعة للبرتغاليّين قد أبحَرت دون الشهر ، وقد قالوا إنّها كانت متّجهة إلى "مالندي" ، ويجب أن تكون تلك هي التي أرسلتها سيادتك .

بند : سيّدي ، لقد كنت في تلك القلعة الآن لأكثر من سنتين ، ولم يُدفع لي أكثر من ربع راتبي الّذي حدّدته سيادتك لي ، أتوسّل من سيادتك أن تأمرَ بأن يتمّ دفع لي ما أستحقّه كي يجعلني أواصل ، لأنّي

لا أملك أيّ شيء هنا سوى راتبي ، ويمكن أن يؤكِّد نسيبي "أنطونيو فيراو" ذلك .

خادم سيادتك .

"كانانور" الثّاني عشر من شهر مايو ، عام ١٥٤٧م .

"مانويل دي فاسكونكيلوس"

(مغلقة بالشمع)

(١٧١ في) إلى سيّدي ، الحاكم .

وفي العام نفسه (١٥٤٧م)

أُرسل خطاب من خواجا شمس الدّين غلام إلى "دي جواو دي كاسترو" ، "كانانور" الثّالث عشر من شهر مايو ، عام ١٥٤٧م[أ] يشرح الوضع في "الشحر" : [١١]

سيّدي ، كتبَ لي أخي من "جدّة" يقول لي أخبار من الأسطول التّركي ، وهي كما سبَقَ ، وأخبرني أنّه يقال إنّ الأتراك قد قاموا بإعطاء الأسطول إلى خادم سابق "للخان اليهوديّ" ، وهو كابتن "سكانديبرج" ؛ كي يأتي إلى الهند ، ولكن لم يكن من المعروف متى ذلك .

قد قال لي أيضاً أنّ ابن الإمام قد ثار ضدّ والده ، وهو سيّد الجبال ، وقد أرسل إلى الأتراك طالباً منهم رجال مقاتلين للإمساك بأرض والده ، وكي يصبح تابعاً له ، وقد أرسل الأتراك ضابطاً ومعه خمسة عشر ألف

(أ) أخذ الخان اليهودي ، ضابط بحري ملك Cambay's Abyssinians ، كسجين في معركة "ديو" وتم سجنه في برج في جوا ، كما ذكر "جاسبار كوريا" (الجزء ١٤) .

(١١) رقم الوثيقة والهامش.

رجل ، وأخذوا جزء من السّاحل ، وقد أمر هذا الضابط ألّا يعود قبل أن يصبح سيّداً للمضيق بأكمله ، وقد تراجع الإمام إلى الجبال ، وقد أمر ذلك الضابط البحريّ باستدعاء ضابط بحري لأربع سفن "foist" ، الّذي ذهبَ إلى مسقط وقد كان معه ومع السفن التي ظلّت في "موكا" .

عاد "سيد زيلا" للاستحواذ على أراضيه الّتي أمسك بها "بريستير جون" ، وقد أرسل الأتراك رجالاً مقاتلين ليساعدوه في استعادة ممتلكاته .

كتب لي أخي مع تلك الأخبار في سبتمبر مؤكِّداً على أن أرسلها إلى سيادتك ، أقبّل يدي سيادتك من أجل نيل الشّرف والجميل الّذي منحتني إيّاه أنت وابن أخيك ، وهو ما أستحقّه من سيادتك .

عسى الله أن يطيل في عمرك وأن يزيد من مكانتك .

من مدينة "كانانور" ، الثّالث عشر من شهر مايو ، عام ١٥٤٧م .

خادمك

خواجا شمس الدين غلام .

(مغلقة بالشمع) .

السيّد الحاكم

من الخواجا شمس الدين غلام .

وفي العام نفسه (١٥٤٧م)

بعـــث "دوم جـيرونـــيـــمـــو دي نـــورونـــهـــا" "D . Jeronimo de Noronha" ، رســـالـــة إلـى "دوم جواو دي كاسترو" ، "باسين" ، في يوم الثّامن عشر من شهر مايو ، عام ١٥٤٧م ، وجاء فيها ما يجري في "ظفار" و"قشن" و"الشحر" : (١٢)

سـيّدي ، لقـد حـصلت علـى رسـالة مطوّلةً من "ألفارو لوبيز" "Alvaro Lopes" الّتي يحصي فيها بإسهاب وبالتفصيل الاحتفالات العظيمة والتّرحاب بكم في "غوا"(أ) ، ونتيجة لذلك تسلّمت عدداً كبيراً جدّاً من الرّسائل تمّ فيها وصف ذلك لي ، ولكن الكاتب الأساسيّ

(أ) يشير هذا إلى الاحتفالات للتّرحيب بالحاكم في "غوا" ، بعد عودته من "ديو" ، في يوم التّاسع عشر من شهر إبريل ، عام ١٥٤٧م .

(١٢) رقم الوثيقة والهامش.

والأكثر وفرة في رسائله كان "ألفارو لوبيز" ، في الحقيقة أنني طلبت منه أن يفعل هذا ، وقد فعله .

منذ هذه الرّسائل ، لم أحصل على تقارير أكثر ، ولهذا السّبب فإنّها كثيرة جدّاً لأنّني أرغب في أن أعرف كيف حالكم بعد أعمالكم العظيمة في "ديو" ، لدرجة أنّني أقوم بإرسال قارب المراسلة هذا .

تفضّلوا بإرسال أخبار كثيرة عنكم ، وإذا لم تسمح لي الظروف أن أفعل هذا بمثل هذه الفترة من الزّمن كما أريد ، فأرجو أن تخبروا "ألفارو" أن يفعل هذا كمعروف يؤدّيه إليَّ .

قرّرت أنّه من الأفضل أن أوقف قارب المراسلة هذا - سيّدي - لعدد قليل من الأيام الإضافيّة لكي أكون قادراً على أن أرسل إليكم أخبار هذا المكان ، وما لديّ من أخبار هو الآتي :

كتبَ إليَّ "دوم جواو ماسكارنيهاس" "D . Joao Mascarinhas" رسالة مؤرّخة في يوم الأوَّل من شهر مايو هذا ، الّتي وصلتني هنا في القارب السّريع الصّغير الّذي أمره بالانتظار حتى يستطيع كتابتها ، إنّه يخبرني أنّه بعد أن غادرتم ، وجد في مرّات عديدة رجالاً مقاتلين من الجانب الآخر يحاولون أن يتقدموا نحو الجزيرة .

بعدئذ أرسل بعض مراكب "الكاتور" لكي يقوموا بالحماية وعيَّن مائتي رجل في المدينة ، وعندما أبصروا هذا ذهبوا بعيداً ولم يعودوا (...) وسمع أنّهم أرادوا أن يذهبوا إلى هناك من أجل المنفعة .

كان لديه أيضاً خبر بأنّ ملك "كامباي" كان خائفاً أن يأتي إليه

"الباتان" "The Pathans" ، وأرسل رجالاً إلى أحمد أباد لكي يكتشفوا ما كان يجري هناك ، وأنّه حينما حصل على الخبر ، تمكّن من إرساله إليَّ (٩٨ في) : وعن خبر "الباتان" ، يقول "دوم جواو" لي أنّه حديثاً ومثيراً جدّاً ، ولكن لنفس الأسباب تعيش المنطقة في سلام حتّى الآن .

غـادرَت سفينة "كاراك" تنتمي إلى المسلمين من ميناء "ماهيم" "Mahim" إلى "ظفار" ، وبسبب عاصفة وصلت إلى "قشن" "Qisn" ومكثت هناك ، وذهب عن طريق البرّ بعض الرجال من نفْس سفينة "الكاراك" - وهُم مواطنون من أبناء المكان - الّذين تحدّثت معهم ، إلى "الشحر" "El-shihr" .

الأخبار الّتي أحضروها هي كالتّالي :

كان يوجد في "قشن" ثلاثون من جنود "اللسكر" ورجل زنجيّ أسود ، كان قبطاناً لهم ، هؤلاء الذين هم تحت سيطرة ملك "الشحر" ، هم يقولون إنّ المدينة والمنطقة متضرّرة كثيراً وفي خراب .

قالوا إنّ سفينة "كاراك" منتمية إلى ملك "كامباي" ، كانت في طريقها إلى هرمز ، وصلت هناك واستولوا على كلّ المال الذي كانت تحمله ، وفي مقابل مبلغ المال الكبير الّذي قد أخذوه منها أعطوها بالقوّة بضاعة لا تساوي شيئاً .

تلقّت سفينة "الكاراك" من "ماهيم" أجراً قليلاً في مقابل البضاعة التي كانت تحملها ، قالوا إنّه في "الشحر" كان يوجد خمسمائة أو ستّمائة رجل حبشيّ من رأس فرتاك ورأس نواس وعدد قليل من

الأتراك ، وأربعة قوارب شاطئ سريعة ، ويقال إنّهم أتوا من القاهرة في نفْس السُّفن الّتي جاءت إلى "قلهات" في العام الماضي .

كانت كلّ من هاتَين المدينتَين ، "قشن" ، و"الشحر" تراقباننا بعناية شديدة ، معتقدتين أنّ الرّجال من هناك يمكنهم أن يقفوا إلى جانب ملك "قشن" ، وكانوا خائفين جميعاً من الأخبار القادمة من "ديو" ، ولم تكن هناك أخبار على الإطلاق عن الأتراك ، وكان هناك خبر واحد فقط عما قد فعله أولئك الذين هم في البصرة ، وقيل هناك أنَ بعضاً من قواربنا السريعة كانت في "سوقطرة" .

غادرت سفينة "الكاراك" هذه من هناك في يوم الخامس عشر من شهر إبريل ، وعندما رحلت إلى هنا كان هناك خبر بأنّ نفْس القوارب السريعة كانت في ميناء يسمّى "بابو" "Babo" ، تحدّثتُ بنفْسي إلى الرّجال الذين جاءوا من هناك ، وهذا هو ما يقولونه :

كان الأسطول القادم من هناك في حالة سيّئة بسبب الفترة الطويلة الّتي قد أمضتها السُّفن في البحر ؛ لهذا السبب ، ولأنّه تمّ حشد سفن الأسطول في وقت متأخر ، ولأنّ أولئك الذين قد تمّ تشتيتهم كانوا متضرّرين كثيراً ، كان من الصّعب جدّاً أن نجهّزهم بسرعة لكي يكونوا مستعدّين لما يحدث ولكي ينفّذوا ما تأمرون به .

إنّهم سوف يكونوا في "أجاشي" "Agashi" في خلال ثمانية أيّام بعون الله ، وهذا على الرّغم من المشكلات العديدة ، وقالوا لكم العكس ، وإنّهم يموتون لأنّها قد حدثت لهم في منطقتهم الخاصّة ، ولن يكونوا في منطقتكم .

يستعدّ "دوم جورج"[أ] للمعركة ، وهو سعيد أن يقوم بخدمتكم .

هل لي أن أذكّركم أن تمنحوا أفضالاً عظيمة لـ "أغوستينهو دي تيف" "Augustino de Teve"؟[ب] لأنّه يستحقّها ، إنّكم أيضاً سوف تقدّمون لي معروفاً عظيماً وسوف يسهل أيضاً أمور حماية (والدة زوجته) .

(أ) لعب "دوم جورج" ، الّذي ذهب مع مراكب "الكاتور" لتقديم المعونة إلى "ديو" ، دوراً شجاعاً في رفع الحصار عن "ديو" ، وفي أعقاب ذلك ميّز نفسه بقارب "البروتش" "Broach" .
لهذا كان يسمى "الدوم جورج دي بروتش" .

(ب) كان "أغوستينهو دي تيف" رجلاً متزوّجاً من "باسين" .

وفي العام نفسه (١٥٤٧م)
بعث أحد أهالـي هرمز رسالة إلـى الملك "دوم جواو الثّالث" "D . Joao III" ، "غوا" ، بتاريخ التّاسع عشر من شهر يونيو ، عام ١٥٤٧م ، ويذكر فيها أن الحكام البرتغاليين يسرقون الأموال العائدة للملك : (١٣)

سيّدي ، في السّنة الماضية كتبت إلى جلالتكم عن منْع سُفن التّجّار الّذين يخالفون القانون ؛ لأنّ هذا المنع سيكون لصالحكم ، وهذا ضروريّ جدّاً لأنّ هؤلاء التّجّار هُم أحَد الأسباب الرّئيسيّة الّتي تضرّ بخزانة جلالتكم .

ورغم أنّهم قد يخبرون جلالتكم أنّ أيّ تاجر يثبت أنّه اشترى شيئاً من مخازن البضائع الخاصّة بكم يدفع حياته ثَمناً لذلك ، ويخسر كلّ ممتلكاته دون أيّ تأجيل لهذا الحُكم ، إلّا أنّه لا يجب الافتراض أنّ هذا الحُكم بالإعدام يجب أن ينفَّذ في كلّ مرّة يتّهم فيها أحدهم بارتكاب

(١٣) رقم الوثيقة والهامش.

هذه الجريمة ، فلن يحدث أنّ أيّ شهود يأتون نيابة عن جلالتكم سيشهدون ضدّه ، ولو جاء هؤلاء الشّهود نيابة عن المتّهم فإنّهم لن يواجهوا أيّ لوْم لجلالتكم .

إضافة إلى ذلك ، فإنّ نائب الحاكم لديه من الواجبات ما يكفيه وزيادة ، ولديه ما هو أهمّ من التّحقيق في الطريقة الّتي يعيش بها النّاس ويتصرّفون .

إنّ جلالتكم تتكبّدون في هذه البلاد تكاليف باهظة ونفقات عالية ، ولا تحصلون إلّا على القليل الذي يعوِّض هذا كلّه .

الآن ، ومع ذلك ، فإنّ أي صفقة خاصّة بمصالحكم مهما صغرت لا يمكن أن تبقى غير معروفة .

إذا كانت سرقات حكامكم من أموالكم لم تتمّ ملاحظتها حتّى الآن ، فإن ذلك يرجع إلى حجم الأموال الكبيرة التي تتعلّق بالسّلع التّجاريّة الّتي تأتي من "البرتغال" لتغطّي تكاليف العمل في هذه البلاد ، وأيضاً إلى النّفقات التي يتطلبها ذلك ، والتي انفلَتَ زمامها حتّى لم يَعُد من السّهل اكتشافها .

لذا فإنّ الضّرر الّذي تتكبّدونه جلالتكم بسبب تلك السُّفن المخالفة لم تتمّ ملاحظته ، وبالتالي فإنّها تعود بالأرباح الهائلة على الحُكّام وأمناء السّرِّ والموظّفين والخدَم الّذين يعملون لديهم ، وعلى أصدقائهم أيضاً . ولا يوجد إلّا القلَّة منهم الذين يعتقدون أنه من غير الصّواب أن يستولوا على هذه الأموال الطّائلة التي تخصُّ جلالتكم .

رغم ذلك ، فلو أنّ أحداً أخبر هؤلاء الحكام ، أو كانوا هم على وعي بالخطر الذي يتهدّد هذه البلاد ، إذا لم يكن لديها الوسائل المادّية الكافية لمواجهته ، وأنهم يخاطرون بالكثير جرّاء تعاملهم مع هؤلاء التّجّار المنحرفين ، لَما عقَدوا صداقات معهم .

كما أنّ هؤلاء الحكّام يعملون ضدّ مصالحكم عندما يعتقدون أنّ الذين يأتون من الخارج لا يستطيعون فهم احتياجات هذه البلاد وتقديرها ، لأنّ كلّ فرد هنا يصرخ طلباً للطعام ، وإذا لم يحصلوا عليه فإنهم لن يجدوا ما يأكلونه .

إنّ من يحكم هذه البلاد يَعي تماماً أن ليس لديه ما يكفي لسدِّ نفقاتها الكثيرة ، والتي يراها في ازدياد مستمرّ ، ويعلم الله كم يؤلمني أن أكتب لجلالتكم عن هذا الأمر ، ولكنّي أفعل هذا لأنّي أرى من الواجب ألّا أخفيه عنكم .

وقد كتبت لجلالتكم بأنّي أعتقد أن من مصلحتكم أن تبحر بعض هذه السّفن التي يملكها التجار المخالفون ، ولكنّها يجب أن تبحر بطلب منكم ، وتكون محمّلة باللّيف الهندي ، ويكون طاقمها من البحّارة المسلمين ، ولا يكون فيها أيّ برتغاليّ من رؤساء البحّارة أو المرشدين ، كما كتبت لكم أيضاً أنّني أودّ أن أمنح هذه المدينة بعض هذه السُّفن ، وفي اعتقادي أنّ أهالي المدينة سيكونون شاكرين جدّاً لي على هذه المنحة .

ولهذا فقد استدعيت الحاكم ، باسْم جلالتكم ، ومنحته موافقتي على أن يستقبل أربع سفن محمّلة باللّيف الهندي ، وبتصريح من جلالتكم ، يكون طاقم بحّارتها من المسلمين ، دون أن يكون فيها أحّد

من البرتغاليّين سواء لقيادة السّفن أو لإرشادها ، وأن تبحر هذه السّفن من هُنا إلى هرمز .

هذه السّفن تخصّص لأربعة رجال من الذين قدّموا لجلالتكم خدمات جليلة ، والذين عاشوا في هذه المدينة لمدّة ثلاث سنوات كاملة . وهؤلاء الرّجال الأربعة الذين ستخصّص لهم هذه السّفن يتمّ اختيارهم من خلال مجلس المدينة .

بهذا لا تكون لديَّ حريّة إعطائها لمن أرغب من الأشخاص ؛ لأنّي لا أقوم بأيّ عمل في هذه البلاد من أجل منفعة شخصيّة ، أو لأحد أقاربي أو أصدقائي ، بل فقط لأقدّم خدمة عامّة ، وقد قلت هذا في "كوتشين" ، و"تشاول" و"ديو" ، ومنحت (....) واحدة من سفنه بهذه الطريقة ، وأخبروني أنّ اجتماعاً سيعقد في اليوم التالي وسيقدّمون لي الإجابة .

في اليوم التّالي جاء إليَّ الرّجال الأربعة وقالوا لي أنّهم لن يقبلوا السّفن ، وأخبروني أنّني يجب أن أتركهم جميعاً يبحرون بنفْس الأسلوب الذي اعتادوا عليه من قبل ، ولكي يؤكّدوا مطلبهم قدّموا رسالة تبيّن أنّ جلالتكم كتبتم إلى نائب الملك تأمرونه أن يسمح لكل سُفن المساهمين بالإبحار ، حتّى لو ثبتَ أن هذا سيضرّ بالعوائد الماليّة لجلالتكم ، ولهذا السبب قلت إنّني سأسلّم تلك الرسالة .

وقد قالوا لي أن كبير أمناء الماليّة قد عرض هذه الرسالة على عدد كبير من النّاس ، ولكنّه لم يعرضها عليَّ أبداً ، حتى عندما رأى أنّ من الصّواب أن أبيع السّفن المذكورة ، ولم يفعل ذلك إلّا فيما بَعد ، عندما رآني انتقده للرّخص التي كان يمنحها .

إنهم لا يلاحظون نكران الجميل وسوء الخُلق الذي يظهره أهالي المدينة ، بل يرون فقط مزايا هؤلاء وغيرهم من النّبلاء الآخرين الذين ليس لهم من عمل في هذه البلاد إلّا إثارة كراهية السّكان ضدّ مصالح جلالتكم .

ولكن هذا لا يعني أنّهم فعلوا الكثير من أجل هذه المدينة ، لأنّ هؤلاء الّذين تقلّدوا المناصب قرّروا أن يظهروا ما الذي يمكن لهم أن يقوموا به ، وأولئك الذين لم يحصلوا بَعد على أيّ منصب يحاولون أن يبيّنوا أنّ لديهم الرّغبة في أن يفعلوا شيئاً للمدينة .

إنّي أقدّم هذا التّقرير المفصّل لجلالتكم ؛ لأنّي أعرف أنّ أهالي المدينة يستعدّون للكتابة إليكم ، وسيجدون عدداً كبيراً من الذين يتّفقون معهم . لقد قالوا ، يا صاحب الجلالة ، أنّني أستطيع أن أفعل ما أشاء ، ولكنّي لن أتوقّف عن الإشارة إلى ما يحدث ضدّ مصالحكم ، كما أفعل أنا ، وأولئك الذين يأتون من هذا المكان ويكتبون من هذا المكان ، ثمّ يقدّموا إلى جلالتكم آراءهم عنه .

ويجب على جلالتكم أن تروا التّقارير التي يكتبونها عن أنفسهم ، وما الذي يفعلوه من أجل مصالحهم الخاصّة ، وما الذي سوف يخسروه لو أنهم كانوا يخدمون مصالح جلالتكم .

إنّي أعترف لجلالتكم أنّني أتحدّث عن هذا الأمر مثلما يتحدّث شخص وقعت عليه إساءة كبيرة ؛ لأنّ .... .

(ملاحظة المترجم . انتهت الرسالة فجأة عند هذه النقطة) ...

وفي العام نفسه (١٥٤٧م)
أرسل خطاب من "دي مانويل دي ليما" إلى "ألفارو دي كاسترو" ، هرمز ، في الثاني والعشرين من شهر يونيو ، عام ١٥٤٧م ، يخبر عن هرمز بأنها فقيرة والطقس شديد الحرارة : (١٤)

سيّدي ، أريد أن أبدأ حديثي بأن أخبرك أنّني في صحّة جيّدة وعلى أتمّ استعداد لخدمتك في أيّ شيء تأمر به ، وهو أقصى ما أتمنّى دائماً ، أنا لا أقدّم لك أيّ شكوى بخصوص هرمز لسببَين ، أوّلهما أنّها فقيرة جدّاً ، والثّاني أنّ الطّقس فيها شديد الحرارة ، حتّى إن الماء يبدو دائماً وكأنّه مسخّن على موقد ، يمكن أن تصدقني إلى حدٍّ أنّ النّقباء الّذين جنَوا "xerafins" من هرمز قد حقّقوا ذلك بشقّ الأنفُس(أ) ، وعلى الرّغم من أنّني قد أصبحت غنيًّا هُنا ، ستجد أنّ الأموال تتلاشى بين يدي والمشاكل تحوطني .

(أ) من المعروف أن الطّقس في الخليج الفارسيّ في الصّيف يجعل المنطقة من أكثر المناطق حرارة في العالم .

---

(١٤) رقم الوثيقة والهامش.

أسندت إلى "بالتاسار رويز" "Balthasar Ruis" سبع مناصب [رسميّة] ، وكذلك منصب كاتب الدّساتير (كاتب العَدْل) ، واستدعيت قاضي القضاة في حضوره ، وأخبرني أنّه لا يمكنني من منطلَق العدل أن أولّيه هذا المنصب [الأخير] .

ستكون قد أسدَيت إليَّ معروفاً إن قمتَ بإخباري دائماً بالطّريقة الّتي يمكنني أن أخدمك بها ، تركت التّفويضات لـ "جونكالو رويز" "Goncalo Ruis" الممنوحة من "دي . مانويل دي سيلفييرا" "D . Manuel da Silviera" (يرحمه الرَّبّ) ، وأنا أطلب المزيد من [الأوامر] من هذا النّوع من الحاكم ، سأكون ممتنّاً لك إن أخذت هذا الأمر بعين الاعتبار ، إنّني أرسل إليك سيفاً مستقيماً ذا حدَّيْن أُعطيَ إليَّ هُنا وهو من البصرة ، يجب عليك أن تستغلّ ذلك من خلال أن ترسل إلى هناك طلب بعض الأسلاك عن طريق المقايضة .

يقوم "بالتاسار دي ألميدا" "Balthasar de Almeida" بمغادرة المكان هنا الآن وهو يعاني من فقر مدقِع ، إن كان بإمكاني أن أجِد له أيّ عمل هامّ هنا ، ما كنت لأتركه يرحل ، فهو رجل عظيم ذو خُلق كريم ، سأكتب إليك باستفاضة من خلال وسائل أخرى ، ولكن لهذا السّبب لن أقوم بذلك في هذا الخطاب .

أقبّل يديك ، هرمز ، الثّاني والعشرين من شهر يونيو ، عام ١٥٤٧م .

خادمك "مانويل دي ليما"

إلى اللّورد المعظّم "دي . الفارو دي كاسترو" ، القائد الأعلى لبحر الهند ، وسيّدي .

(مغلق بالشّمع)[أ]

(أ) "جونجالكو رويز" قد ذكر بالفعل في الخطاب رقم ٨٢ بتاريخ السّابع والعشرين من شهر مارس ، والمتضمّن سابقاً في هذا الإصدار .

وفي العام نفسه (١٥٤٧م)

أرسل خطاب إلـى الحاكم من "مانويل دي ليما" ، هرمز في الثالث والعشرين من شهر يونيو ، عام ١٥٤٧م ، ويذكر فيه الاستعدادات من قبل البرتغاليين في مسقط وهرمز : (١٥)

وصلت سفينة "غليون" في نهاية شهر يونيو إلى مدينة هرمز قادمة من "مكّة" ، ويبحِر بها تاجر من السّكّان الأصليّين يسكن هنا في هرمز ، أخبرني أنّه قدم عن طريق "مكّة" ، وأن هناك سبعة أو ثمانية مراكب بمجاديف ولم يرها بعد ذلك ؛ فقد اعتقله الأتراك هناك لمدّة ثلاثة أيّام ولم يسمحوا له بالخروج من البوّابات من أجل تحذير السّفن - من ذلك الأمر - الّتي أرسلتها عظمتك إلى المضيق ، وأنّ السُّفن على أهبة الاستعداد لملاقاة السّفن الّتي أرسلتها حتّى تدخل من البوّابات ، فهو يرى أن تلك السّفن الثّماني مرسلة إلى "قلهات" ومسقط .

تراءى لي أن تلك الأخبار صحيحة ، فأمرت تسع سُفن و"Caturs"

---

(١٥) رقم الوثيقة والهامش.

كانت هنا أن تكون جاهزة للرحيل في نهاية الشّهر القادم شهر يوليو متّجهة إلى مسقط ، وانتظار السّفن التّركية إن قدموا في أغسطس أو في بداية سبتمبر .

أرسل الشيخ رابية إلى ضابط الأمن في "قلهات" يخبره أنّه ينبغي عليهم أن يجعلوا أفضل "tarranquins" الّتي لديها هناك مستعدّة ، وهي مراكب تحمل عشر أو اثني عشر برتغاليّاً يجيدون التّجديف ، ورجالاً آخرين في حال الحاجة إليهم ، وأن يحمّلوها برماة سهام من العَرب للمساعدة إذا اقتضت الحاجة .

أخبرتني السّفن القادمة من مسقط بعد أن غادرتها أنّ هناك أربعين أو خمسين برتغاليّاً هناك ، وسيكون جيّداً الاستعانة بهم في السُّفن عند الحاجة الشّديدة لهم في القتال بمساعدة الرَّبّ ضدّ السُّفن التّركية إن قدمت إلى مسقط ، وسيمنحنا الرَّبّ نصْراً مؤزّراً عليهم .

رأيت أنّ أمْر إرسال تلك السّفن سيصبّ في مصلحة عظمتك ؛ لأنّ السّفن الّتي ترحل من هنا متّجهة إلى الهند تحمل رجلين أو ثلاثة من البرتغاليّين ومبلغاً طائلاً من المال ، إن نجح هؤلاء الأتراك في الاستعداد في مسقط وعثروا على السفن المحملة بالكثير من "xerafins" و"tangas" ، واتّجهوا إلى المضيق بتلك الغنائم ، فسيكون ذلك حافزاً لهم للقدوم إلى مسقط كلّ عام .

قرّر "دوم بايو دي نورونها" "D . Bayo de Noronha" أن يبقى هنا وطلب منّي هذا الأسطول ؛ لأنّه يرى أنّه بذلك يخدم الملك ، فمنحته إيّاه ، ورحل به كقائد عليه ، ويتمتّع النّقباء والجنود في أسطوله بالشّرف والاستقامة .

سأقوم بإرسال اثنين "caturs" والمزيد من المجدّفين إلى "رأس الحدّ" في بداية شهر أغسطس لحراسة المكان هناك ومراقبة السّفن الآتية من المضيق ومعرفة عددهم ليسبقوهم لتقديم النّصح للأسطول بما ينبغي عليهم فعله في مسقط .

في حال عدم قدوم تلك السّفن من المضيق ، فما زال هناك الكثير لفعله حيال "بلوجستان" ، فهم يتصرّفون بغطرسة ، فعندما كانت سفينة "غليون" برتغاليّة تبحِر وعلى متنها "أندريا كورتس" "Andrea Curtes" ومحمَّلة بالعديد من البضائع الجيّدة ، جنحَ بها حظُّها العاثر في منطقة ضحلة وتحطّمت قبالة جزيرة مصيرة ، سرقَ "البلوجستانيّين" كلّ البضائع وقتلوا جميع "البرتغاليّين" ما عدا "أندريا كورتس" وزوجته وابنته الّذين نجوا فيما بعد .

خسر "أندريا كورتس" كلّ ما يملك ، ولكن تمكّن من الفرار من خلال القتال الجيّد مصاباً بثماني إصابات شديدة من جرّاء السّهام ، لم يضع أبداً في الـ"parau" التي أنقذته إلّا من خلال عمل جماعيّ ، فضلا عن ذلك ، فقد قام "البلوجستانيّين" بالاستيلاء على أرض تابعة للبرابرة وقاتلوا في أراضي أخرى ، وجرحوا العديد من النّاس هناك .

من أجل تلك الأسباب والأفعال الأخرى التي يقومون بها كلّ عام ، يبحر هذا الأسطول بمساعدة الرَّبّ ، ويمكث غرب ساحل "بلوجستان" لإحراق ما يكمن حرقه من "terradas" ، وسيذهب هذا الأسطول كذلك كلّ عام لحماية سفن "الغليون" .

أرى أنّه من مصلحة جلالته في هذَين الأمرين [للأسطول] مهاجمة

السّفن التّركيّة ، وأن تذهب إلى المكان الّذي كانت تذهب إليه في السّنوات الأخيرة ، سأكون تحت خدمة عظمتك بكلّ الوسائل إلى الحدّ الأقصى الّذي يمكن الوصول إليه في تلك البلاد ، أقبّل يدي عظمتك وأسأل الرّبّ أن يبارك في عمرك وأن يوسّع رقعة ملكك .

هرمز ، الثّالث والعشرين من شهر يونيو ، عام ١٥٤٧م .

"مانويل دي ليما"

وفي العام نفسه (١٥٤٧م)

أرســـل خطــاب مــن "دي . مانويل دي ليما" إلـى الحاكم "دي . جواو دي كاسترو" من هرمز ، في الثالث والعشرين من شهر يونيو ، عام ١٥٤٧م ، ويتحدث فيه عن الأوضاع في البصرة : (١٦)

أردّ على [.....] وصلت إلى حصن هرمز هذا في يوم الثّامن عشر من شهر مايو ، وكنت هنا قبل شهر من تسليم الحصن لي ، حيث إن "لويس فالكاو" أرد أن يقضي فترة خدمته كاملة التي كانت [....] وتسلمت منه المهمّة في يوم التّاسع عشر من شهر يونيو .

وجدت بعض الصعوبات في المكان ، لم أجِد تاجراً واحداً أو أيّ شخص يشتري قماش أو عقاقير أو أيّ بضائع أخرى ، فكلّ التّجّار الّذين يأتون إلى هرمز يندهشون من هذا الأمر ، كما أنّه كان هناك نقيب لملك "لار" ، وهو شخص مهمّ في البرّ الرّئيسيّ الّذي يقابل

(١٦) رقم الوثيقة والهامش.

تلك الجزيرة ، لديه العديد من الفرسان والجنود المشاة ، وقد مرّ على وجودهم هناك أشهر ، وقد أقاموا معسكرهم حول بعض الآبار التي تمدّ تلك المدينة بالماء .

النّاس في "موغستان" "Mogustan" كانوا خائفين من تلك القوّة وانسحبوا إلى تلك المدينة ، ولأنّهم يقعون عند طريق القوافل فهم يمنعون القوافل من المرور ويقومون بدفع الرسوم لمصلحة الضّرائب التّابعة لمولانا الملك هُنا ، فالوضع في البصرة كما تعلم عظمتك ؛ لذلك سأكمل كلامي لعظمتك عن بقيّة أحوال تلك البلاد وسأتحدّث كذلك عن الوضع في البصرة .

أعطى "لويس فالكاو" الإذْن لـ"terradas" بأن تأخذ بضاعتهم إلى البصرة ، وعندما وصلت إلى تلك المدينة ، سمح أيضاً لحوالي عشر "terradas" يمكن أن تكون هناك ، بالمغادرَة .

بمجرّد وصولي إلى تلك المدينة ، تمّ إبلاغي أن نقيب البصرة محمّد باشا كان ينوي أن يرسل سفيراً لي ووصل ذلك السفير يوم السابع من شهر يوليو ، وهو تاجر عربيّ يدعى الحاجّ فيّاض "Fayyat" ، وهو رجل محترَم يعرفه البرتغاليّون جيّداً . سأرسل مع هذا الخطاب الذي أكتبه لعظمتك نسخةً من الخطاب المرسل لي .

بعد أن تحدّثت مع "الحاجّ فيات" عدّة مرّات ، أخبرني أنّه على استعداد أن يقسِم على القرآن بأنّ كلّ ما قاله لي كان صحيحاً من أجل أن أصدّق ما قاله ، أخبرته إن كان على استعداد بأن يقسِم فذلك أمر

جيّد جدّاً ، فأمرت أن يقوم "جارشيا ديلا بينها" "Garcia dela Benha" مترجم الحصن بإعداد اليمين المغلظّة ، وبموجب ذلك اليمين .

أخبرني أنّ السّبب الرّئيسيّ وراء قدومه هو أنّه صديق وفيٌّ للبرتغاليّين ، وبإمكانه أن يبلغني بكلّ شيء عرفه عن عياض باشا النقيب الأساسيّ في بغداد والشخص الذي أتي للاستيلاء على البصرة ، وكذلك عن محمّد باشا نقيب البصرة ، بالإضافة إلى جميع المناطق الأخرى .

قد علم أنّ عياض باشا كان ينوي أن يجعل من البصرة مركزاً تجاريّاً مزدهِراً حتّى يتمكّن من جنْي أموال طائلة لجراند ترك ، استخفّ "روستان باشا" وهو ضابط الأمن وصهر جراند ترك بأمر الاستيلاء على البصرة ، وقال إنه لا فائدة من ورائها وعبارة عن أكوام من الحطام .

أدّى ذلك إلى إشعال العداء بينهما ، وحتى قبل ذلك الوقت لم يكونوا أصدقاء ؛ لذلك السبب ، لا يألوا عياض باشا جهداً في أن يجعل البصرة مدينة رائعة حتّى تدرّ على الأتراك مبالغ طائلة من المال ، ويبذل قصارى جهده في هذا الأمر والأمور الأخرى .

سألته عن حصن البصرة ، كيف يبدو؟ هل بدأت أعمال البناء هناك؟ فأخبرني أنّه لم يتمّ عمل أيّ شيء ، سألته عن الجنود الموجودين في البصرة ، فأجاب أنّ بالحصن الذي هو مكان إقامة محمّد باشا نقيب البصرة خمسمائة جنديّ مسلح من الأتراك ، كما يوجد على البوابة قائد موكل بحراسة الحصن ، ولا يمكن لهؤلاء الخمسمائة جندي ولا لقائد حراسة الحصن مغادرة الحصن لأيّ سبب كان ، كما

يوجد بالمدينة ألف فارس تركيّ وسبعمائة جندي مسلَّح ، وبذلك يبلغ مجموعهم في المدينة ألفَين ومائتَي تركيّ .

قاموا ببناء جدار بسيط حول مسجد يقع عند مصبّ نهر البصرة ، حيث يوجد عشرة مدافع صغيرة ، ويتولّى الحراسة كل ليلة خمسون جنديّاً مسلّحاً ، عندما استولى الأتراك على حصن البصرة ، عثروا على مائتين وتسعين قطعة سلاح ، من بينها ستّين "brecos" مصنوع من النّحاس ، والبقيّة من الحديد ، علاوة على عشرين "candis" من البارود داخل الحصن ، عندما رحل عياض باشا بعد أن استولى على الحصن ترك مائة مدفع وثلاثة مدافع "باسيليسك" كان قد أحضرها معه ، وأخذ بقيّة السّلاح معه وهو عائد إلى بغداد .

كما استفسرت منه أيضاً عن الأسطول في السويس ، وأخبرني أنّ هناك أربعا وأربعين سفينة شراعيّة ، من بينها تلك التي ذهب بها سليمان باشا إلى "ديو" ، وجميعها مجهّزة ، وسألته عن نوعيّة السفن التي ذهبت إلى "موخا" وعن السبب وراء ذهابها إلى هناك ، أخبرني أن أربع عشرة سفينة بمجاديف بقيادة تركيّ يدعى "أويز باشا" جاءت من السويس ، وقد أحضر الجنود لمهاجمة ملك عربيّ يدعى "ايمون زيدي" [إمام سعيدي ؟] ومقاتلته ، ولكنه لا يعلم إن كانت تلك السّفن قد أتَت للذهاب إلى الهند ، كما لا يوجد حديث عن ذلك الأمر في البصرة .

سألته عن نوايا عياض باشا ، ومحمّد باشا ، وهل يعتزمان القيام بمحاولة الهجوم على هذا الحصن؟ فقال إنّه لم يسمع أيّ شيء عن هذا الأمر سوى أنّ الحماس يملؤهما لتوسيع تجارة البصرة ، وفي معظم اللّيالي الّتي

أرسلوا إليه فيها لم يسمع أيّ شيء عن ذلك الشأن ، وإن كانا ينويان أن يفعلا ذلك ، يمكنهما بناء العدد الّذي يريدان من السّفن في الفرات .

توجد غابات عظيمة مليئة بالأخشاب الجيّدة تفصلها عن مدينة "البيرة" رحلة تستغرق سبعة أيّام ، وأغلب تلك الأشجار هو شجر الصّنوبر الذي يمكن أن يصنعوا منه سفن كثيرة كما يرغبون ، سواء أكانت صغيرة أو كبيرة بسبب وفرة الأشجار ، تعدّ "البيرة" مدينة كبيرة مأهولة بالسّكان وتشتغل بالتّجارة مع فارس والعديد من المناطق الأخرى ، وتبعد حوالي يومين عن مدينة حلب وتقع بين فارس وتركيا .

قال إنّه يوجد طريقان من مدينة "البيرة" يؤدّيان إلى البصرة ، أحدهما عن طريق مدينة تسمّى "الحلّة" ، والآخر من خلال بغداد وهو الأقصَر ، ولكن يجفّ النهر بالقرب من بغداد لمدّة ثلاثة أشهر من العام ؛ لهذا السبب ؛ فإنّه من الأفضل إحضار السّفن من طريق "الحلّة" لأنّ المياه تتدفّق فيه على الرّغم من أنّه منخفض وأن العديد من القنوات تقطعه حتى تسير المياه خلال الحقول .

فأقلّ مستوى يصل إليه طول العام هو ما بين اثنين ونصف "bracas" إلى ثلاثة "bracas" ، الأمر الذي سيمكّن كافّة سفن "الغليون" والسُّفن أن تعبر منه مهما كان حجمها ، يستغرق الطريق من "البيرة" إلى البصرة أربعة وعشرين يوماً إذا ما سرنا مع التّيّار لأنّ الماء دائما يتدفّق في الفرات جنوباً باتّجاه البصرة ، سواء تحرّك النّهر بفعل الرّياح في هذا الطّريق أو ذاك ، فإنّه ما زال واسعًا جدّاً وعميقاً للغاية إلى الحدّ الذي يمكنه من إمداد قنوات ريّ أخرى .

قال لي الحاج فيّاض أنّ عبداً من الجراند ترك وصل مؤخّراً إلى البصرة ومعه رسالة لمحمّد باشا ، وقضى الرجل في الطريق اثنين وأربعين يوماً من "القسطنطينية" إلى البصرة ، ومن خلال اليمين الغليظة التي أقسمها علي القرآن ، كان قد أخبرني الحقيقة في كلّ شيء ، قال إنّه سيرسل إليَّ من هناك كلّ المعلومات التي جمعها ، لذلك يجب أن اتّفق معه على بعض الشّفرات حتّى أفهم منه ما يخطّطون له .

سيرسل تلك المعلومات مع ابنه ، فالحاج فيّاض وابنه يذهبون كلّ عام إلى حلب و"دمشق" و"الإسكندريّة" ومناطق أخرى عديدة ، الأمر الذي سيمكّنهم بالطبع من معرفة قدْر كبير عن أماكن سيطرة الجراند ترك ، أخبرني أنه يتعيّن عليَّ أن أصدق تلك الأشياء لأنّه ينتمي إلى طائفة ، بينما ينتمي الأتراك لطائفة أخرى ، وأنّه يتعامل بودٍّ مع الأتراك لأنّه لا حيلة له في ذلك الأمر ؛ لأنّه تاجر يعمل في تلك المناطق وأن العرب الآخرين الذين يعيشون الآن في البصرة يتّخذون الموقف ذاته .

كما أخبرني أنّ محمّد باشا يريد أن يكون صديقاً لي فقط ، وأنّهم في انتظاري حتّى امتلك الحصن حيث يجب عليَّ أن أكون هناك لمدّة ثلاث سنوات ، توسّل إليَّ الحاج فيّاض أن أحتفظ بكلّ الأشياء التي أخبرني بها باعتبارها أسراراً .

في أثناء تولّي "لويس فالكاو" ، أصدر محمّد باشا نقيب البصرة الأوامر بالاستيلاء على مكان يسمّى "الاساء" ، وهو قريب من البصرة على ساحل شبه الجزيرة العربية ، وأعطاها لعربيّ وولّاه ملكاً عليها .

طلب منّي الحاج فيّاض في مرّات عديدة أن أرسل محصّل إلى

البصرة ، حيث إنّه يقول إنّ ذلك هو السّبب الذي دفع محمّد باشا أن يرسل إليَّ وهو أكثر شيء يتمنّاه ، حيث إن القوافل والتّجّار لا يرغبون في الذّهاب إلى البصرة حتّى يتمّ إرسال محصّل إليها عن طريقي ، ومن أجل أن أحصل على النصيحة في ذلك الشأن ، وكي أقوم بما يحقّق أقصى خدمة لمصالح جلالته ، أرسلت إلى الأشخاص المهمّين في المدينة ، ويبلغ عددهم حوالي ثمانية وعشرين أو ثلاثين شخصاً ، وأمرت الضّابط الأعلى للخزانة أن يقسم قسَماً على الإنجيل المجيد ، وأن يبحثوا إذا ما كان أمر إرسالي محصّل إلى البصرة يصبّ في مصلحة مولانا الملك ، وكذلك بعض "terradas" المستعدّة هنا .

رأوا جميعا بعد القسَم أنّ إرسال رجل يُعتمد عليه إلى البصرة فكرة جيّدة حتّى يرسل إليَّ معلومات أو أيّ شيء يمكن أن يكون ضروريّ من هناك وأن أسمح لـ"terradas" بأن تغادر ، فرأيت أنّ ذلك الأمر سيخدم مصالح الملك ، حيث إنّهم لن يتخذوا أيّ قرار دون علمي ، وحتّى يتسنّى لنا معرفة الأخبار من السويس والأماكن الأخرى لأنّ التّجّار يذهبون إلى البصرة من كل حدب وصوْب ، من القاهرة و"دمشق" و"البيرة" وحلب ، ومن خلالهم سيكون من السّهل معرفة ما يتمّ وما يخطّطون له ، وسيقول العرب الذين يعيشون في البصرة الحقيقة عن تلك الأشياء حيث إنهم أعداء للأتراك .

أرسلت الآن "دومنيجوز باربودو" "Domingos Barbodo" بخطاب مرسل منّي إلى محمّد باشا ردّاً على الخطاب الذي أرسله لي ، لم أرسل فيه أيّ تعهّدات ، ولا يتعدّى كلمات تشجيع ردّاً على تلك الّتي

كتبها لي ، يجب أن أكون دائما سيفاً في اليد إذا تعلّق الأمر بـ البصرة ، فكلّما أرسل إليّ المزيد من الكلمات كلّما أصبحت أكثر شكّاً وازددت ارتياباً ، يتمتّع "دومنيجوز باربودو" بسمعة طيّبة هنا في هرمز وهو واسع الاطّلاع وليّن المعشر .

العرب والتّجّار يعرفونه جيّداً في البصرة ويتمتّع بخبرة واسعة عن البلاد ، وتعديلاً لرأي هؤلاء الأشخاص الذين يرون أنّه يجب أن يكون في البصرة ، فأنا آمره أن يكون هناك ولا تتعدّى مدّة بقاؤه هناك أكثر من ثلاثة أشهر ، في ذلك الوقت يمكنه أن يطلع على كلّ شيء في البصرة وستصله الأخبار من التّجّار القادمين من "الإسكندريّة" وكافّة المناطق الأخرى ، وسيعود إلى هنا في بداية شهر نوفمبر ، وبذلك يتمّ تنفيذ ما تراه عظمتك ضروريّاً فيما يتعلّق بالأمور الخاصّة بخدمات جلالته .

يقول المحاربون القدامى في تلك البلاد أن حوالي ستّمائة حصان تصل من البصرة كلّ عام ، وتدفع الرسوم المفروضة عليها في "غوا" كما تعلم عظمتك ، وكانت العقاقير التي وصلت من الهند هذا العام قليلة للغاية ، ولا يريد أيّ تاجر أن يشتري كمّيّة ضئيلة منها .

عندما قدموا من البصرة قاموا بشراء كمّيّة كبيرة منها ولا يوجد أيّ مكان آخر لترويجها غير البصرة ، حيث إن الكمّيّة التي اشتراها الشيخ إسماعيل من العقاقير لم تصل إلى عشرة "cadis" .

طلب منّي الحاجّ فيّاض أن أكتب إلى عظمتك عن ثلاثة من أبناء إخوته يقيمون الآن في "غوا" ، أحدهم يدعى جابر إكرام ، والآخر شادي سوار إكرام ، والثّالث عباس كايال ، فقد غادروا هرمز في

سفينة "غليون" تابعة لـ"كامباي" "Campay" التي أعتقد أنها تلك التي استولى عليها "أنطونيو مونيس" "Antonio Mones" ، وحيث إن الحاجّ فيّاض يُظهر ولاءه لخدمات الملك وعظمتك ، فإنّه يستحقّ كلّ الخدمات التي ستأمر عظمتك أن يحصل عليها ؛ لأنّه إن كان صادقاً في ذلك ، ستحصل على كلّ أخبار الأتراك ونواياهم .

قد أرسل لي ضابط الأمن في "قلهات" والشيخ رابية وهو محصّل "قلهات" أخبار من المضيق ، يخبرونني أنّ الشيخ عبد الله قد جاء من عدن و"terrada" أخرى ، وهم بانتظار وصول نقيب بصحبة ثلاثة آلاف تركيّ ، وعشرين سفينة شراعيّة ، وسفينتَين "غليون" قادمين من ميناء السويس ومتّجهين إلى ميناء "موخا" ، وقد أصدرت لهم الأوامر ليقوموا بالسّيطرة على كافّة الأراضي التي تقع تحت سيطرة الإمام سعيدي وهو حاكم في تلك المناطق من شبه الجزيرة العربيّة .

قبل وصول هؤلاء الأتراك ، يبدو أنّ أحد أبناء الإمام سعيدي الذي يملك القوّة القتاليّة البشريّة لوالده تحت إمرته قد تشاجر مع والده حيث إنه لا يريد أن يقاتل والده الأتراك ، وعندما وصل الأتراك ، قاموا على الفور بالاستيلاء على حصن "تعز" وكذلك على خمسة حصون أخرى ، بعضها من خلال القتال والأخرى عن طريق الخدعة .

لكنهم لم يتمكّنوا من السّيطرة على حصن صنعاء ، وعلى الرّغم من أنّ الابن على شقاق مع والده ، عندما رأى أنه يفقده بلاده ، عاد إلى والده واصطلح معه ، وفي إحدى الليالي قام بتجهيز رجاله وهاجم الأتراك وقتل أربعمائة من فرسانهم .

قال إن هناك عشر أو اثنتي عشرة سفينة على استعداد للمجيء إلى مسقط و"قلهات" مع الرّياح الموسميّة القادمة ، أي في خلال ثلاثة أشهر ، حيث إنهم قدموا العام الفائت ، ولا يوجد شكّ في ذلك ، يوجد ثلاث سفن جاهزة في عدن ، وستأتي البقيّة من ميناء "موخا" ، قال الشيخ عبد الله إنّه لا يوجد شكّ في مجيئها ، وأخبره العديد من أصدقائه أنّه بما أنّ تلك السّفن ستأتي لا محالة ، يجب عليه أن ينقل مكان إقامته من "قلهات" .

لم يتبق برتغاليّ واحد في "قلهات" العام الماضي على الرغم من قدوم أربع سُفن فقط ، وقام بطردهم من الميناء باعتباره ضابط الأمن في "قلهات" وذلك بموافقة الملك ، ولم يسمح لهم أن يظهروا في أي مكان من البحر ، فإذا جاءت عشر أو اثنتي عشرة سفينة ومعهم العديد من الجنود ، يجب عليَّ أن أساعده على مواجهتهم عن طريق البرتغاليّين والبرابرة ، ولم يبق سوى شهرين ونصف على مجيء هؤلاء الأتراك .

في نهاية شهر يونيو ، وصلت سفينة "غليون" إلى هرمز قادمة من "مكّة" وأحضرت تاجراً من السكّان الأصليّين يعيش هنا في هرمز ، وأخبرني أنه جاء عن طريق "موخا" وأنّه يوجد حوالي سبعة أو ثمانية مراكب بمجاديف هناك ، ولم ير غيرها أخرى .

لكن أبقاه الأتراك هناك لمدّة ثلاثة أيّام دون السّماح له بالخروج من البوابات ؛ لذلك لم يستطع أن يذهب ويحذّر السّفن التي أرسلتها عظمتك إلى المضيق ، والسّفن جاهزة وفي انتظار وصول السّفن التي أرسلتها حتّى تدخل من البوابات ، فهو يرى أن السّفن الثماني كانت في طريقها إلى "قلهات" ومسقط .

حيث إنّني أرى أنّ تلك المعلومات صحيحة ، أمرت تسع سفن و"cature" هنا أن تستعدّ لتبحر إلى مسقط في نهاية هذا الشهر وهو يوليو حتى تكون في انتظار السّفن التّركيّة تلك إن جاءت في أغسطس أو في بداية سبتمبر ، فأنا أرسل الآن إلى الشيخ رابية ولضابط الأمن في "قلهات" لإعداد أفضل "tarranquis" التي لديهم هناك ، وهي مراكب يمكن أن تحمل عشر أو اثني عشر برتغاليّاً وسهلة في تجديفها .

وأخرى إن أمكن تحمل رماة سهام عرب حتّى يكونوا عوناً في حال الاحتياج إليهم ، وأخبرتني السّفن التي جاءت إلى مسقط بعد أن غادرتها أنّ هناك قرابة الأربعين أو الخمسين برتغاليّاً هناك ، وستكون مساعدة جيّدة لحملهم على متن السّفن في حال الحاجة إليهم ؛ لمقاتلة أولئك الأتراك بعون الرّبّ إن قدموا لمهاجمة مسقط ، وسيمنحنا الرّبّ نصْراً ساحقاً عليهم .

أرى أنّ إرسال تلك السّفن يصبّ في مصلحة جلالته وعظمتك ، حيث إن السّفن الراحلة من هنا متّجهة إلى الهند تحمل اثنين أو ثلاثة برتغاليّين ومبلغاً جيّداً من المال ، وإن استولى أولئك الأتراك على أيّ غنائم في مسقط ، وخاصّة إن وجدوا السّفن محمّلة بالكثير من "xerafinsu" و"tangas" ، سيأخذون تلك الغنائم إلى المضيق ، الأمر الذي سيشجّعهم على القدوم إلى مسقط كلّ عام .

رأى "دوم بايو" أنّه ينبغي عليه أن يبقى هنا ، وطلب منّي ذلك الأسطول لأنّه يرى أنّه بذلك سيخدم الملك ، فأعطيته إيّاه ، وهو يبحر به كقائد له ، والنقباء والجنود الذين معه رجال مهذّبين ويعتمد عليهم .

توجّهت اثنان من أسرع "caturs" في بداية شهر أغسطس لحراسة "رأس الحدّ" ومراقبة السّفن القادمة من المضيق ومعرفة عددهم وأن يسبقوهم لتحذير الأسطول بتوجههم إلى مسقط .

إن لم تأت تلك السّفن من المضيق ، فهناك الكثير لفعله عن "the Nodhaki" ، فهم شجعان للغاية فحينما قامت سفينة برتغاليّة يبحر بها "أندريا كورتس" ومحمّلة بشحنة كبيرة من البضائع القيّمة بالاقتراب في مياه ضحلة قبالة جزيرة مصيرة لم يحالفها الحظ وتحطمت هناك ، وسرق "nodhaki" كافّة البضائع من السفينة وقتلوا كلّ البرتغاليّين ، ولم ينج سوى "أندريا كورتس" وزوجته وابنته عن طريق الفدية بعد ذلك .

فقدَ "أندريا كورتس" كلّ ما يملك ، ونجا لأنّه قاتل جيّداً ، ولكنّه تلقّى ثمانية جروح شديدة من السّهام ، فلَم يدعوه في " parau" التي أنقذته "a partido" ، وعلاوة على ذلك ، فقد استولوا على قرية تابعة للبرابرة ، وجرحوا رجالاً أثناء القتال .

بسبب تلك الأمور والأفعال الأخرى التي يقومون بها كلّ عام ، سيذهب هذا الأسطول بمساعدة الرَّبّ ليقيم غرب ساحل "nodhkai" وحرق ما يستطيعون حرقه من "terradas" .

يبحر ذلك الأسطول كلّ عام لمرافقة سفن "الغليون" ، وستكون تحت خدمة عظمتك في هذين اليومين لمهاجمة سفن الأتراك وكذلك للحراسة كما كانوا يفعلون كلّ عام في الماضي .

سأكتب لعظمتك من خلال قنوات أخرى عن الأمور الأخرى المتعلّقة بتلك البلاد .

أقبِّل يدي عظمتك ، واسأل الرَّبّ أن يبارك في عمرك ويوسّع ملكك ،

من هرمز ، الثّالث والعشرين من شهر يونيو ، عام ١٥٤٧م .

وفي العام نفسه (١٥٤٧م)

بعث "مير برويز" رسالة إلى الحاكم ، هرمز ، في يوم السّادس عشر من شهر يوليو ، عام ١٥٤٧م ، يشتكي فيها من الريس شرف ، لأنه يلحق الضرر به وبأقاربه : [١٧]

سيّدي ، في أثناء الرّيح الموسميّة الماضية ، تمّ تسليمي رسالة من سيادتكم بيد خادمكم "بالتاسار رودريجيز" "Balthasar Roderigues" ، هذه التي قبلتها واستوعبتها بعيني وعقلي ، والتي قد احتفظت بها في قلبي لأنّني اعتبرته أنّه هو المكان الأكثر أماناً .

بالنسبة للمعروف الذي تفضّلتم بفعله لي في هذه الرسالة في الثّناء عليَّ لدى "دوم مانويل دي ليما" ، وفي المذكرة التي أعطيتموها له عن هذا بأنّه يجب ألّا يسمح لريس شرف بأن يعاملني معاملة سيّئة وأنّه يجب أن يكون صديقي ، وأنا خادمه ، حقّاً سيّدي ، إنني أدين بكلّ شيء لسيادتكم ، وأقسم لكم بشرفي أنّني مستحقّ للأفضال

(١٧) رقم الوثيقة والهامش.

الّتي تمنحوها لي ، لأنّه لا يوجد لي سيّد سوى ملك البرتغال ، سيّدنا ، وسيادتكم .

في خدمتكم أدعو لكم بطول العمر عشرين مرة – لو امتلكت الكثير جدّاً – وأن يمنحني سيادتكم هذه الأفضال الكثيرة التي أتلقّاها في كلّ يوم وأتمنى تلقيها ، عن هذا اليوم لم أشعر بشيء من ريس شرف إلّا الاستياء والرّغبة في أن يلحق الضّرر الشديد بي وبأقاربي ، هذا ما قد لاحظته فيه .

أرغب الآن في أن أقدّم تقريراً يتعلّق بوظيفتي ، ووسائل كثيرة أخرى مؤثرة في نفسي وأولاد إخوتي وأقاربي ، سوف أخبرك بعدد قليل منها ، وهو قد تصرّف بالضّبط كما يريد . يبدو لي أن "دوم مانويل" لم يتحدّث إليه حتّى الآن عن المسائل التي تتعلّق بي .

من الآن فصاعداً أرجو أن يساعدني نيابة عن سيادتكم ، وأنّه سوف يمنحني أفضالاً لأنّه إذا لم يفعل فإنّني سوف أعاني كل نوع من المشاكل والعار حتّى ينصفني سيادتكم .

إنّني غير عاجز على أن أخبر سيادتكم بمقدار الشِّدة التي يقوم الريس شرف بفرضها في هذه الأرض ، وإنني بحقّ أخشى ألا يتم الاستفادة من أيّ شيء بالنسبة للشعب أو سيدنا الملك ، من الممكن أن تكون مرّات عديدة من التّوبيخ من سيادتكم ملائمة وليست الأفعال الحسنة ، لأنّه بالنسبة لنا هي (...) .

أطلب من سيادتكم السّماح لي لكي أتحدّث بإسهاب أكثر وبتأكيد أشدّ عن هذه المسائل ، لأنّه بدون إذْنكم لا أستطيع أن أفعله ، لأنّني

لا أعرف ما أستطيع أن أعتمد عليه ، أعرف بالتأكيد أن سموّه في تلك الأثناء يحقّق مكسباً قليلاً جدّاً من هذا الموقف ، حتّى أحصل على ذلك الإذن .

أدعو الله الذي خلَقَ الدّنيا بأكملها أن يزيد في ملككم وأن يطيل في عمركم .

هرمز ، في يوم السّابع عشر من شهر يوليو ، عام ١٥٤٧م .

عبد وخادم سيادتكم .

"ميرا بيروز"

وفي العام نفسه (١٥٤٧م)

بعث "أفونسو" ، "أندريه كورتيس" رسالة إلى الحاكم "دوم جواو دي كاسترو" ، هرمز ، في يوم السّادس عشر من شهر يوليو ، سنة ١٥٤٧م ، يروي فيها مأساته بين "قريات" ومسقط : (١٨)

سيدي ، بعد أن انتصرت في معركة "ديو" والشّكر لله القادر جئت إلى "غوا" ، رغم أنّني كنت مريضاً ، وأثناء وجود "دوم مانويل دي ليما" قائداً لـ"ديو" ، كتب إليَّ يقول أنّ سيادتكم قد منحتموني شرف منصب القائد "مور" "Moore" في "ديو" ، بارك الله في سيادتكم لأنّ لكم هذا الرأي الطيّب في شخصي حتى تنعموا عليَّ بهذا الشرف .

لكن لأنّي كنت مريضاً جدّاً ، لم أستطع العودة إلى "ديو" لأكون في خدمة سيادتكم ، وقد أمرتم سيادتكم "دوم مانويل دي ليما" بالذهاب إلى هرمز ليتولّى منصب القائد هناك ، وفي "غوا" أيضاً .

(١٨) رقم الوثيقة والهامش.

قد أشار عليّ أن أكتب لسيادتكم أنّه سيأخذني معه لأخدم في منصب القائد "مور" في هرمز طِبقاً لما جاء في رسالة سيادتكم له ، وفي "قلهات" تسلّم الرّسائل التي كان قد كتبها من قبل لأنّه يريد أن أخدم مولانا ، جلالة الملك في منصب القائد "مور" في قلعة هرمز .

بارك الله في سيادتكم من أجل هذا الشّرف الذي منحني إيّاه السيّد "مانويل دي ليما" ، لقد عيّنني "دوم مانويل دي ليما" ، سيّد وقائد هرمز ، في نفس اليوم ونفس السّاعة التي تولّى فيها منصبه كقائد هرمز ، وأنا مازلت أقوم بخدمته هناك ، وسأقبّل أيادي سيادتكم إذا أرسلتم أمراً بإصدار رسالة تعيّيني في منصب القائد "مور" في قلعة هرمز .

لقد جئت إلى هنا في واحدة من سفن "خورخي غونسالفس" "Jorje Goncalves" ومعي زوجتي وابنتي و ...... ، الذي يعدّ واحداً من أهل بيتي .

أثناء فترة الحراسة اللّيليّة الثّالثة جنحت السفينة ونحن نقترب من الطرف الشمالي من جزيرة مصيرة ، فقد دخل مرشد السفينة في المياه الضحلة فتحطمت السفينة وتحطّمت معها جميع البضائع التي كانت تحملها ، ورغم أنّي لم أكن أرتدي إلا بنطلوناً قصيراً وسترة ، فإن الرَّبّ أنقذني بإحدى معجزاته ، واستطعت بصعوبة بالغة أن أنقذ زوجتي وابنتي .

بعد أن تحطمت السفينة هجرها البرتغاليّون ولجأوا إلى قارب النّجاة وتركوني وزوجتي وابنتي على ظهر السفينة الغارقة ، وقد توسّلت إليهم عدّة مرّات لكي يأخذونا معهم ..... ، ولو استطاعوا أن يستديروا

إلى جانب السفينة المقابل للريح ، لكنّني ألقيت إليهم بكل الأسلحة الموجودة في السفينة وكل شيء آخر حسب ما أستطيع ، ولكنت بقيت على ظهر السفينة حتّى الصباح إذا كانوا سيأخذون معهم زوجتي وابنتي بعيداً عن السّفينة ، وقد قالوا إنهم سيفعلوا .

بما أن السّفينة كانت بالفعل قد .... ، جدّاً فذهبت إلى سطح مؤخّرتها ، وابنتي بين ذراعيَّ وزوجتي تتشبّث بيديَّ ، وكانت مؤخّرة السفينة قد أصبحت ممتلئة بالماء .

طلبت من الرّجال أن يعودوا ليأخذونا معهم ، ولكنّهم لم يفعلوا واستمرّوا في طريقهم ، تحرّكنا ليأخذونا معهم ، ولكنهم لم يفعلوا واستمرّوا في طريقهم ، تحرّكنا نحن الثّلاثة إلى جانب السفينة المقابل للريح ، لأن الجانب الآخر المحميّ من الريح كان قد انخفض جدّاً في الماء ، كان البحر شديد الهياج ، وفجأة سقطت الصواري فانشقت السفينة في منتصفها وتحطّمت إلى عدّة أجزاء ، وبأعجوبة نجينا بفضل الله القادر ، ومريم العذراء المقدّسة ، أم الإله ، سيّدتنا .

في الصبح أصدرت أوامر فوريّة لعمل طوف لكي أستطيع الوصول إلى الشّاطئ .. ، وناديت على المسيحيّين السّود ، الرّجال والنّساء ، الذين أحضرتهم معي ، وواصلنا العمل في مشروع الطّوف فجمعت ستّة رماح من تحت سطح مؤخّرة السفينة ، وفي هذه الأثناء .

رجع قارب ليلتقينا فركبت فيه ، واقترحت أن نأخذ معنا بعض البنادق والمؤن ، ودورقاً للماء أيضاً ، ولكن "البرتغاليّين" الذين رجعوا لكي يلتقونا قالوا إنّ هذا غير ممكن لأنّ البحر كان هائجاً جدّاً ، وأكّد

مرشد القارب على ذلك ، وقال إنّه في تلك اللّيلة يريد أن يدور حول "رأس الحدّ" ، وبعد أن اجتمعنا كلّنا في قارب النّجاة .

الرّجال والنّساء المسيحيّون ، والأطفال والبحّارة ، واصلنا طريقنا في اتّجاه "رأس الحدّ" .

في ذلك اليوم اصطدمنا بخمس طرادات يقودها القراصنة ، ولم يكن معنا أيّ أسلحة إلّا الرّماح السّتّة ، التي استنقذتها وأنا أخوض في مياه البحر ، اقتحم زعيمهم قاربنا ، ولكنا استطعنا أن نأسر طراده ، وتلقّى أحد إخوته طعنتان بالرّمح ، وتقريباً الرجال الآخرون أيضاً ، وجرحَ ثلاثة منهم ، لقد صعدنا على ظهر طراده ولكنّا نحن الثلاثة كنّا جرحى ، تولّيت مسؤوليّة العناية بالطراد والقارب وأيضاً حماية زوجتي وابنتي ، ولم أغفل عن مراقبتهما لحظة واحدة .

ونحمد الرَّبّ على أن الطرادات الأخرى لم تكن لديها القوّة الكافية للهجوم علينا ، وقد وعدوا ثلاث أو أربع مرّات بأنّهم لن يقاتلونا مرّة أخرى ، وقال زعيمهم أنّهم لن يقاتلونا وأنّه يريد أن يصعد على ظهر الطراد بلا سلاح لكي يقابلني ... ، وأقسَمَ أنّه سيبقي على حياتنا نحن الثلاثة ، زوجتي وابنتي وأنا .

كان يقوم بالتّرجمة بيننا رئيس بحّارة السّفينة وهو مواطن فارسيّ ، وكان ردّي على رئيس البحّارة هذا أنّني لا أريده أن ينقل لي أيّ رسائل أخرى من هذا الكلب اللّص ، وعلى أثْر ذلك سدّدوا سهمَين على ذراعي اليمنى ، واخترقه أحداهما في مكان حساس جعلني غير قادر على استخدامه بعد ذلك .

مع قدوم الليل ، وبعد أن رأيت أنّني مصاب من أثر السهام الثمانية التي صوبها نحوي القراصنة ، وأنني أصبحت وحيداً ... ، وليس معي إلّا رمح واحد ، وبعد أن هرب جميع البحّارة مع أحد البرتغاليّين إلى البرّ ... ، عندئذ سمحت لزعيمهم أن يصعد على ظهر السفينة دون سلاح وأن نتحدّث ، وقد اضطرّتني الظروف للوصول معه إلى اتّفاق .

أخذته إلى مقدّم السفينة وأظهرت له زوجتي وابنتي ، كانوا يدعونه السيّد ... ، وكان في نحو الخمسين من العمر ، وفي هذه اللّحظة ، اقتحمَ كلّ الشياطين السّفينة وصعدوا على ظهرها ، وكانت زوجتي أوّل شخص أرادوا أن يقتلوه ، أحَد اللّصوص هاجم ابنتي بخنجر ، فتوسّلت إليه أن يبقى هادئاً ، وأعطيت ابنتي العزيزة ، الصغيرة الجميلة ....

طلبت من زوجتي أن تعطيني ... ، وأن تكون مطمئنّة إلى أن الصليب الذي تضعه حول عنقها سوف ينقذنا ، كان يساوي أربعين أشرفيّاً وأعطيته للزعيم ، ورجوته الآن أن يحترم باقي بنود الاتّفاق ، وذكّرته بأنّني رجل عجوز ابيضّت لحيتي ، فقال إنه سيحترم الاتفاق ، وسيستجيب لطلباتي ، وبناء على ذلك طلبت منه أن يسمح لنا أن نصعد على ظهر طراده أنا وزوجتي وابنتي فوافق على مضض ، بعد ذلك قتلوا البرتغاليّين السّتّة الباقين .

أخذني القراصنة إلى اليابسة وأرادوا قطع رأس ، وسألوني إذا كنت أريد أن أصبح مسلماً؟ لا ، لا أنا ولا زوجتي ولا ابنتي ، ثم قلت لهم أنّنا نحن الثلاثة نريد أن نفتدي أنفسنا ، ثم ذكّرت الزعيم بأن مولانا ملك البرتغال ، بدافع من عطفه ورحمته ، قد منح مقابلة للريس شرف ، الذي

وصل إلى البرتغال ، واستقبلوه بصفته رجلاً مسلماً ، وهو واحد منهم ومن بلادهم .

عندئذٍ قرّر القراصنة أن على الريس شرف أن يقدم لهم مبلغ أيك واحد من الأشرفيّ ، وثلاثين زرديه (درع) ، وثلاثين سلّة من الغلال ليكون هذا كلّه فدية لي ولزوجتي ولابنتي ... ، فأخبرتهم أن ... ، سوف يعطيهم الزّرديات ولكن لا توجد غلال إلّا في البرتغال ... ، وقلت إنّ الريس شرف سوف يعطيهم إيكاً من "الأشرفيّ" ، وإيكاً من "اللارينز" ، فقالوا إنّهم سوف يصطحبوني إلى "غوا" ومن هناك أستطيع أن أكتب رسالة إلى هرمز .

في الصّباح التّالي ذهبت لرؤية زوجتي وابنتي ، وكانت جروحهما لم تشف بعد ، وأخبرتهم بما تمّ الاتفاق عليه ، وشكرنا الله القادر ، وأم الإله ، العذراء مريم المقدّسة ، على ذلك .

أثناء رحلتنا قابلنا خمسة طرادات أخرى ، يقودها مجموعة من القراصنة ، وكانت تحمل كمّيّات من الذّهب ، وكانت هذه الطرادات جزءاً من شركة هذا الزعيم ... ، وكانت متّجهة في طريقها إلى داخل البلاد عن طريق "رأس الحدّ" ، وكان من عليها من القراصنة قد اشتبكوا في معركة مع سفن "تانوس" الخواجا شمس الدّين وجرحوا تقريباً كلّ رجاله .

مع ذلك ، وبسبب الرّياح الشّديدة لم يستطيعوا أسر السفينة ، وكانت السفينة تحمل مجموعة من القواسين ، ومدفعاً واحداً قصيراً وبندقيّة واحدة ، وقد شعر الزعيم بالغضب لعدم استطاعة رجاله أسر هذه السفينة "تانو" .

لكن بعد عدّة أيام من هذه الحادثة ، استطاع رجاله أن يستولوا على طراد كان في رحلة من "ظفار" ، فخفض هذا من غضبه ، وأخذوا يقتسمون الغنائم فيما بينهم .

عندما رأيت أنهم في حالة نفسيّة جيّدة طلبت منهم أن يخبروني كم "برداوساً" من الأيك الواحد من الأشرفيّ ، يوجد في الأيك الواحد مائة وعشرين ألف "برداوس" ، وفي هذه اللّحظة ، رأينا نحن الثلاثة أنّنا في خطر داهم وشعرنا بالقلق الشّديد .

بعد بضعة أيّام أخرى ، ذكّرتهم أنّه في هرمز فإن الأيك الواحد يساوي مائتين وخمسين "تانجاساً" ... ، وعليه ، فإنّ مبلغ الاثنين "أيك" يساوي خمسمائة تانجاس ، وأنّنا عقدنا الاتّفاق بيننا على هذا الأساس ، وأخبرتهم أيضاً أنّني سأعطي لهم هذا المال في بلدة "قريات" ، وتوسّلت إليهم أن يصطحبوني إلى هناك ، وأكّدت لهم أنّنا لن نقوم بأيّ أعمال انتقاميّة طوال فترة الاتفاقيّة ، وقد وافقوا على الوفاء ببنود الاتفاقيّة ... ، وكانت هذه الموافقة معجزة من الله القدير وسيّدتنا ، أم الإله ، العذراء المقدّسة .

أخبرني الزعيم أنّهم علاوة على تنفيذ بنود الاتفاقيّة لن يقطعوا رأسي ، لأنّني قدّمت لهم معروفاً كبيراً جدّاً ، وسألني أليس كذلك؟ فقلت له نعم هو كذلك .

اصطحبني هذا المسلم رفقة ثلاثة طرادات إلى بلدة "قريات" ، ووصلنا هناك في نهاية الحراسة اللّيليّة الثّالثة ، فطلبت منهم أن يحتفظوا بابنتي ، وتركنا لهم برهاناً ودليلاً على أنّني لن أخدعهم ، ومع بداية النّهار ذهبت في الحال لمقابلة نائب ملك هرمز .

بمجرّد أن رأوني من بعيد وقبل أن تتّضح ملامحي ، بدأوا في قرع الطّبول وإطلاق السهام في اتجاهي ... ، ولكن عندما اكتشفوا أنّني برتغاليّ وعرفوا شخصيّتي الحقيقة توقّفوا ، وكان "دوم مانويل دي ليما" قد كتب لهم من قبل وآخرون كثيرون أبلغوهم أخباري في "قلهات" ، وكذلك أمر "دوم ليما" القائد الأعلى للجيش بالذّهاب فوراً إلى مسيرة .

كتب أيضاً إلى كلّ المسئولين المتواجدين على امتداد الساحل عن المخاطر المأساوية التي وقعت لي ، وبما أن "دوم مانويل" كانت لديه كلّ المعلومات الخاصّة بي ، فقد سألني ماذا أريد؟ قلت له أنّي أريد أن يعطيني كل النّقود المطلوبة على الفور . أنّ له أن يجرّد الأشخاص من ممتلكات أزواجهم وأشياء بناتهم حتّى يكون لديَّ كلَّ شيء جاهزاً .

أخبرته أنّني سأكتب لسيادتكم عن "دوم مانويل دي ليما" ، وكم هو خادم مخلص وأمين لمولانا الملك السّامي الجبّار .

قد طلبت منه أن يرسل بعض الوجبات الخفيفة للقرصان الذي كان قد طلبها من سيادتكم ، وأخبرته أنّ الاتّفاقيّة طالما كانت سارية المفعول ، فلا يجب أن تحدث أيّ أعمال انتقاميّة ضدّ القراصنة .

قد وافق على طلبي ، ثمّ ذهبنا إلى القلعة وإلى مدينة "قريات" لنتفاوض من أجل الحصول على النقود .

هذا ما قام به السيّد "مانويل" : جرّد الأشخاص من أشياء بناتهم وممتلكات أزواجهم ، كما قام كلّ المواطنين في المدينة طواعية بمساعدتي .

قد ساعدني كثيراً مبلغ الخمسمائة "تاراس" الّتي أرسلتها إلى السيّد

(الزعيم) ... ، ولم أقابل هؤلاء القراصنة مرّة أخرى ... ، وبقينا كلّنا ... ، والحمد لله القادر ، ولسيّدتنا أم الإله ، العذراء المقدّسة مريم ، لأنّهما خلّصانا من بين أيدي هؤلاء الشياطين .

لقد أسروا ستّة وعشرين منّا ، وستظلّ هذه الحادثة محفورة في ذاكرتي إلى الأبد ، لأنّي كنت أستحقّها فعلاً لتخلّصني من خطاياي والحمد للإله السيّد .

بعد ذلك مباشرة رحلت إلى مسقط ، ومعي زوجتي وابنتي ، واصطحبت نائب ملك هرمز معي أيضاً ، وقد غادرنا في إحدى السّفن الكبيرة التي يملكها "دوم مانويل دي ليما" ، التي كانت قد وصلت هناك .

في صباح اليوم التّالي ، جاءت إحدى سفن الأسطول ، وعلى متنها "جونسالو فالكاو" "Goncalo Falcao" الذي كان يشغل منصب القائد الأعلى للقوات البحريّة ، جاء ليراني ويحضر لي النّقود التي طلبتها منه في "قريات" ، ركبنا هذه السفينة "الكاتور" أنا وزوجتي وابنتي ومعنا نائب الملك ... ، وعندما وصلنا إلى مسقط دفعت لنائب الملك النّقود التي كنت استدنتها منه ، دفعتها له كاملة غير منقوصة ، وعاد بعد ذلك إلى منزله بعد أن طلب منّي أن أبحث له عن زوجة ، وفعلاً عثرت له على زوجة في يوم واحد .

سأقبّل أياديكم يا سيّدي ، إذا شرّفتموني وأمرتهم بدفع مرتّبي ، وهو طِبقاً لقائمة المدفوعات الكاملة التي وقّعها نائب ملك البرتغال المجد له ما زال مستحقّاً لي ، لقد كنت دائماً مخلصاً في خدمة مولانا الملك : عندما هرب المماليك في معركة "ديو" ، وكذلك في الأسطول الذي ذهب إلى السويس ، ولعلّ سيادتكم تتذكّرون أنّني قمت بهذه

الأعمال دون أن أحصل على أيّ مزايا غير تلك المزايا التي أنعمتم بها عليَّ .

إذا منحتموني سيادتكم هذا المعروف فقط ، فإنّه سيكون كثيراً جدّاً بالنسبة لي ، فأنا في حاجة ماسّة إلى هذا المرتّب الذي يأتي في وقت لم تعُد لديَّ فيه أيّ أموال ، ولم أعُد أملك إلّا بضعة أعمال صالحة ومشرّفة قد قمت بها .

إذا شرّفتموني بهذا المعروف فإنّي أرجو إرسال المرتب إلى الوسيط التّجاري في هرمز ، وسأقبّل أيادي سيادتكم .

أودّ أن أقـدِّم لسيادتكم بعض المعلومات عن "دوم مانويل دي ليما" ، سيّد وقائد هرمز : إنّه شعلة من النّشاط ، ومن أكثر السّادة نبلاً ، وصدّقني ، يا صاحب السّيادة.......... ، إنّ كبير الأتراك لديه من الأموال أكثر منه.............. ، إنّ "دوم مانويل" ينام على سرير ضيّق صغير في شرفة القلعة ، وفي كلّ يد سيف ذهبيّ ، وعندما يجيء اللّيل ، أحمل إليه مفاتيح القلعة ، بمجرّد أن يتمّ إغلاق البوابات ، فيأخذها منّي ويضعها تحت ظهره .

أقبّل أيادي سيادتكم ، وأدعو الله أن يضاعف سنوات حياتكم ، وأن يزيد من أملاككم الملَكيّة .

هرمز ، في السّادس عشر من شهر يوليو ، عام ١٥٤٧م .

"أفونسو"......... ... .

وفي العام نفسه (١٥٤٧م)

بعث ريس شرف الدّين رسالة إلـى حاكم الهند ، هرمز ، في يوم السّابع عشر من شهر يوليو ، عام ١٥٤٧م ، يذكر نشاطه منذ عاد من البرتغال : [١٩]

سيّدي ، لقد تلقّيت أفضالاً عديدة جدّاً من سيادتكم منذ أن غادرت "البرتغال" دون الحصول حتّى الآن على الرسائل التي تساعدني على خدمتكم بالكتابة إليكم وتقديم تقرير عن نفْسي .

أعتقد أنّه من الصّحيح ألّا أكون ناكراً للجميل ، لأنّه بالإضافة إلى واجبات وظيفتي التي تجبرني على أن أرسل إليكم تقريراً عن دولتكم هذه ، فإنّني أمتلك التزاماً إضافيّاً لكي أفعل هذا ، كما أقول ، وأن أخدمكم طالما دامت الحياة .

الشكر لله ، أنّني وصلت هرمز بالسلامة في يوم الرابع عشر من شهر

(١٩) رقم الوثيقة والهامش.

مايو ، في وقت واحد مع الـ"دوم مانويل دي ليما" قبطان هذه المدينة ، والسّفن الأخرى التي أبحرنا معها ، فيما عدا سفينة واحدة كانت مفقودة ، هذه التي كان يبحر فيها "أندريه كورتيس" ، شاء الله بفضله أن تمّ إنقاذه هو وزوجته وطفلته ، وفي مقابل هذا ، فعلت ما استطعت مع رسائلي لكي يكون هنا ، شاغلاً لمنصبه .

بمجرّد أن وصلت إلى هنا ، عرضت مراسيم سموّه ، وتلك التي لدى سيادتكم على "لويس فالكاو" ، الذي لم يعقني في شيء سوى أنّه سلّم كلّ شيء بجدّ شديد وسرور .

فقرة : ذهبت لكي أقبّل قدمي الملك "تورون شاه" سيّدي ، وتسلّمت منه عدداً كبيراً من المكرمات والمعاملة الحسنة ، وبعد ذلك - واضعاً في الاعتبار السّنوات العديدة التي قضيتها خارج منزلي ، والنفقة الكبيرة التي سبّبها هذا لي ، وعمري الكبير ، وديوني - منَحني أرضاً لكي أعيش منها في "قلهات" ، والوزارة هناك من أجلي وأطفالي وأصفادي .

أعرف أن كلّ هذا لا يمكن أن يحدث بدون الحظّ السعيد ، والفضل الذي منحني إيّاه سيّدنا في كوني منعماً عليَّ من قبل سيادتكم ، لأنه من أجل سيادتكم كان حصولي على تكريم عظيم ومعاملة بشكل حَسن من قِبل كلّ فرد .

فقرة : الشّكر لله ، كلّ أخبار المملكة جيّدة ، على الرغم من أنّني وجدت في "موغستان" رجالاً من (الحسا) في أرض ملك هرمز ؛ انتقاماً لما قد تمّ فعله من قِبل قلعة "لار" (في العام الماضي) ... ، تمّ الوصول إلى

اتفاقيّة فور وصولي إضافة إلى الرسائل التي كتبتها في الحال ، وإن شاء الله سوف يتم فعل كل شيء بشكل ملائم لخدمة جلالتكم .

يوجد الخواجا "موغور" "Moguor" بينما يتمّ القيام بإكمال المهمّة ، وسوف يتم تسليم القلعة ، سوف أكتب إلى سيادتكم فيما بعد .

فقرة : أرسل الأتراك الذين هم في البصرة ، أعني (الوالي) بلال ، محمّد باشا سفيره إلى هنا ليطلب السلام مع رسائل وأحاديث عن الصّداقة القويّة ، أتى مع هذه السّفارة (البعثة) فيّاض قبطان قوافل اعتاد أن يأتي معهم من تركيا بشكل متكرّر .

ناقشني القبطان هذه القضيّة مع كل قادة هذه المملكة ، وتم الاتفاق على أنّه ، حتى تأتي رسالة من سيادتكم ، من الضروريّ أن نردّ برفق ، وأن نسمح للطرادات والتّجّار أن يغادروا .

نصحت القبطان في هذا ، وطلبت منه نيابة عن سيادتكم ، أنه حتى تأتي رسالتكم ، يجب أن يتم تأخير المهمّة بكلّ الاعتدال الممكن والمعاملة الحسنة من أجل مدخولات دار الجمارك وسلام الدّولة ، ولأنهم كانوا يطلبون السّلام بذلك الإصرار ، شيء لم يطلبه ملك ، فإنه من الأحسن أن نتنازل عنه لهم ونتأخّر في اتّخاذ القرار حيث لا يوجد شيء آخر نستطيع أن نفعله في هذه اللّحظة .

فقرة : جاءت سفينة طراد من "جدّة" بخبر يفيد أن قبطان الأتراك مع عشرين من رجاله وسفناً كثيرة ، هاجموا أرض الإمام زين الدّين ، وقد استولوا على خمس قلاع منه ، وأنه قد قتل أربعمائة رجل تركيّ من رجال الخيّالة عند عودتهم ، وقيل أيضاً أنّه في شهر سبتمبر هذا يقوم

عشرة أو اثني عشر قارباً سريعاً تركيّاً بالمجيء إلى "قلهات" ومسقط ، لا نعرف ما الذي يأمر به القبطان من خلال إعداد ما هو مطلوب منه من أجل هذا .

فقرة : لقد أصدر سيادتكم أمراً ملكيّاً إلى الملك "تورون شاه" ، الذي وافقتم فيه بأنه لا أحد قد منحه الملك "شارغول شاه" وظيفة في مملكة هرمز ، هذه يمكن أن يخدم فيها بدون موافقة الملك "تورون شاه" ابنه .

جاء إلى هنا "تريستاو دورتا" "Tristao d'Orta" مع فرَمان من عند الملك "شارغول شاه" ، والده ، مؤكّداً من قبل سيادتكم ، الذي بواسطته منحه المرتّب ومتطلّبات وامتيازات قبطان حراسة الملك .

لم يوافق الملك على هذا ، وغضب منه ؛ لأنّه لا يمتلك شيئاً لنفسه يجعله وحده يعطي أيّ شيء لأيّ أحَد .

مع ذلك ، بسبب تأكيد سيادتكم ، ولكَيْلا أعصيه ، فقد أعطيت "تريستاو دورتا" نيابة عن الملك "تورون" سبعمائة "أشرفيّ" حتى لا يثير غضب الملك هذا .

لم يحصل عليها أو يأخذها ولكن ذهب بدلاً من ذلك إلى القبطان وقاضي التاج ، وأعطوه ممتلكات لتكون في حوزته ، انزعج منها الملك ، وهو يطلب من سيادتكم ، ويقوم بالكتابة عنها إليكم سائلاً ...

إيّاكم أن تنصفوه ، وألّا تسمحوا لأحّد أن يشغل وظائفه ضدّ إرادته ، ولأنّ سيادتكم مملوء جدّاً بالعدل ، ويستحقّ الملك هذا لأنّه مخلص لكم ، فإنّنا سوف نكون جميعاً شاكرين جدّاً إذا أرضيتموه .

يوجد أيضاً أوامر ملكيّة من سيدنا الملك ، يصدر فيها مراسيم بأنّه لا أحد يمكن أن يتلقّى منحاً أو وظائف من ملك هرمز ، بموجب العقوبات القاسية .

حاول "أليكسو كارفالهو" "Alexo Carvalho" ، الذي أعطيته منصب كاتب لدى الوزير في دار الجمارك ، أن يتدخل في مسائل لا علاقة لها بالوظيفة التي أعطيتها لها ، وترك "سيماو بوتيلهو" "Simao Boutelho" ، رئيس موظفي الخزانة ، أمراً ساري المفعول بأنّ هذا كان من اختصاص الوزير وحده الذي أعطيته إيّاه ، إنّه شيء صغير جدّاً ، ولكنّني أعطيته له بشرط أن يخدم بإخلاص ، وإذا تصرّف على العكس فإنّه يمكن أن يفقده في الحال .

وجدت أنّه قد فعل أخطاء عديدة ، وبخاصّة فيما يتعلّق بالطرادات التي جاءت من البصرة و"يشهار" "Rishahr" وموانى أخرى بالمؤن ، التي تعني أن أربعة طرادات قد وصلت في وقت واحد من البصرة ، واحدة منها كانت تحمل مائة وعشرين صندوقاً ، جعلها ثلاثين وواحدة أحضرت ستّين جعلها اثني عشر ، والأخريات بالمثل بأوصاف مشابِهة ، ذهبت إلى القبطان وأخبرته ، فأجاب بأنه يمكنه أن يطلع عليها بنفسه .

أُخبر سيادتكم بهذه الأمور لأنّ سيّدنا الملك وأيضاً سعادتكم أمرني وشجّعني أن أستخدم منصبي بإخلاص وبما يناسب خدمته ؛ لأنّ هذا هو واجبي ، فإنّ كلّ فرد يجب أن يؤديَ وظيفته على الوجه الأكمل وبإخلاص ، وأولئك الذين لا يفعلون هذا يجب أن يتمّ عزلهم ، لأنّني لن أدفع لأحَد .

فقرة : أذكّر سيادتكم أن العقود الممنوحة للتّوابل تفسد أرباح سموّه ، ويجب أن تأمروا بألّا يتمّ إعطاء أحد ولا يجب أن تأتي أيّة توابل دون جمارك ، ولكن كلّ فرد يجب أن يسدّد عنها في دار الجمارك ، يمكن أن يسأل سيادتكم "ديوجو بوتيلهو كالداو" "Diogo Boutelho Caldao" عن الخسارة النّاتجة ، وهو سوف يبلغكم بشكل تامّ .

فقرة : أطلب من سيادتكم أن تتفضّلوا عليَّ بأمر ملكيّ لكي أرسل سفينة "كاراك" ، من هرمز إلى البنغال وترجع إلى هنا بسرعة ، سوف أكون أكثر شكراً لكم إذا منحتموني هذا ؛ لأنه معروف تقدّمونه لعزيز لديكم ولشخص في حاجة ملحّة إليه .

فقرة : من الآن فصاعداً سوف أرسل لكم الأخبار التي أسمعها ، وقد أرسلت عن طريق البحرين بعض أشخاص سوف يكشوفون الكثير ، لا يوجد كثير الآن .

أطال الله في ملككم وفي عمر سيادتكم كما ترغبون .

من هرمز ، في يوم السّابع عشر من شهر يوليو ، عام ١٥٤٧م .

من ريس شرف الدّين .

وفي العام نفسه (١٥٤٧م)

بعث خواجا قاسم ، خادم ريس شرف ، رسالة إلى الحاكم "دوم جواو دي كاسترو" ، هرمز ، في يوم الثّامن عشر من شهر يوليو ، عام ١٥٤٧م ، ويذكر ما يدور في هرمز : [٢٠]

سيّدي اللّورد ، على الرّغم من أنّ الواجبات المتعلّقة بالمنصب تلزم خادم سيادتكم ، ولي شرف أن أجعلكم على علم بالأوضاع في هذه الأرض ، وبسبب المكرمات العديدة والأفضال التي تلقيتها من سيدنا الملك ، ومن سيادتكم ، فإنني أيضاً مقدّم إليكم معلومات عمّا قد تمّ تحقيقه هناك ، لا أستطيع أن أقوم بأداء أيّة خدمات أخرى بسبب السلطة القليلة التي أمتلكها .

لقد وصل ريس شرف إلى هرمز ، وكان متولّياً مهامّ منصبه على الفور ، في كلّ من الوظيفة التي من الملك وبخاصّة القبطان ، تمّ استقباله بصورة حسنة جدّاً ، ومعاملة باحترام من قِبل كلّ فرد في

(٢٠) رقم الوثيقة والهامش.

الأرض ، أطلعته أيضاً على الأمر الملكيّ الذي أكرمني به سيادتكم ، وأعطيت على الفور وظيفة "شاه بندر" التي أخدم فيها الآن ، وسوف استمرّ في الخدمة بمثل هذه الحالة ، سوف أعمل لكي يكون سيدنا الملك وسيادتكم مسرورين منّي ، وما زلت أعني ما قلته عن الذهاب لكي أقبّل اليدين والوجه الموقّر لسموّه ، الذي قد تلقّيت منه خيراً كثيراً جدّاً ، وأفضالاً عديدة جدّاً .

أذكّر سيادتكم بأنّه ، وِفقاً للمسؤوليات التي تخصّ منصبي ، يجب أن أجعلكم على عِلم بما أعرفه ، إنّ التوابل والعقود التي تأتي إلى هذه المدينة هي معفاة من رسوم الجمارك لأنّ تأكيد سيادتكم لا يظهر على ظهر ... ، تجعلني أدرك ... ، إلى حدّ كبير ، المدخول من دار الجمارك هذه ؛ ولهذا وبسبب ذلك يمكنكم أن تصدروا أمراً بأن تمرّ منتجات أخـرى من هـنا بدون دفع رسوم ، هذه التي لا علاج لها ، سوف يقدّم لسيادتكم "ديوجو بوتلهو كالداو" الوكيل التّجاري السّابق هنا تقريراً كاملاً .

فقرة : الشّكر لله ، لا توجد أية معلومات غير طيّبة لكي نحكيها عن البلاد ، أذكّركم فقط أنّ الأتراك جدّ قريبين جدّاً منّا ، ولذلك ...

إن هذه القلعة يجب أن يتمّ إمدادها جيّداً بالرجال ، والسفن ، والأعتدة الحربيّة الأخرى .

أتى إلى هنا حاجي فيّاض مع سفارة من عندهم ، كتبوا عن علاقات الصداقة والنّوايا الحسنة ، ولكنّني أعتقد أن البرتغاليّين يعرفون جيّداً

عن أساليبهم الماكرة ، لذلك فإنّني متأكّد أنّهم سوف يكونوا حريصين على ما يفعلونه .

في هذه الأثناء لم يكن من شيء سوى أنّ القبطان قد ردّ عليهم بالمثل حسب قدر ما كان محتاجاً إليه ، سوف يساعدنا الله أن نحافظ على القلعة مزوّدة جيّداً بكلّ شيء ضروريّ ، وكذلك أيضاً على السُّفن من أجل البحر .

فقرة : لم تأت التّقارير من "مكّة" ولا من أي مكان آخر بأخبار تفيد أن الأتراك يقومون بالقتال مع أي أحد ، ولا إنهم قد أعدّوا أسطولا ، فقط إن أسطولهم هاجم الإمام الزيدي باثنتين وعشرين سفينة شراعيّة واستولى على خمس من قلاعهم .

وافق ابن الإمام الزّيديّ والده ، الذي كان حتّى ذلك الوقت متمرّداً ضدّه ، وبناء على ذلك قام كلّ من الأب والابن وهاجماهم في ذات ليلة ، قاتلين أربعمائة من رجال الخيّالة الأتراك .

يقولون أيضاً إنّه في سبتمبر سوف تهاجم عشرة أو اثني عشر من قوارب المماليك السّريعة "قلهات" ومسقط ، ولكن يقوم القبطان بإعداد كلّ شيء محتاج إليه من أجل هذا .

أما فيما يتعلّق بالقلعة التي في "كاستاو" التي قد استولى عليها ملك "لار" ، فقد كتب إليه ريس شرف عنها ، ردّ عليه الملك بتوقيع تحالف مع خواجا "موغول" "Magul" ويبدو أن هذه المهمّة لم يتم إكمالها .

لا يوجد لديّ أيّة أخبار إضافيّة هذه التي يجب أن أعلم سيادتكم عنها ،

أطال الله في عمركم .

هرمز ، في يوم الثّامن عشر من شهر يوليو ، عام ١٥٤٧م .

خادم سيادتكم ، "خواجا كاسيمو" (قاسم) ، خادم ريس شرف .

وفي العام نفسه (١٥٤٧م)

بعث الملك "طورون شاه" ، ملك هرمز ، رسالة إلى حاكم الهند ، هرمز ، في يوم الثّامن عشر من شهر يوليو ، عام ١٥٤٧م ، مؤكداً ومقراً بالأمر الصادر من الملك والحاكم في الهند بالنسبة لريس شرف : (٢١)

بسبب الرّغبة التي أجدها لدى سيادتكم لمساعدتي ، والعطف عليَّ ، والاهتمام بشؤوني ، فقد فكّرت في أن أقدم لكم تقريراً عنها ، وما دام صاحب الجلالة يسرّه أن يكرمني ويعطف على شخصي ، فلابد أن سيادتكم يسرّكم أن تفعلوا نفس الشيء أيضاً ، كما تفعلونه دائماً ، وهذا ليس بالشيء القليل ، لأنّي أنا شخصيّاً وكلّ مملكتي على استعداد لكل ما يخدم مصالح جلالته .

أقول لكم ، يا سيدي ، إنّ الريس شرف قد وصل إلى هنا ومعه

(٢١) رقم الوثيقة والهامش.

مراسيم من صاحب الجلالة ومن سيادتكم ، وقد احترمت هذه المراسيم لأنها هي الصواب ، وأنعمت عليه بكل أنواع التكريم والعطف التي أستطيع أن أقدمها له ، والحقيقة أنه يستحقّها جميعاً من أجل صفاته الشخصية ، وتقديراً لسِنِّه أيضاً .

لذلك ، يا سيدي ، فقد كنت سعيداً جدّاً عندما وصل إلينا ، ولأنّه جاء معدماً وغارقاً في الديون فقد أنعمت عليه بمنصب نائب الملك ومنحته أراضي في "قلهات" ، لتكون له ولورثته ، ولكي تساعده في مواجهة نفقاته ، ولا شك أن سيادتكم ستوافقوني على ما فعلت ، وأرجوكم أن تفعلوا هذا ، وأن تعتبروه شخصيّاً يستحقّ كلّ شيء وبخاصّة من سيادتكم ، وبسبب الفوائد والمكافآت التي يقول إنه تلقاها منكم ، واعترافه هذا بجميلكم عليه يجعله مع ذلك يستحق المزيد منكم .

فقرة : أرسلتم سيادتكم إليّ بوثيقة رسميّة تأمرون فيها بعدم وجود قائد للحرس هنا ، وتذكرون أن صاحب الجلالة أمر بهذا في مراسيم ملكية أخرى .

لقد أحضر لي الريس شرف هذه الوثيقة منذ فترة قصيرة ، كما أحضر "تريستاو دورتا" أيضا تصديقاً على هذا من سيادتكم في صفحات فرمان من والدي الملك "شارقول شاه" ، وفي هذا الفرمان يمنح والدي "تريستاو دورتا" مرتب قائد الحرس ، إنّ سيادتكم تعلمون أنّني لست ملزماً بالوفاء بالوثائق التي أصدرها والدي إذا لم أكن أرغب في ذلك ، إلّا تلك التي أرغب فيها ، كما تؤكد هذا أيضاً الوثيقة التي أرسلتموها سيادتكم إليَّ .

الآن سيدي ، لست فاحش الثراء بحيث أستطيع أن أدفع نفقات كل شيء ، ولا شك أن سيادتكم لا تعتقدون أن من الأشياء الجيّدة أن يحدث مثل هذا الأمر في بيتي أو لي شخصياً ، أن أعطي أي شيء ملكي ضدّ إرادتي .

مع ذلك ، وبسبب تصديق سيادتك على فرمان والدي ، ولكَيلا أعصيه ما دمت قد رأيت أنّه يسرّكم أن أمنح بعض المزايا لـ"ترستاو دورتا" ، فإنّي أعطيته سبعمائة "أشرفيّ" ، ولكنّه لا يريدها ، ويريد بدلاً منها ، وضدّ رغبتي ، أن يكون في بيتي . . ، وأنّني يجب أن أدفع له من مالي الخاصّ ، وأودّ أن أخبر سيادتكم أن ليس من الصواب أن أفعل هذا إلّا من شخص أريده وأرغب فيه ، ومن أجل خاطِر سيادتكم سوف أمنح "تريستاو دورتا" مزايا أخرى فيها تكريم واحترام له ، ولكن ليس ما يطلب هو ، ولا يجب عليكم أن تطلبوا منّي هذا ضدّ رغبتي .

لذا أرجو من سيادتكم أن تمنحوني هذا المعروف وترسلوا إليَّ وثيقة رسميّة أخرى تنصّ على أن لا أحد يتولّى منصباً أو يحصل على أي مزايا ضدّ إرادتي إلّا أولئك الذين أرغب فيهم ، وحتّى لو رفضتم ما دام قد بقي ما أنفقه على نفسي ، وإني لأرجوكم بإلحاح أن ترسلوا لي هذه الوثيقة .

فقرة : أمر "لويس فالكاو" بسجن جميع أهالي "جوجارات" الذين أتوا من "كامباي" ويعيشون هنا في هذه المدينة ، كما أمرَ أيضاً بمصادرة بضائعهم ، إن سيادتكم يجب أن تصدّقوا أن هذا الإجراء قد تسبب في قدْر كبير من الحقد والضّغينة في هذه البلدة ؛ لأنّ هؤلاء الأشخاص

يعيشـون هنا منـذ سنوات عديدة ، ولا ذنب لهم فيما حدث في "كامباي" ، كما هم ليسوا من الأشخاص الذين يمكن أن يرتكبوا أيّ خطأ .

أنكم سوف تقدّمون لي معروفاً كبيراً إذا أمرتم بإطلاق سراحهم وعودة ممتلكاتهم إليهم وأن يُسمح لهم بأن يعيشوا في سلام .

صدّقني يا سيّدي ، إن ما حدث قد سبّب خسائر فادحة للجمارك ، كما أنهم أرسلوا التماساً إلى سيادتكم هناك .

سأكون في غاية الامتنان لسيادتكم إذا تعاملتم مع هذا الأمر بما فيه رضاؤهم ، لأن هذا لمصلحتي أنا شخصيّاً ولمصلحة البلدة ولهم جميعاً وشؤونهم .

أتمنى أن تأمروني سيادتكم بعمل أيّ شيء لخدمتكم لكي ترى كيف سأقوم بتنفيذه بكلّ حماس .

أدعو الله أن يزيد من أملاككم ويهبَكم طول العمر والصحّة .

من هرمز ، في يوم الثّامن عشر من شهر يوليو ، عام ١٥٤٧م .

الملك "طورون شاه" .

إلى السيّد حاكم الهند ... ألخ ... من ملك هرمز .

وفي العام نفسه (١٥٤٧م)

بعث "دوم مانويل دي ليما" ، رسالة إلـى حاكم الهند ، هرمز في يوم الثّالث والعشرين من شهر يوليو ، عام ١٥٤٧م ، يخبره بسيطرة ريس شرف وابنه نور الدين على مملكة هرمز ، وينتمي إليهما كل ساحل بلاد العرب من "قلهات" حتى البحرين : [٢٢]

أعرف أنّه يجب أن أقدّم لسيادتكم تقريراً عن هذه القلعة ؛ لأنه مطلوب مني ، ولكنّني لا أستطيع أن أقول عنها أكثر من أنها في حالة حسنة جدّاً وقويّة لأنني أمتلك أولئك الجيران السيّئين الذين هم على مقربة من مدخلها .

على الرغم من ذلك ، فإنني سوف أخبر سيادتكم أنّه تمَّ بناء الجزء الأحسن من هذه القلعة من قِبل ثلاثة أو أربعة قباطنة أراد كلّ منهم أن يكمل العمل الذي بدأه ، ولذلك أعتقد أنه ضروريّ جدّاً .

(٢٢) رقم الوثيقة والهامش.

لقد قرر سيادتكم في وقت سابق أن يُرسل "فرانسيسكو بيريز" "Francisco Perez" إلى هنا ، وبمجيئه مع أمر سيادتكم بأن ما يعتقد سيادتكم أنه ضروري يجب أن يتم إنفاقه ، فهذا الحصن يجب أن يكون قلعة قوية ، وتبدو الأسوار والأبراج في حاجة لعناية بها وكذلك ، أيضاً المدافع القاذفة ، يجب أن يعتقد سيادتكم أنه من الضروريّ جدّاً لـ "فرانسيسكو بيريز" أن يأتي إلى هنا ، أعتقد أن الملك ووزير هرمز سوف يساعدان في النهاية ببعض الإنجاز في الساحل .

على الرغم من أنه يوجد عشرون سفينة برتغالية في ميناء هرمز هذا ، فإنه يوجد رجال قليلون هنا لدرجة أنه عندما كان هنا تجمع لإعطائهم أجورهم ، وجدت مائتين وثمانين رجلاً ، علاوة على المتزوّجين الذين لم يتم تسجيلهم بعد في القائمة .

يستطيع أن يرى سيادتكم كم عدد الرجال الذين سوف يبقون في هذه القلعة عندما تغادر هذه السفن إلى الهند ، حيث يجب عليهم ، لأنّهم يقومون بحمل الخيول إلى "غوا" ، التي يتلقّى منها سيدنا الملك ربحاً كثيراً جدّاً ، بالإضافة إلى أن معظمهم مزوَّدون بالأسلحة بشكل سيّئ ، وهم تجّار وما يهتمّون به كثيراً هو الاستمرار في مهمّتهم .

بالتأكيد يوجد نقص شديد في الجنود الأقوياء هنا ، يجب على سيادتكم أن يقوم بتلبية هذه الاحتياجات من هناك من النوع الأحسن كما تستطيعون ، لخدمة سيدنا الملك ، فالرّجال يُحتاج إليهم كثيراً هُنا ، وهرمز لديها عدد كبير من الأخطار المحدقة ، ومفتوحة جدّاً للمهاجمة ، لأنّه يوجد أكثر من مائتي طرّاد صغير ، يتمّ استخدامها في إحضار المياه

والفاكهة إلى هذه المدينة ، وهؤلاء بإمكانهم أن يُحضروا إلى المدينة عدداً كبيراً من الرجال دون معرفة أيّ أحَد عنهم ، وهذه المهمّة الهامّة هي في يدي سيّد الميناء ، الذي عمله هو أن يراقب هذه الطرّادات ، وهو رجل مسلم مثل البقيّة .

يتم السيطرة على المملكة بأكملها من قبل ريس شرف الدّين ، وريس نور الدّين ، الوزير السّابق ، وينتمي إليهم كل ساحل بلاد العرب هذا من "قلهات" حتّى البحرين ، إن شاء الله سوف يكونان مُخلصين .

لقد هرب منّي برتغاليّون ، مرّتين من هنا في طرّادات صغيرة اشتروها من المسلمين ، إنني سوف أعمل على استرجاعهم إلى سلطتي من مسقط ، وإذا حصلت عليهم فإنهم يستحقون عقوبة قاسية على مغادرتهم قلعة سموّه في وقت كهذا .

سوف أرسل أسماءهم إلى سيادتك لكي تأمروا بالعقوبات الصارمة ، إذا لم أستطع أن أجدهم هناك ، إنهم فعلوا هذا في زمن "لويس فالكاو" ، أُخبرت هنا أن طرّاداً قد تمّ تحميله بالفلفل والزنجبيل في ميناء "رأس جاسك" ، وأيضاً ببعض الحديد الصُّلب ، وكان ذاهباً بهذه الأشياء مباشرة إلى البصرة دون توقف .

في نفس اليوم الذي أُخبرت به بهذا ، أمرت واحدة من سفن "الكاتور" لدى سموّه أن تبحر ، وكان كلّ شيء معدّاً في نفس اليوم وأبحروا ، تم إلقاء القبض على الطرّاد على مسافة تسعين فرسخاً من هنا ، عندما كان فعلاً بالقرب من البصرة ، وأحضروه إلى هنا بكل حمولته ، دون فقدان حفنه من الفلفل أو الزنجبيل .

أرسلت خدماً لي في مركب "الكاتور" مع "بيدرو فيرناندز دي

كارفالهو" "Pedro Fernandes de Carvalho" ، وهو رجل من فرقتي البحرية كقبطان ، أحضروا الطرّاد في مقابل القلعة ، واستدعيت "ديوجو إسبينل" "Diogo Spinel" والقائد وحارس البحر لكي يقدّم قائمة بكل شيء وجدوه فيه .

أمرت الوكيل وموظّفي الوكالة التّجارية أن يزنوا الفلفل والزنجبيل وكلّ شيء آخر في الطرّاد على الملأ وبحضور قاضي التاج "ديوجو إسبينيل" في ملجأ مقابل لسور القلعة ، تمَّ وزن الجميع وتسليمه إلى الوكيل التّجاري ، ويطالب "ديوجو إسبينيل" بنصيبه فيه .

حينما أصبح الطرّاد فارغاً ، أمرت أن يتمّ إرساؤه في مقابل مكتب رئيس الميناء ، الذي هو في وسط المدينة ، وأمرت بأن يتم إحراقه حتى لا تبقى منه قطعة خشب واحدة ، وأنه يجب أن يكون هناك موظفي العدل في هذه المدينة والمنادي العامّ .

أعلن المنادي العامّ الأسباب التي من أجلها قد أمرت بأن يتم إحراق القارب ، جاء نصف الناس في المدينة لكي يسمعوا المنادي ينادي باسم سموّه ، وبرتغاليّون عديدون ، أعتقد أنهم لن يتدخلوا في الفلفل أو الكبريت في زمني .

يجب أن يعتقد سيادتكم أن السّلطة التي أتولّاها هنا مؤثّرة جدّاً ، وفقاً (للعادة) هنا ، يذهب ربع كل شيء يتم الاستيلاء عليه في الطرّاد إلى قبطان القارب السريع وجنود "اللسكر" ، وأنه إذا تمَّ أخذه براً ، فيتم إعطاؤه للشخص الذي يستولي عليه ، كما يتم إغفال وعدم ذكر نصيب جلالته ....

هو شيء ما أيضاً لا يُبشر بالخير ، إلّا كلّ هذه الأشياء التي تناولتها بأحسن ما في استطاعتي ، ولكنّه كان منزعجاً جدّاً (ملاحظة هامشية : بالنسبة لهذا لوكيل ، يجب عليه أن يقدّم تقريره عن هذه الأشياء ويُرسله إلى سيادتكم في (....) الذي يقوم بكتابته وبإرساله في صيغة مناسبة لما يفعله .

أرغب أيضاً في أن أخبر سيادتكم عن العادة السّابقة لهذه الدولة فيما يتعلّق بملك البصرة العربي :

اعتاد أن يرسل من هناك ثلاثة من الخيول ، واحداً لملك هرمز ، وواحداً لقبطان القلعة ، والأخير للوزير ، ومن المال الذي يأمر سيدنا الملك بإعطائه من دار الجمارك إلى ملك هرمز ، ولذلك فإن آلاف عديدة من عملة "الكروزادوس" ومبلغاً معيّناً من عملة "الكانيكوين" "Canequine" تمّ إرسالها إلى ملك البصرة لكي يسمح لعدد كبير من الخيول أن تأتي من هناك من أجل الرخاء الأكثر لـهرمز .

يجب على المجلس أن يتشاور في مسائل البصرة فيما يجب أن يتم فعله بشأن هذا ، والأشياء الأخرى التي من المعتاد أن يتمّ فعلها سابقاً هنا ، مثلما يستطيع أن يعرف سيادتكم هناك ، ويكتب إليّ عن هذا وما يجب أن يتم فعله بشأن محمّد باشا ، قبطان البصرة .

لن يتم تنفيذ أي شيء حتى يكتب سيادتكم ما يجب أن يتم فعله .

هذه القلعة بعيدة جدّاً ، كما يعرف سيادتكم ، ولم يكن الوكلاء التجاريون للملك سعداء إذا لم يأخذوا من الملك ويستطيعوا أن يربحوا من عقدهم ، إذا طلب منهم القبطان مالاً من أجل أشياء في الخدمة

الملكية ، فإنهم يقولون بأنهم لا يمتلكون شيئاً ، وطالما أنهم يقولون هذا فإن الملك لن يتم القيام بخدمته .

إنه طريق طويل من هنا إلى الهند لكي نقدم لسيادتكم تقريراً عن هذا ، وفي تلك الأثناء ربما تنشأ مشكلة هنا إذا اعتقد سيادتكم أنه ملائم ، فإنكم تستطيعون أن ترسلوا إليَّ مرسوماً ملكيّاً لكي آمر الوكيل التّجاري بأن يطلعني على الطريقة التي أنفق بها المال .

إنّني فقط أكتب هذا إلى سيادتكم لأنّني أعتقد أنه من مصلحة الملك ، ومن مصلحتكم أنفسكم .

أقبِّل يديّ سيادتكم ، وأتمنّى أن يُطيل الله في عُمركم ومُلككم .

من هرمز ، في يوم الثّالث العشرين من شهر يوليو ، عام ١٤٥٧م .

وفي العام نفسه (١٥٤٧م)
بعث "مانويل دي ليما" رسالة إلـى الحاكم ، هرمز ، في يوم السّابع والعشرين من شهر يوليو ، عام ١٥٤٧م ، يخبره فيها عن أحوال البصرة : [٢٣]

سيدي ، رغم كثرة عدد الرسائل التي كتبتها إليكم إلى الحدّ الذي قد يغضبكم أو يزعجكم ، فإنّي أرى أنّ من الصّواب أن أفعل هذا ؛ لأن الأتراك يكتبون إليَّ وأنا أردّ عليهم ، ولهذا السبب فإنّني ملتزم بأن أقدّم لسيادتكم تقريراً بكل الأشياء التي يخبروني بها لكي أقولها لكم ، وأيضاً تقريراً بالأشياء التي أكتبها لهم ، وذلك حتى تكونوا على علم بكلّ شيء يدور بيننا .

اليوم ، وهو اليوم السابّع والعشرون من شهر يوليو ، وصل إلى هنا طراد من البصرة كان قد خرج أوّلاً من هرمز ، ووصلت رسالة من قائد البصرة التركي يخبرني فيها أن أقصى ما يتمنّاه هو أن أرسل إليهم

(٢٣) رقم الوثيقة والهامش.

أحد وسطائنا التّجاريين ، وبما أن هذا النوخذا من هرمز كان أصلاً في البصرة فلقد أخبروه بأن هذا الوسيط التّجاري كان في أحد الطرادات التي كانت في طريقها لتتوقف خارج البصرة وستلقى مرساتها على مبعدة منها ، وعندما سمع محمّد باشا بذلك أرسل سفينة صغيرة محمّلة بالطعام والشراب هديّة للوسيط التّجاري الذي اعتقد أنه في الطراد ، ولكن الطراد كان يخص بعض العرب .

سألت هذا النوخذا لماذا هذا الإلحاح من جانب محمّد باشا في طلب أحد وسطائي التّجاريين؟ فأخبروني أن التّجّار لن يأتوا إلى البصرة إلّا إذا رأوا أحد الوسطاء التّجاريين هناك ، وهذا هو السبب الذي يجعل الباشا يلحّ في طلب وسيط تجاري .

كان عياض باشا ، قائد بغداد ، يكتب إلى محمّد باشا كلّ يوم ويطلب منه أن يحسن معاملة التجار الذين يأتون من هرمز إلى البصرة ، ويمنع عنهم أيّ ضرر ويقدّم لهم الكثير من المزايا ، أمّا إذا جاء أحد البرتغال أو المسؤولين الآخرين من هناك فيجب الاحتفاء بهم وتكريمهم ، لقد كتب إليه بهذا الخصوص عدّة مرات من بغداد .

الحقيقة أنني لم أكتشف بعد بطريقة مؤكّدة لماذا يفعلون هذا ، وعندما أصل إلى شيء محدّد فسوف أكتب إلى سيادتكم وأخبركم بما توصلت إليه .

أخبرني الحاج فيّاض ، أن أحد أبناء أخيه كتب إليه من البصرة يقول إن أحد القادة وثلاثمائة من الجنود الخيّالة الذين يعملون تحت قيادته قد ثاروا ؛ لأنّ أحد الوسطاء التّجاريين المسؤولين عن دفع أجور

القائد وجنوده تأخّر في دفع أجورهم ، ولذا فقد هاجمه القائد وجنوده الثلاثمائة وأوسعوه ضرباً ... ، ثم هرب القائد وجنوده الثلاثمائة ، وبعد ذلك ذهب مع مائتي جنديّ إلى "شاه طاهماسب" ، ولا أحد يعرف أين ذهب الجنود المائة الآخرون .

لقد ثبت لديَّ الآن بالدليل القاطع أن طرادين صغيرين قد ذهبا إلى البصرة ، وهما يحملان بضائع ممنوعة ، وأن في واحد من الطرادين أحد البرتغاليّين مرتدياً ثياب مسلم ، وقد أخبروني أن هذين الطرادين قد غادرا هرمز قبل أن أتولى مهامّ منصبي في هذه القلعة ، ويجب أن تتأكّدوا سيادتكم أنني سأبذل جهوداً جبّارة حتى لا يجرؤ أحد على ارتكاب مثل هذه الجرائم خلال فترة قيادتي للقلعة .

كتبت إلى "دومنجوس باربودو" ، الذي أرسلته إلى البصرة كما أخبرت سيادتكم ، لكي يأسر هذَين البرتغاليّين ويرسلهما إلى هنا مقبوضاً عليهما حتى أرسلهما إلى سيادتكم ومعهما البضائع التي أخذاها بطريقة غير قانونية من بضائع صاحب الجلالة ، إذا استطاع "دومنجوس" أن يفعل هذا .

كما وصل الوسيط التّجاري لهذه القلعة من هناك وهو غارق في الديون بسبب المبالغ التي أخذت منه في تسوية الحسابات ، ولم يتّضح بعد كيف سيستطيع الحصول على الأموال لتسديد هذه الديون .

كما يبدو فإن هذه هي الحال مع كل الوسطاء التجاريين لصاحب الجلالة ، فهم من الصباح إلى المساء يشتكي الوسيط منهم من عدم وجود نقود معه ، في حين أنني أعلم أن معه نقوداً لأنّه قام بجمعها من

قبل ، وحتى اليوم الذي أكتب فيه لسيادتكم هذه الرسالة لم نحصل على أي تموين لهذه القلعة ، كما أن الأسطول الذي يجب أن يخرج إلـى البحر ليخدم مصالح جلالة الملك ومصالح سيادتكم مازال في طور البناء .

بعد أن تأخّر ذلك عدّة مرّات ، بسبب تأخّر وصول الموادّ اللّازمة لبنائه لعدم وجود أموال لشراء تلك الموادّ كما يقولون ، ومعنى هذا أن الأسطول لن يكون جاهزاً للإبحار إذا دعت الحاجة إلى ذلك ، وبالتالي لن نستطيع خدمة مصالح صاحب الجلالة بطريقة مناسبة .

قد لا يبدو هذا أمراً ذا أهمّيّة بالغة أن أكتب لسيادتكم ما كتبت على شكل رسالة ، ولكن أقسم لسيادتكم بديني ، وواجبي ، وولائي أنني أكتب هذا لكم فقط لأنّه من أجل خدمة مصالح صاحب الجلالة ، ولأنه نتيجة هذا الموقف هو حدوث مصائب وكوارث لنا هنا ، ولهذا السبب يبدو لي أن سيادتكم يجب أن ترسلوا إليَّ كتاباً رسمياً يمنحني حقّ متابعة عمل الوسيط التجاري ، وخاصّة عندما يقول أن ليس لديه أي نقود ، في هذه الحالة عليه أن يبين لي فيم أنفقها ، وبهذه الطريقة سنستطيع خدمة مصالح مولانا الملك بشكل كامل .

رغم أنني طلبت من سيادتكم هذا الكتاب الرسمي ، فلست أرغب أن يبدو في هذا وكأنني أود أن أكون كبير أمناء الخزانة ، لأنني لا أود مثل هذا المنصب في منطقة هرمز هذه مهما كان الثمن .

إن "دييجو اسبينيل" ، قائد القوات البحرية ومراقب السفن ، هو رجل من أخلص خدم جلالة الملك في هذه المنطقة ... ، ولم أجد أي

خطأ في أدائه لعمله ، كما أنه لا يأخذ أي رشوة في مقابل إنقاذه لبضائع البرتغاليّين ، وهو يعيش هكذا بأمانة وشرف في خدمة صاحب الجلالة ، ويبدو لي أن هذا سبب وجيه لكي أكتب إليكم عنه بهذه الطريقة .

أقبِّل أيادي سيادتكم ، وأدعو الله أن يطيل في حياتكم ويزيد من ممتلكاتكم .

هرمز ، في يوم السّابع والعشرين من شهر يوليو ، عام ١٥٤٧م .

"د . مانويل دي ليما"

وفي العام نفسه (١٥٤٧م)

بعث حاجي شيخ رسالة إلى الحاكم "مالينديي" ، في يوم الثّلاثين من شهر أغسطس ، عام ١٥٤٧م ، يعرض نفسه أنه يرغب أن يحارب مع البرتغاليين : [٢٤]

سيّدي ، وصلتني رسالة منكم تخبروني فيها بأنكم مستعدّون لعمل كل ما أطلبه منكم ، وهذا شيء يجعلني أبتهج ابتهاجاً عظيماً ، لأنه يبين لي أنكم خير صديق لي ، مثل كل قادة وحكّام سيدي وأخي ملك البرتغال .

إني أشكركم كثيراً جدّاً لما جاء في هذه الرسالة ، وإني سأحتفظ كعلامة على الصداقة العظيمة التي غمرتني بها بكتابتكم هذه الرسالة ، وإعطائي مالاً بغير حدود .

قد سمعت هنا عن انتصارات سعادتكم العظيمة على سلطان

(٢٤) رقم الوثيقة والهامش.

"جوجارات" ، وهي الانتصارات التي أسعدتني أكثر من أي شيء آخر ، إنني من الأصدقاء الحميمين لسيدي ملك البرتغال ، وحكّامه وقادته ، لدرجة أنني أعتبر نفسي محظوظاً جدّاً إذا وجدت نفسي مع رجالي أحارب معكم ، أو على الأقل أكون في صحبتكم في المعركة التي تحاربون فيها أهالي "جوجارات" ، وذلك لكي تروا سيادتكم مدى رغبتي الآن ، وهي نفْس الرغبة التي كانت لديَّ دائماً لكي أحارب في صفوفكم .

ولكن الله شاء أن تقع هذه الحرب وأنا في مكان حيث لا أستطيع أن أحقق رغبتي ، ولا أستطيع أن أتباهى بمشاركتكم الشرف الذي أحرزتموه مع فرسانكم ، ولكن كل ما أستطيعه هو المشاركة في السعادة التي يشعر بها كل أصدقائكم ، وبشكل خاصّ من هم مثلي من الذين تأكدتم من إخلاصهم ، ولهم تاريخ طويل في الولاء لكم ، وهذا شيء تعرفونه سيادتكم ونعرفه جميعاً .

فقرة : أرسل إليكم قريبي الشيخ (المقامي) لزيارة سيادتكم ... ، وطلبت منه أن يرجع إليَّ بأخبار رحلته وأخبار سموّكم التي سوف تجلب السّرور إلى نفْسي .

أرجو من سيادتكم أيضاً أن تظهروا له ما يستحقّ من التكريم والصداقة ، لأنه أحد الأشخاص الذي أدّوا خدمات جليلة لمولانا ملك البرتغال ... ، ولي أنا شخصيّاً ، وهو شخص يستحقّ الكثير من التّقدير والثّناء .

فقرة : أما الأخبار التي تخصّني شخصيّاً ، فهي أنّني أعاني من فقر شديد وقلق بسبب "الكافيرز" ، لأني أدفع جزية باهظة ، كما قد تعرفون

هذا سيادتكم ، وبلدي صغير ويعاني من فقر شديد ولا توجد وسيلة لجمع هذه الجزية الباهظة ، ولذلك فإني أرجو سيادتكم أن تمنحوني رخصة للسماح لأربع أو خمس سفن بالمجيء من "باتاني" إلى مينائي لكي أستطيع توفير نفقات بلدي من الرسوم المستحقَّة على هذه السفن ، وأن تكون هذه الرخصة دائمة سواء في وقت الحرب أو وقت السِّلم .

وإذا منحتموني هذه الرخصة فإني سأعتبر هذا دليلاً على صداقتكم وعطفكم ، وأرجو أيضاً رخصة أخرى للسُّفن التي تبحر من بلدي إلى "باتاني" ، إذا منحتموني سيادتكم جواز مرور آمن لأربع من السفن التي تبحر من بلدي إلى "باتاني" ، فإن هذه السفن تستطيع أن تأتي وتذهب في زمن الحرب وزمن السِّلم وفيها كل تجّار "جوجارات" الذين يرغبون في المجيء والذهاب فيها ، وأستطيع أنا أيضاً أن أحصل على بعض الأرباح ، ولن يتعرّض لها أحد من قادتكم سواء في البحر أو في قلاعكم في "ديو" أو "باسين" أو "تشاول" .

إنّي أرسل إليكم الشيخ (المقامي) لكي تعرفوا منه ماذا سيفعل ملك "ممباسا" بالنسبة إلى "بمبا" ، وهو الأمر الذي لم أتحدّث عن تفاصيله في هذه الرسالة حتى لا أغضبه ، ولذا فإنّ كل الأشياء التي سيخبر سيادتكم بها لكم أن تعتبروها صادرة عنّي وباسْمي ، وأنا الّذي قلتُها .

أدعو الله أن يطيل في حياتكم ويزيد من ممتلكاتكم ويمنحكم الشَّرف الذي ترغبون فيه .

من "ميلندي" ، في يوم الثّلاثين من شهر أغسطس ، عام ١٥٤٧م .

(موقعة باللغة العربية) .

وفي العام نفسه (١٥٤٧م)

بعث حاجي شيخ رسالة إلى الحاكم ، "ماليندي" ، في يوم الأوّل من شهر سبتمبر ، عام ١٥٤٧م ، للمرة الثانية ولم يستلم رداً من الحاكم : (٢٥)

سيّدي ، أنا حاجي شيخ ، حاكم مدينة "ماليندي" ، أودّ أن أخبر سيادتكم أنّني كتبت إلى سيادتكم في الفترة الماضية ، ولكن بسبب انشغالكم بالأعمال العظيمة التي تقومون بها والجهود التي تبذلونها هناك فإنّكم لم تتمكّنوا من الرّدّ على رسالتي .

أنا الآن أرسل أبن أخي إليكم مرّة ثانية لكي يرجو من سيادتكم ألّا تحرمونا من عطفكم ، لأننا بدون مساعدتكم لن نستطيع أن نعيش في هذه المدينة ، بسبب فقرنا المدقع الذي كان نتيجة للحروب الكثيرة التي نشبت هنا بصورة مستمرة ... ، وأرجو من سيادتكم أن تأخذوا بعين الاعتبار الصّداقة القديمة التي كانت دائماً بين والدي وجدّي

(٢٥) رقم الوثيقة والهامش.

وأخي وبيني شخصيّاً وبين البرتغاليّين ، وكان ملك "البرتغال" يوصي دائماً القادة والحكّام الذين يبعث بهم إلى هنا ، يوصيهم جميعاً بالاهتمام بنا ، وكانوا دائماً يساعدوننا .

لذلك فالشيء الطبيعي بالنسبة لنا أن نكون أصدقاء وخدماً لملك البرتغال ، لأن لدينا أسبابنا التي تجعلنا نفعل ذلك ، ولكي نكون ، في نفس الوقت ، مثلاً يحتذى لكلّ أهل الساحل .

قد علمنا بالحروب الكبيرة والمتاعب التي وقعت في قلعة "ديو" ، والانتصارات والفتوحات التي حدثت هناك ، الله العظيم نسأل أن تكون الحال دائماً هكذا ، وأن يمنحكم القوّة النصر على أعدائكم حتى تكون على الدوام المنتصر عليهم ، وكلنا نأمل هذا حتى يسود الالتزام بالحق والعدل بين البرتغاليّين ، ونحن في مساجدنا ومعابدنا نصلّي وندعو الله دائماً أن يمنحكم النصر على هؤلاء الذين يحاربونه .

أرجو من سيادتكم أن تكتبوا إليَّ وترسلوا الأخبار عن أحوالكم وعما تحتاجون إليه هناك ، لأنكم إذا فعلتم هذا ، صدّقني ، سنخرج جميعاً نحن "الكافيرز" صغاراً وكباراً ، ونترك بيوتنا وأعمالنا وزوجاتنا وأطفالنا ونتقدم لنساعدكم بقوّتنا الواهنة ، وسنكون دائماً الخدم والرعايا المطيعين لمولانا ملك البرتغال .

بما أن سموّكم على استعداد لفعل الخير لمن يأتون إليكم ، فإني أطلب منكم مرّة ثانية عندما يأتي إليكم ابن أخي ويرجوكم مساعدته أن تساعدوه وتعطفوا عليه ، لأننا نأمل أن يكون في المستقبل مسؤولاً كبيراً في هذه المدينة .

لن أقول أكثر من هذا في هذه الرسالة، إلّا أنّني أدعو الله أن يحيطكم دائماً بعنايته ويطيل أيّام عمركم، ويزيد من شهرتكم، ويأخذكم إلى البرتغال ومعكم الشّرف والأملاك التي نتمناها لكم.

من "ماليندي"، في اليوم الأوّل من سبتمبر، عام ١٥٤٧م.

حاجي شيخ، خادم سيادتكم.

وفي العام نفسه (١٥٤٧م)

بعث "أنطونيو دي سوزا" "Antonio da Susa" رسالة إلى "دوم ألفارو دي كاسترو" ، "تشاول" ، في الأوّل من شهر سبتمبر ، عام ١٥٤٧م ، ويذكر بأن الأتراك يتجولون في البحر حيث استولى أهل عدن على مدينتهم : (٢٦)

سيّدي ، سأرسل إلى الحاكم هناك سفيراً من "سمالكو" ، وهو شخص يمكن الاعتماد عليه تماماً ، وأنا أثق في مطلعه من غير قيد أو تحفّظ ، وسأكون في غاية الامتنان لكم إذا أظهرتم له التقدير والمودّة ؛ لأن رحلته البحرية إلى هناك ليس لها غير هدف واحد وهو خدمة الحاكم .

أمّا الأخبار الأخرى في مدينتنا فهي وصول سفينتين كبيرتين أبحرتا من "مكّة" وهما في طريقهما إلى "مانجالور" "Mangalore" (أ) أو "باتانا"

(أ) "مانجالور" ، ميناء ونهر أعلى مدينة "ديو" .

---

(٢٦) رقم الوثيقة والهامش.

"Batana"[أ] ، فالأتراك يتجوّلون في البحر بعد أن استولى أهل عدن على مدينتهم ، وقتلوا جميع الأتراك الموجودين هناك ، أما "ديو" فهي في حالة فرح وابتهاج بما تتمتّع به من سلام وأمن ، أما الباتان (الأفغان) فقد وصلوا حتى حدود مملكة "شينور"[ب] .

اليوم هو اليوم الأخير من شهر مارس ، وقد وصل إلى هنا الوسيط التّجاري "أنطونيو ربييرا" "Antonio Rebieira"[ت] وأخبرني أنهم يقولون هناك أنّ أحد خدمي هنا قد أصيب بشقّ طولي في وجهه من أثر ضربة سيف من سيوف الملّاحين .

كان "أنطونيو ربييرا" على حقّ عندما ختم كلامه قائلاً لا يجب على أيّ إنسان أن يكتب أو يقول أكاذيب لأننا جميعاً ملتزمون بأن نكون صادقين معه ولا نحكي له إلا الحقيقة ، ولكن هذه الحادثة مثل كل الأشياء الأخرى التي يقولونها للحاكم عني ، ويجب على الحاكم أن يكون عادلاً في معاملتي بالنسبة لمثل هذه الأمور ، وإذا لم يفعل ، فعسى أن تكون مكافأتي عند الرّبّ .

لقد قيل إن الصبي الذي أصيب بضربة السيف كان أحد خدمي ، وإن أحد خدم "مارتيم أفونسو دي ميلا"[ث] الذي كان يسكن في الناحية

(أ) "باتانا" ، مدينة على ساحل "كامباي" إلى الشمال من "ديو" .

(ب) "شينور" ، مملكة على حدود "كامباي" .

(ت) يبدو أن أنطونيو ربييرا ، كان أحد الوسطاء التجاريين في مدينة "باسين" ، كما كان أيضاً "جواو تكسييرا" وسيطاً تجارياً هناك .

(ث) كان "مارتيم أفونسو دي ميلا" قائداً لقلعة هرمز قبل أن يتولّى المنصب "لويس فالكاو" .

المقابلة لخادمـي ، هو الذي سدد الضربة إلى وجهه ، وإضافة إلى كل هذا ، فإن الشخص الذي أصيب ليس إلّا زنجياً ، ولا يساوي أكثر من أربعة "بازاروكو" .

هذه هي الحقيقة ، ولا داعي لأن يقول أحد أي شيء آخر في هذا الموضوع ، ولكن كما قلت فإن كل شيء يقال عنّي هناك يشبه ما قيل عن هذه الحادثة تماماً ، ومع ذلك ، سوف أرسل كتاباً رسميّاً إلى الحاكم الآن أوضح فيه كيف وقعت هذه الحادثة وكيف أكّدها العديد من الشهود ، وأرجو ألا تصدقوا سموّكم أيّ شيء عنّي ، إلّا إذا كان من شخص موثوق به ومعروف عنه أنه يؤدّي واجبه على أكمل وجه ، إني أقول هذا لأني أعرف أنني أكتب إليكم هنا عن شخص واعظ ومبشّر وهو طبقاً للكنيسة ليس على يقين تماماً ، مثله مثل آخرين كثيرين .

أقبّل أيادي سموّكم .

من "تشاول" ، اليوم الأوّل من سبتمبر ، عام ١٥٤٧م .

خادم سموّكم

"أنطونيو دي سوسا"

إلى السيّد الأرفع شأناً ، "دوم ألفارو دي كاسترو" ،

القائد الأعلى لقوّات المحيط الهنديّ ، وسيّدي .

(توجد على الرسالة آثار من شمع الختم) .

وفي العام نفسه (١٥٤٧م)

بعث "دومينجوز باربودو""Domingos Barbodo" ، رسالة إلـى الحاكم "دوم جواو دي كاسترو" ، البصرة ، في يوم السّابع من شهر سبتمبر ، عام ١٥٤٧م ، ويتحدث عن البصرة حيث إن هناك رضى تاماً : (٢٧)

سيّدي ، على الرّغم من أنّني قد كتبت إليكم عن وصولي إلى هذا المكان ، فإنّه يجب أن أُذكّركم مرّة ثانية بالطريقة التي حدث بها :

كما أخبرتكم ، وصلت إلى هنا من خلال النهر في يوم السّابع والعشرين من شهر أغسطس مع تسعة طرّادات ، جميعها من هرمز ، مشتملة على الطرّادات التي تُركت معي والأخريات التي أنقذتني ، والحمد لله ، في أثناء الرحلة .

بعد ذلك في نفس اليوم ، الذي كان معروفاً أنني قد وصلت فيه ،

(٢٧) رقم الوثيقة والهامش.

كان يوجد فيه رضى تامّ بين الجميع ، لكل من الأتراك وأهالي المكان ، يمكن أن يتم التأكيد لكم أن حالة الدولة كانت بمثل هذه الحالة فلا أحد يقبلها لأسباب عديدة يمكن إعطاؤها ، بالدرجة الأولى لأنّه لا التّجّار الأجانب ولا سكان المكان يعتقدون في أي شيء لأنّهم لم يبصروا وكيلاً تجارياً هناك وأيضاً لأنهم كانوا خائفين أن المشاعر القوية يمكن إثارتها ضدّهم في أي يوم من الأيام ، حيث يمكن الاستيلاء على ممتلكاتهم منهم ، يوجد أيضا أسباب عديدة أخرى ، لا يستطيع المرء أن يكتب عنها .

في اليوم الثاني ، عندما كنت على مقربة ثلاثة فراسخ من المدينة ، أرسل الملك رجلاً موثوقاً فيه جدّاً لكي يبحث عنّي مع ثلاثة أو أربعة ، بالإضافة إلى ثلاثين أو أربعين من حملة البنادق في سفينة من نفس النوع مثل سفن النقل التي جاءوا فيها إلى هذا المكان .

على الرّغم من أن المسافة كانت بعيدة إلى حدّ ما ، فقد تمّ إغرائي لكي أنزل من طرّادي وأذهب معهم ، كان الوقت متأخراً ، وكان غير قادر على أن يصل في الوقت المحدّد لكي يجد بوابات المدينة مفتوحة ، أو لكي يتم استقباله في اليوم التالي ، كما تمّ الاتفاق عليه .

مكثتُ مع هذا الرجل في بيت خارج القلعة ونمتُ هناك ، في تلك الليلة تم الترحيب بي بالإضافة إلى أولئك الذين هم في صحبتي ، بمجرّد أن بزغ الفجر ، جاء مائة رجل من حملة البنادق لكي يقابلونني ، وجاء بالإضافة إليهم أربعة عشر أو خمسة عشر رجلاً موقّرون ذوو ملبس حسَن ، وأرشدوني جميعاً إلى الطريق .

قبل أن أصل إلى بوابة المدينة جاء رجل وجيه على ظهر حصان لكي يرحب بي ، كان موقراً جدّاً وحسناً جدّاً في ملبسه بشكل خاصّ ، إنه يُسمّى عظيم باشا ، وكان معه خمسون رجلاً من حملة البنادق ، لقد اكتشفت أنه قد جاء لكي يكون قائداً للأسطول حيث يوجد أسطول في هذا المضيق .

بعد أن دخلت المدينة وجدت في أماكن معيّنة مجموعات مكونة من عشرين رجلاً ، موقرين وفي ثياب حسنة ، كانوا منتظرين لي ، بعد أن تحدّثت إليهم جميعاً ، مشوا أمامي حتى وصلنا إلى المنزل الذي كان فيه الملك ، بالإضافة إلى رجل يسمّى محمّد بك ، الذي هو رئيس موظفي الخزانة ، وقائد الأسطول ، وأربعة أو خمسة رجال زيادة عليهم ، مرتدين ثياباً حسنة جدّاً ومنضبطين جدّاً ، كلّ فرْد في مكانه المناسب ولم يتحرّك عنه .

عندما وصلنا أمام الملك ، الذي وجدته جالساً على منصّة ، قبّلتُ يديه ....

عنها لكم ، فلو كان هذا قد أصبح هكذا في الوقت الذي غادرت فيه هرمز ، لكان صحيحاً بأنه يجب أن يتم معرفته .

لا يوجد أي خبر عن الإمبراطور ومصالحه فيما عدا أنه قيل إنه لا يوجد نزاع بينه وبين السلطان التركي ، وإن كل فرد في مكانه ، حينما تصل القافلة من المحتمل ألا يكون غير قادر على أن شخصاً ما سوف يزوّدنا ببعض الأخبار .

لم يُسمع الآن عن شيء من السويس أيضاً ، ولا حتى عن "غرولز" "Grules" (؟) ، ولذلك يظهر أن كل شيء هو في سلام .

حتى الآن لم يتم بناء قوارب سريعة ولا أيّة سفينة أخرى قد تم بناؤها ، ولم يتم القيام بعمل استعدادات لبناء أيّة واحدة ، لا يمكن بناء شيء في بغداد دون معرفته في الحال .

ممّا عرفته عن هؤلاء الرجال ، أنهم ينتقلون من مكان إلى آخر دون الحديث عن شيء فيما عدا مسألة الحصول على ربح في هذا المكان ومن الميناء (البندر) "The Bandar" .

ربما يكون حسناً أن يحتفظوا لأنفسهم بما يُريدون ، ولكنه أيضاً ، على الرغم من كل هذا ، يجب ألا ينسوا المسائل التي تؤثّر في شرفكم ، لذلك إذا رغبوا في أثناء فترة وظيفتكم أن يبعثوا بشيء ما ، فمن المحتمل أن يفضحوا الذين يتعاملون معهم .

لا توجد أخبار من ساحل الحسا والبحرين فيما عدا أن الحسا نفسها في أيادي الأتراك ، لأنها كانت أيضا في السابق في يدي ملك البصرة ، حيث إن قبطان القلعة هو رجل عربي يسمى عبد الله ، وهو ابن لملك سابق أتى معهم من بغداد عندما جاءوا ، ليس لديه أتراك معه على الإطلاق ، فقط أشخاص عرب حوله .

يقال أيضا من قبل كل فرد هنا أنه في خلال عدد قليل من الأيام سوف يكون هناك رجل يجب أن يأتي بناءً على أوامر من السلطان التركي بلقب نائب الملك لكي يحكم هذا المكان ولكي يمكث هنا ، ويجب أن يكون كل الآخرين الذين هم هنا الآن تحت أوامره ، أنهم يسمونه القاضي .

أُعلن ، سيدي ، أن يذهبوا جميعاً إلى الشيطان ويُبعدوا عنّا ، على الرغم من أن العديد منهم ربما يكون هناك .

هذا ، سيدي ، هو ما قد اكتشفته حتى الآن في هذا المكان ، في أثناء وجودي هنا ، وسوف أكتب إليكم عن كل ما أراه ، وأسمعه وأكتشفه .

أطال الله في عُمركم ، وفي مُلككم ، البصرة ،

في يوم السّابع من شهر سبتمبر ، عام ١٥٤٧م .

"دومينجز باربودو" .

وفي العام نفسه (١٥٤٧م)

بعث خواجا شمس الدّين غلام رسالة إلى "د . جواو دي كاسترو" ، "كانانور" ، في يوم الثّامن من شهر سبتمبر ، عام ١٥٤٧م ، ويذكر أن الأتراك في حالة سيئة حيث قتل منهم العدد الكثير : (٢٨)

سيدي ، أقبِّل أيادي سيادتكم لأن الأخبار التي أرسلتها لكم من عدن أسعدتكم جدّاً ، ولأني أعرف كيف سيكون مدى سعادتكم فقد أردت أن أكون أول من يرسل هذه الأخبار إليكم :

في يوم السّابع من شهر سبتمبر وصلت إحدى سفني الكبرى من "مكّة" ، وكانت الأخبار التي جاءتني معها هي أن الأتراك الذين يبحرون في المضيق في حالة سيّئة ، وأن الشريف أحرز نصراً كبيراً عليهم ، بعد أن استولى على كل الموانئ البحرية وقتل عدداً كبيراً من المحاربين منهم ، وقطع كل الطُّرق عليهم ، بحيث لا يستطيع

(٢٨) رقم الوثيقة والهامش.

الأتراك العودة إلى بلادهم ... ، وسوف تقضي المجاعة عليهم جميعاً ، وأصبحت كل المدفعيّة والذخيرة التي جاءت في السُّفن الشراعية من "ديو" ، أصبحت كلها متوقّفة في عدن ، ولا توجد أي أخبار أخرى .

لكني أودّ أن أخبركم أنني قلق كثيراً من المتاعب التي تتهدّدكم في البرّ الرئيسي .

أدعو الله أن ينزل بالعدو العقاب المناسب ، مثل الذي أنزله بملك "كامباي" ،

آمل أن يساعدكم الله بكل وسيلة لشجاعتكم .

وقد سمعت هنا أن إحدى السفن وصلت من البرتغال .

أرجو من سيادتكم أن ترسلوا إليَّ الأخبار التي وصلتكم عن الملك والملكة والأمير ، وأن تكتبوا إليَّ رسائل عنهم .

أدعو الله أن يطيل في عمر سيادتكم ، ويزيد من أملاككم .

من مدينة "كانانور" ، في يوم الثّامن من شهر سبتمبر ، عام ١٥٤٧م

أقبّل أيادي سيادتكم .

خواجا شمس الدّين غلام

إلى السيّد الحاكم

من "خواجا شمس الدّين غلام"

وفي العام نفسه (١٥٤٧م)

بعث "مانويل دي فاسكونسيلوس" رسالة إلى "جواو دي كاسترو" ، "كانانور" ، في يوم الحادي عشر من شهر سبتمبر ، عام ١٥٤٧م ، يخبره أن الأسلحة التي أُرسلت من "ديو" قد وصلت إلى عدن ومعها كمية من الذخيرة : (٢٩)

سيّدي ، لم يعد نائب الملك في منصبه ؛ لأنّه رفض أن يدفع أجور "النايرز" كما اتّفق مع الملك عندما رجع إلى منصبه ، ويقوم الأمير الآن بمهام نائب الملك ، ما دام هذا الموقف السيّئ مستمرّاً .

قد أخبرني الملك أنّه كتب لسيادتكم أنّه لا يقوم بالتجارة مع أي جهة أخرى ؛ لأن "كامباي" كانت في حالة حرب ، وهو لا يستطيع الإنفاق على نفسه إذا لم يجلب له الميناء بعض الإيرادات ، وفي العام المنصرم منحته بعض الرّخص للمرور الآمن إلى "الشحر" ومخا بواسطة طلب من كبير أمناء الخزانة .

---

(٢٩) رقم الوثيقة والهامش.

أعتقد أن سيادتكم ترغبون في أن أمنحه هذه التراخيص بنفس طريقة العام الماضي بشرط أن تأتي هذه السُّفن إلى هذا الميناء لكي يتم فحصها حتى لا تحمل أي سلع ممنوعة .

فقرة : في اليوم السّابع من هذا الشهر جاءت من "مخا" إحدى السُّفن التي يملكها "خواجا شمس الدّين" ، وأحضرت نفْس الأخبار من عدن والتي أرسلتها لسيادتكم ، وفيها أن المدفعيّة التي جاءت بها السُّفن الشراعيّة من "ديو" موجودة كلها الآن في عدن ، ومعها كمّيّات كبيرة من الذخيرة ، وأن العرب خائفون جدّاً من أن يهاجمهم الأتراك قبل أن يرسل إليهم الشريف رجاله المحاربين .

فقرة : عندما لاحظ الشريف أن الأتراك يتصرفون بطريقة مختلفة ويعيدون انتشار أنفسهم حول المكان ، التفَّ من ورائهم وهاجمهم على طول الساحل ، واستولى على الموانئ التي كانت تحت أيديهم ، وقتل عدداً كبيراً منهم ، ولكن خمسة آلاف من الأتراك استطاعوا الاستيلاء على مدينة داخل البلاد ، وعندما عرفوا أن الشريف استولى على الساحل وأنه سيأتي لمهاجمتهم ، بقوا في المدينة ، ويقال إنهم جميعاً ماتوا من الجوع .

أؤكِّد لسيادتكم أن هذه الأخبار صحيحة ، لأن أحد خدم "خواجا شمس الدّين" هو الذي أرسل هذه الأخبار ، بعد أن رأى ما حدث ، كما أن الرجال الآخرين الذين وصلوا في السفينة نقلوا نفس الأخبار .

فقرة : سأرسل إلى سيادتكم من هنا ، من "كانانور" ، سبع عشرة

سفينة مجهَّزة تجهيزاً جيّداً لكي تبحر مع الأسطول ، وبحلول الخامس عشر من هذا الشهر ، وبعون الله ، ستكون جميع السفن قد أبحرت من هنا .

ظلَّ ثلاثة من النبلاء هنا ، وكما أمرتم سيادتكم ، كتبت لكل واحد منهم على حدَة ، وأعطيت صندلاً لخواجا شمس الدّين ليرسله إلى "رأس كومورين" ليحصّل أموالاً مستحقَّة له هناك ، وأعتقد أن سيادتكم سوف توافقون على هذا .

سأرسل إليكم كتاب تسجيل السُّفن ... ، ولسيادتكم أن تتأكَّدوا أنَّني بذلت الكثير من الجهد لكي أرسل إليكم بعض السُّفن التي يملكها الأهالي ، لأنهم يعانون من الفقر الشديد لدرجة أنهم لا يستطيعون الحصول على قرض ، وليس لديهم أي شيء يبيعونه ؛ ومع ذلك فإن هؤلاء الفقراء قد جهزوا السفن أفضل بكثير من أولئك الذين يملكون الكثير من المال .

لهذا السبب أرجو من سيادتكم أن تصدروا أوامركم لكي ندفع لهم المصاريف التي تكبدوها في عملهم هذا ، وأيضاً منحهم رخصاً للقيام ببعض الرحلات البحرية ، لأنّهم يستحقّون كلّ عطف تمنحوه لهم ، وذلك لشعورهم الودّي الذي يدفعهم لخدمتكم .

أدعو الله أن يطيل عمر سيادتكم ، ويزيد من أملاككم .

من قلعة "كانانور" ، في يوم الخامس عشر من شهر سبتمبر ، عام ١٥٤٧م .

أقبِّل أيادي سيادتكم .

"مانويل دي فاسكو سيلوس"

(ختمت الرسالة بختم الشمع)

إلى سيّدي الحاكم .

وفي العام نفسه (١٥٤٧م)

بعث "جوريبو" "Joribo" نائب ملك "كانانور" ، رسالة إلى "د .جواو دي كاسترو" ، "كانانور" ، في يوم السّادس عشر من شهر سبتمبر ، عام ١٥٤٧م ، يذكر نقل البضائع إلى ميناء المخا : [٣٠]

سيّدي ، لقد كتبت إلى سيادتكم من قبل عن أخبار هذه البلاد .

الآن ، يا سيدي ، وصلت أخبار إلى هنا أنّ المسلمين في "باديبتنام" ، و"كامومباو" و"ماهيم" قد قتلوا أحد الأعيان من "كانانور" ويدعى "أفونسو كوريّا" "Afonso Correia" الذي لم يكن حريصاً عندما أحضر إحدى سفنه من "بوناني" مع "كاتور" ، وقد أخذ المسلمين السُّفن والبضائع التي كان ينقلها .

إني أطلب من سيادتكم أن تصدروا أوامركم بعدم منح جواز

(٣٠) رقم الوثيقة والهامش.

مرور آمن للسفن من "باديتبنام" إلى "تريمبتنام" ، لأن هذا سيكون لصالح الملك وسيكون جزاءً عادلاً للمسلمين ، الذين تصرّفوا بحماقة ويستحقّون عقاباً شديداً ، وبذلك يتم استرجاع بضائع الرجل الميت .

إن رخص المرور الآمن التي منحتموها سيادتكم لي العام الماضي لسفن المسلمين ، أو بمعنى أدق "للملباريّين" الذين يعيشون في "كانانور" ، وذلك للإبحار إلى "مخا" ، هي ثلاث رخص ، وأنا أعترف بهذا ، وإضافة إلى ذلك منحتموني سيادتكم ثلاثاً أو أربعاً أخرى تم استخدامها .

إني أعرف أن هذا لا يخدم مصالح ملك البرتغال ، لأن هؤلاء المسلمين "الملبارين" يذهبون إلى الساحل الآخر دون رخصة مرور آمن ، والسُّفن التي تحمل الفلفل تذهب أيضاً من هنا إلى الساحل الآخَر ثم يأتي الفلفل من هناك في تلك السُّفن التي تجلب معها الروم والأتراك ، وهم ليسوا تجّاراً ولكنهم ينقلون البضائع من هناك ثم يبيعونها بأسعار أقلّ من أسعار البضائع التي تأتي من البرتغال .

منها على سبيل المثال الأقمشة والمرجان ، وقماش أطلس (الساتان) وأنواع أخرى من البضائع الممنوعة ، وفي رحلة العودة يأخذون معهم هؤلاء الأشخاص مثل التجّار الآخرين ، الذين يضعون كل نقودهم في تجارة الفلفل والزنجبيل .

عندما يأتي أمثال هؤلاء الأشخاص الأشرار فإنهم يسبّبون حالة من الفوضى الشديدة في البلاد ، ولم يأت أمثال هؤلاء الأشخاص في السنوات الماضية ، لقد جاءوا في هذا العام فقط ، وتستطيعون سيادتكم أن تتأكّدوا من أن سفن "الخواجا شمس الدّين" ، الذي يدين بالولاء

لملك البرتغال ، هذه السُّفن تأتي مباشرة إلى ميناء "كانانور" ، كما تتوقّع سيادتكم أن يفعل هذا .

أمّا بالنسبة لملوك المنطقة ، فإن ملك "كانانور" ، مثل ملك "كاليكوت" وكلّ ملوك "ملباري" الآخرين ، يدّعي أنه أعطى ملك "البرتغال" كلّ النقود التي جمعها ، ولا يعطي أي شيء للآخرين ، ولذلك فإن الأهالي في المنطقة يشعرون بالبغضاء نحوه بسبب هذا التصرف ، وهو يقطع صلته بكل الآخرين لأنّه واثق جدّاً من دعم سيادتكم .

تعرفون سيادتكم أن ملك "كانانور" أقالني من منصبي كنائب للملك ، ولم يفعل هذا بسبب أي خطأ ارتكبته ضدّه ، ولكن لأن لديه عدداً كبيراً من المستشارين الذين يذكّرونه كل يوم أنني كنت من أنصار أن يعطي هذه النقود إلى ملك البرتغال .

كان الملوك السابقون أيضاً على علاقة سيّئة معي ، ولكن الحكّام السابقين كانوا يمنحوني المساعدة والمزايا ، وقد كان بعض البرتغاليّين الذين كانوا من أفراد الحرَس الخاصّ ويقومون بحمايتي ، هم أيضاً كانوا يتصرّفون بهذا الشّكل معي ، ويعتبروني مخطئاً لأني كنت أعطي الفلفل والزنجبيل لملك البرتغال ... ، وقد أدى هذا إلى أن يخسر ملك "كانانور" ألفين أو ثلاثة آلاف "برداوس" كلّ سنة .

إذا كان الوضع الآن أن ملك "كانانور" لن يسمح لي بالبقاء في البلاد دون أن أكون نائباً له ، أو إن كان يرغب في أن أكون نائباً له ، فإن الأمر كلّه يتعلّق بما ترونه سيادتكم ، وأرجو من سيادتكم ، لوجه الله ، ألا تكتبوا أي شيء عن هذا الموضوع لملك "كانانور" ، ولكنّي أذكّر

سيادتكم أن تكتبوا إلى الملك وتسألوه عن الفلفل والزنجبيل ، وتلحّوا عليه لكي يرسلها لكم ، وإذا ما طلبتم سيادتكم كلّ هذا فإن الخاتمة ستكون جيدة .

أما إذا كان الملك لا يريدني هنا ويرغب في إيذائي ، فإني أفضّل أن أذهب إلى "كامباي" أو "كوتا كيلون" "Cota Quilon" أو "كامومبا" ، ومن هناك سوف أفعل كلّ شيء لخدمة مصالح ملك البرتغال .

إذا ذهبت إلى هناك ، فأرجو من سيادتكم أن تمنحوني رخصاً للمرور الآمن لاستخدامها في أي مكان أتواجد فيه أو أسأل عنه ، وبهذه الطريقة ستقدّمون سيادتكم خدمة كبيرة لقادة "كانانور" ، لهم ولأولئك الذين يأتون ، وليتركوني في سلام ، وكل الأشياء التي يطلبونها منكم رخصاً للمرور الآمن وأشياء أخرى أيضاً ، لأنني لا أستطيع أن أفعل أي شيء يسيء إلى ملك البرتغال .

يجب أن تعرفوا سيادتكم أنه توجد سفن كثيرة على طول الساحل تنقل الفلفل إلى السّاحل الآخر ؛ ولذا يجب على سيادتكم أن ترسلوا وبسرعة أسطولاً قويّاً ليدافع عن الساحل حتى يمكن لملك "البرتغال" أن يحصل على أرباح إضافيّة غير تلك التي يحصل عليها الآن من الفلفل والزنجبيل .

إنني أذكّر سيادتكم بهذا الأمر أكثر من أي شيء آخر .

أدعو الله أن يطيل أيّام حياتكم ، ويزيد من أملاككم كما ترغبون سيادتكم .

كتبت الرسالة يوم الخامس عشر من شهر سبتمبر ، عام ١٥٤٧م .

"جوريبو" ، نائب الملك في "كانانور" .

ص ١٧٧ف : إلى سيّدي الحاكم ، من نائب ملك "كانانور" .

وفي العام نفسه (١٥٤٧م)

وصلت رسالة إلـى نائب الملك من "مانويل دي سوسا دي سيبولفيدا" "Manuel de Susa Sipulveda" ، "غوا" ، في يوم الثّامن عشر من شهر سبتمبر ، عام ١٥٤٧م ، بشأن ترتيب خط ملاحي بين هرمز والبصرة : (٣١)

سيّدي ، إن وجهة نظري يا سيّدي هي أنّكم يجب أن توافقوا على مدّ خطّ ملاحيّ من هرمز إلى البصرة ، لأنّكم إذا لم تفعلوا هذا فإن مولانا الملك سوف يتكبّد خسائر جسيمة في كلّ من إيرادات جمارك هرمز والهند ... ، وذلك لأنّ البضائع والسّلع التي تأتي من جزر الملوك و"ملقا" ، إذا لم تجد لها منفذاً على طريق البصرة الملاحيّ ، فإن التّجّار لن يذهبوا للبحث عنها هناك وستكون النتيجة أن إيرادات الجمارك ستنخفض إلى حدّ كبير .

من ناحية أخرى فإنّه يبدو لي أنّ من الضروري أن يكون لنا مركز هناك لكي نعرف خطط الأتراك الذين يتواجدون هناك .

---

(٣١) رقم الوثيقة والهامش.

يجب أن يتم كل هذا بكل حرص ممكن حتى لا يصل إلى أيدي ، الأتراك الخشب والحديد والموادّ الأخرى التي يمكن أن تسبب لنا أي ضرر .

"مانويل دي سوسا سيلوفيدا" .

وفي العام نفسه (١٥٤٧م)

بعث ريس شرف رسالة إلـى الحاكم "دوم جواو دي كاسترو" ، هرمز ، في يوم الخامس والعشرين من شهر سبتمبر ، عام ١٥٤٧م ، يخبر عن لجوء الأخ الأكبر لـ "شاه طهماسب" لدى السلطان التركي ، والحرب بين الأتراك والفرس : [٣٢]

سيّدي اللّورد ، هذا هو الخبر الذي أقدّمه إلى سيادتكم عن هذه الأرض ، الحمد لله لأن الأرض في سلام ، ولأوّل مرّة من سنوات عديدة يتم تزويدها بكلّ شيء تحتاجه ، أرى أنه شيء حسَن وفي المصلحة أن نحصل على علاقات ودّيّة قائمة مع البصرة بسبب قوافل الإبل التي قد بدأت فعلاً في الوصول ، تستطيع سُفن حمل البضاعة (الطرّادات) أن تأتي وتذهب إلى هناك في سلام وتشرف -كثيراً- التّجّار الذين يتم معاملتهم بصورة حسنة .

(٣٢) رقم الوثيقة والهامش.

وصلَ اليوم خبر بأن السلطان التركي المعظّم قادم إلى "باجيمودو" ، وهذا يجب أن يكون لأن الأخ الأكبر لـ "شاه طهماسب" كان منزعجاً وأسرع في طلب المساعدة من السلطان التركي ؛ ولأن خبراً عن وصوله قد جاءني ، فإنّني أقوم بإرساله إلى سيادتكم ، سوف أعلمكم عن أيّ مزيد من التطورات .

استولى الأتراك ، في البصرة ، على واحد من طرّادات الشّاه الذي يُسمّى ... ، حينما بدأَ الأتراك في بناء القلعة ، استولى رجال الشّاه عليها منهم ، وكانت النتيجة أن مات ثمانون من رجال الأتراك ، وتولّى الشّاه السّيطرة على الأرض ، إن شاء الله يكون النّصر دائماً حليفهم .

فقرة : قد وصلت معلومات أنّ عدن قد تمّ الاستيلاء عليها ، الشكر لله ، وهذا خبر حسَن جدّاً ، كتبَ الـ"دوم مانويل" بالتّفصيل إلى سيادتكم لكي يفعل سيادتكم أيّ شيء ملائم لخدمة سيدنا الملك ، وبعون الله القدير ، سوف تستمر الأمور في هذه الأرض في التّحسّن ، فقد تم توقيع معاهدات السّلام مع "لار" ، وبدأت الخيول في الوصول .

يوجد أيضاً أخبار عن قوافل الجمال ، بعون الله وبعون سيادتكم لن تغيب عن النظر خدمة سموّه .

أبارك لسيادتكم ، وسوف أجعلكم على عِلم بكلّ الأخبار الإضافيّة التي وصلتني ،

هرمز ، اليوم الخامس والعشرين من شهر سبتمبر ، عام ١٥٤٧م .

خادم وعبد سيادته ، "ريس شرف" .

وفي العام نفسه (١٥٤٧م)

بعث "سيماو بوتيلهو" ، "غوا" ، في يوم السّادس والعشرين من شهر سبتمبر ، عام ١٥٤٧م ، برأيه وهو المقاطعة مع البصرة : [٣٣]

أنا "سيماو بوتيلهو" ، كبير أمناء الخزانة في هذه المنطقة من بلاد الهند ، أعلن أنّني عندما أقدِّم رأيي للحاكم ، "دوم جواو دي كاسترو" ، حول المجلس الذي عقده بخصوص السّؤال المطروح ، وهو : ما الذي يخدم مصالح مولانا الملك أكثر؟ ... ، أن نسمح للبضائع والسّلع من هرمز أن تذهب إلى البصرة حيث يوجد الأتراك الآن ، أم نمنع هذه البضائع والسلع ولا نوافق على ذهاب أيّ سفينة أو طراد إلى هناك؟

إن وجهة نظري ، كما صرّحت بها ، هي أن سيادة المحافظ لا يجب ، تحت أي ظرف من الظروف ، أن يمنح إذناً أو يوافق لأيّ سفينة أن تبحر من هرمز إلى البصرة أو إلى أيّ مكان آخر على طول ساحل الجزيرة

(٣٣) رقم الوثيقة والهامش.

العربية ، وأنّ كلّ الجهود يجب أن تبذل في سبيل منْع أيّ شخص أو نقل بحريّ أو سفن تجاريّة من الذهاب إلى هناك .

إنّه من الواضح والجليّ أنّ البصرة كانت في السّابق صغيرة جدّاً ، ولكنها الآن أصبحت مدينة غنيّة بسبب السّفن التي تأتي إليها من هرمز ، وإذا استطعنا الآن أن نمنع حركة التّجارة البحرية بينهما ، فإنه يبدو من المستبعد أن يستطيع الأتراك الاحتفاظ بها ، لأنّها لن تعود عليهم بأيّ منافع ، كما لن تكون لها أيّ ميزة عندما تنقطع عنها البضائع والسلع التجارية ، ولكن إذا ذهبت هذه البضائع والسلع التجارية إلى هناك فإنّها يمكن أن تسبّب ضرراً لمولانا الملك .

أمّا إذا منعنا التّجارة فإنّ هذا يمكن أن يدمّر لا البصرة وحدها بل وبغداد أيضاً ، وأماكن أخرى كثيرة يمكن أن تتكبّد خسائر جسيمة .

بسبب البضائع الكثيرة والقوافل التي تذهب إلى هناك ، فإن الأتراك قاموا بتحويل الطريق الذي كان يمتدّ عبر الصحراء لكي يكون عبر بغداد لكي تعود أرباحه إليهم ... ، أمّا إذا تمّ إغلاق هذا الطريق أمام الأتراك ، فإنهم سيخسرون كثيراً ممّا يجعلهم يفكرون جدّياً في التخلّي عن البصرة وتركها على الحال التي كانت عليه من قبل .

إضافة إلى كلّ هذا الأمر ، فقد وصلتني معلومات عن هذا الأمر عندما ذهبت إلى هرمز ، والآن علمت من بعض التّجّار اليهود والمسلمين أنّ الأتراك كانوا على وشك مغادرة البصرة إذا كان التّجّار تأخّروا في الذهاب إلى هناك بتجارتهم .

فوق كلّ هذا ، توجد أسباب أخرى كثيرة لعدم الموافقة على التّجارة مع البصرة ، ولكنّي لن أذكرها .

يجب على سيادة الحاكم أن يصدر أوامره إلى قائد هرمز بعدم السّماح ، تحت أيّ ظرف من الظّروف ، بذهاب أيّ بضائع أو أيّ برتغاليّ إلى البصرة ، وإذا كان يوجد أيّ برتغاليّ هناك فعليه أن يأمر بعودته فوراً .

هذا هو رأيي .

تمّت الكتابة في "غوا" ، في يوم السّادس والعشرين من شهر سبتمبر ، عام ١٥٤٧م .

"سيماو بوتيلهو"

وفي العام نفسه (١٥٤٧م)

بعث ريس ركن الدّين ، رسالة إلـى الحاكم ، هرمز ، في يوم السّادس والعشرين من شهر سبتمبر ، عام ١٥٤٧م ، يخبره باستيلاء العرب على عدن من الأتراك : (٣٤)

سيّدي ، بعد أن غادر "لويس فالكاو" هذه المدينة ، وصلتنا الأخبار الحسنة ، الحمد لله ، أنّه قد تم الاستيلاء على عدن ، ومات قبطانها وأتراك آخرون عديدون ، إنهم العرب الذين استولوا عليها ، رجال يجب أن ينظر إليهم سيادتكم بتفضّل ، بعون الله ، إنني لم أكتب لسيادتكم معلومات من عندي لأن القبطان الذي يعرف كلّ شيء عنها بالتفصيل قد كتب من خلال أحد رجالي ، "نخوذا" أحد الطرّادات الخاصّة بي ، الذي كان في عدن وحاضراً من البداية إلى النهاية .

بالإضافة إلى أنّ هؤلاء الرجال الأشرار ، بعد تواجدهم في البصرة ، استولوا على قلعة من الشّاه تُسمّى "عريقة" "Areque" ، أرسلَ الشّاه

(٣٤) رقم الوثيقة والهامش.

قبطاناً لمحاربتهم ، والذي أعاد الاستيلاء على القلعة منهم وقتل ثمانين تركيّاً ، فرَّ الآخرون إلى البصرة ، تعني هاتان الفقرتان من الأخبار أنّه تمّ تحطيم جزء كبير من البصرة وهي قريبة جدّاً من هذه المدينة .

على الرّغم من أنّه يوجد لدينا القبطان الأكثر استقامة وشجاعة والذي لم تطأ قدمه أبداً هرمز ، فإنني غير راضٍ أن أرى أنه يوجد لديه عدد قليل جدّاً من البرتغاليّين معه ، يجب علّى سيادتكم أن تقدّموا الرجال والمعدات اللّازمة لهذه القلعة .

هؤلاء الرجال الأشرار لم يأتوا إلى البصرة حُبّاً في دولة البصرة ولكنه تمّ الإتيان بهم من خلال خطط في إرادتهم وفي قلوبهم حول هرمز ، إنهم يحاولون أن يستولوا على "الجزائر" وأماكن أخرى مجاورة للبصرة لكي يستطيعوا أن يبنوا مستودعاتهم هناك وأسطولهم الخاصّ ، لكي يأتوا إلى هنا إلى هرمز بالإمدادات والرجال من البصرة .

هل تسمح لي بأن أُذكركم أن عدن هي المفتاح إلى كلّ بلاد الهند؟ إذا أنا أهدفُ إلى أن أجعل عدن تحت سلطة البرتغاليّين ، فإنّ ذلك لأنّنا يجب أن نعيش جميعاً في أمان ، وذلك ما أرجو أن يحدث في وقت قريب بعون الله وحظّ سيادتكم السّعيد وعزيمتكم ، ممكن أن يكون قد حدث منذ ثلاثة أشهر أن أخاً للشّاه قد هاجم في وقت واحد مع السلطان التركي .

يُقال إن السلطان التركي يقوم بمهاجمة أراضي الشاه لكي يسلمها إلى هذا الأخ ، ولكننا غير متأكّدين من صحّة هذه المعلومات ، فإذا ما حضر الأتراك فإن شاء الله بعزيمته وإرادته يحطّم غرورهم وسلطتهم .

سوف أقبّل الأيادي النّبيلة لسيادتكم إذا منحتموني فضل ردّ على

الرسائل التي أرسلتها إليكم من خلال الرّيح الموسميّة الأخيرة ، وتلك التي تمّ حملها بواسطة "لويس فالكاو" .

أطال الله في عمر سيادتكم وفي مُلككم .

هرمز ، في يوم السادس والعشرين من شهر سبتمبر ، عام ١٥٤٧م ، ريس ركن الدّين .

وفي العام نفسه (١٥٤٧م)

صَدَر رأي "كوزمي إيانس" "Cosme Ianes" لبناء مركز تجاريّ في البصرة ، "غوا" ، في يوم السّادس والعشرين من شهر سبتمبر ، عام ١٥٤٧م ، ويذكر الأسباب التي تأتي بالضرر : (٣٥)

إنّ رأي "كوزمي إيانس" بالنّسبة للسؤال المطروح :

هل (منْع) بناء مركز تجاريّ في البصرة و (وقف) التّجارة مع الأتراك سيعود علينا بالضّرر؟

الإجابة هي نعم ، سيعود علينا بضرر شديد ؛ للأسباب السّتّة التّالية :

فقرة : أوّلاً ، لأنّ دوافعهم من وراء هذا أن يتسلّلوا إلى صفوفنا شيئاً فشيئاً ، وهذا السلوك يبدو هو الأخطر والأشدّ ضرراً بالنسبة لنا .

فقرة : ثانياً ، لأنّنا نقدّم لهم أشياء يمكن أن تكون مفيدة لهم عندما يشنّون حرباً ضدّنا .

(٣٥) رقم الوثيقة والهامش.

فقرة : ثالثاً ، لأنّنا بدلاً من أن نسد طرقهم نفتحها ونسمح لهم بالوصول إلينا .

فقرة : رابعاً ، لأنّنا نتخلى لهم عن القوّة الضئيلة التي لدينا ونقدّم لهم ما يجب أن ننكره عليهم ونخفيه عنهم في داخل السفن التي تبحر إلى هناك لأنهم يبحرون فيها أيضاً .

فقرة : خامساً ، لأنّنا بدلاً من أن نقوم بواجبنا ونطرد هؤلاء الأعداء الأقوياء الذين يمثّلون خطورة علينا ونحاول أن نتخلّص منهم ، فإننا نسمح لهم أن يأتوا إلينا .

فقرة : سادساً ، لأنّنا طمعاً في القليل جدّاً من الرّبح نعرض أنفسنا طواعية لخطَرِ ضَررٍ جسيم جدّاً .

هذا رأيي الذي وقعت عليه .

"كوزمي إيانس"

وفي العام نفسه (١٥٤٧م)
بعث "لويس دي فالكاو" رسالة إلـى نائب الملك ، من "غوا" ، بتاريخ شهر سبتمبر ، عام ١٥٤٧م ، ورأيه عدم التجارة مع البصرة : (٣٦)

إن وجهة نظري هي أنّنا لا يجب بأيّ حال من الأحوال أن (نجري أي استعدادات بشأن) تجهيز التجارة والشحن الملاحي مع البصرة ، وذلك بسبب الخسائر الكثيرة التي يمكن أن يتكبّدها مولانا الملك في الجمارك في هرمز ، وأيضاً في كل أنحاء هذه البلاد ؛ لأنّ هذا الإجراء إذا تمّ اتخاذه يمكن أن يؤدي إلى توقف كلّ شيء وخسارة التجارة في كلّ جزء من أجزاء الهند كلها .

يمكننا أن نرى هذا بوضوح من حجم السلع التجارية التي تمرّ عبر البصرة ، والتي تشمل كلّ أنوع الأعشاب من بندر عباس وجزر الملوك ، وكل أنواع القصدير الهندي ، والقرفة والزنجبيل من "كامباي" ، وكل أنواع

(٣٦) رقم الوثيقة والهامش.

النّيلة (الصبغة الزرقاء) ، والأقمشة السوداء والبضائع الأخرى الكثيرة التي تأتي من هذه المدينة ، والمنسوجات التي تأتي من "بالاقات" .

كما أنّ جلالته يمكن أن يخسر أيضاً نحو ألف من الخيول التي تأتي من هناك ، أضِف إلى ذلك بالات القماش ، و"الشمالوت" ، والنسيج المقصّب التي تدفع عليها جميعاً الرسوم في الجمارك ، وكلّ هذه البضائع تربّح تجّار الهند من بيعها ، وإذا لم يأتوا فإنّهم لن يستطيعوا بيع هذه البضائع أو التّخلّص منها ، وفي هذه الحالة تكون هذه أسوأ حرب يشنّها الأتراك ضدّنا ، لأنّهم سيدفعون ببلادنا "الهندية" في طريق الفقر والحاجة .

لذلك ، فإنّنا حتّى إذا رأينا سفنهم الشراعية ذات المجاديف في البصرة ، ولاحظنا أن لديهم عدّة الحرب وأدواتِها ، فإنّي ما زلت غير متأكّد من أن مخاطرتنا الكبيرة بهجْر التجارة التي تعتمد عليها كلّ مناطق الهند اعتماداً كبيراً من أجل تأمين وسائل كسب معيشتها هي الحلّ السليم والأفضل لخدمة مصالحنا في الهند .

علاوة على كلّ هذا ، فلا يوجد الآن أيّ شيء يجعلنا نخاف ؛ لأن الأتراك لا يستطيعون بناء السُّفن الشّراعيّة الصّغيرة أو السُّفن الكبيرة في البصرة ، لعدم وجود الخشب الذي يصلح لبناء السُّفن هناك ، وحتى لو وُجد هذا النوع من الخشب ، فإنّهم لن يستطيعوا أن يقوموا ببناء هذه السُّفن سرّاً بحيث لا نستطيع أن نعرف ماذا يفعلون .

رغم أننا كنا نخشى أن أحد الأساطيل قد تأتي إليهم من السويس ، فإن الاستيلاء على عدن قد خفَّف من مخاوفنا ، كما أن الزّعم بأنّنا إذا منعنا السُّفن من الذهاب إلى البصرة سيجعل الأتراك يتخلّون عنها ،

هو زعم لا يمكن تصديقه ، لأن البصرة هي من أفضل البلاد وأكثرها خصوبة في العالم ، بل إنّ مثل هذا التّصرّف من جانبنا سيعطيهم مبرّراً للاستيلاء على ساحل "القطيف" والبحرين بالكامل وحتّى "جلفار" ، وسيكون في مقدورهم أن يفعلوا هذا بكلّ سهولة .

وقيل أيضاً إنهم يمكن أن يحصلوا من هرمز على الحديد والصلب والمواد الأخرى التي يمكن أن تكون ضارّة بأمننا ، وهذا أيضا زعم لا صحّة له لأنّهم إذا كانوا يريدون حقّاً كل هذه الأشياء ، فإنهم لن يعجزهم ذلك ، لأن الطريق إلى "دمشق" وحلب مفتوح أمامهم ، وهو أقصر بكثير جدّاً من طريق هرمز .

إن رأيي في هذه المسألة ، أنه يجب أن نسمح بإرسال البضائع والسلع التجارية إلى البصرة كما كان يحدث في الماضي ، وأن التّجّار لا يجب أن يتوقّفوا عن تجارتهم .

لكن في هذه الأثناء ، يجب بناء قلعة هرمز لتكون قويّة ومحصنّة على قدْر ما نستطيع ، ولضمان حماية أكبر للقلعة والمضيق يجب أن يقوم نحو عشرين صندلاً بمهامّ الحراسة حولها .

بوجود مثل هذا الأسطول فإنّ الخوف من هؤلاء الناس الأشرار لن يكون له مبرر ، ولكن لا يجب منع حركة التجارة البحريّة إلى هرمز لأنّ كلّ مكان في الهند كلّها سيتكبّد خسائر فادحة وستكون خسائر مولانا الملك أكثر فداحة وخاصّة فيما يتعلّق بالجمارك .

إنّ كلّ سبب من هذه الأسباب يكفي وحده لعدم منع التّجارة مع البصرة ، "لويس فالكاو"

وفي العام نفسه (١٥٤٧م)
بعث "جواو فرناندس دي فاسكونسيلوس" "Joao Fernandes de Vasconcilos" رسالة إلى نائب الملك ، من "غوا" ، بتاريخ شهر سبتمبر ، عام ١٥٤٧م ، وكان رأيه المقاطعة : (٣٧)

سيّدي ، عندما تعبّرون سيادتكم عن أَحَد الآَراء ، فإنّ هذا الرّأي يكفي ويجعلنا نستغني عن آراء الرّجال الآخرين ، لأنّنا نرى فيه يا سيّدي الخبرة الواضحة ورضا الله والنّاس ، وهذه هي الحقيقة ، فلندع "ديو" تعلنها هكذا ، وأيضاً المسلمن في "كامباي" ، والأتراك ، والعرب ، وعادل شاه بكلّ (....) الذي اشتهرتم سيادتكم فيه ، وسيظلّ اسمكم باقياً ما بقي العالم ، ولذلك ، يا سيّدي ، ورغم أن رأيي ليس مهمّاً ويمكن الاستغناء عنه ، إلّا أنّني سأقدّمه لسيادتكم تنفيذاً لأوامركم :

أرى ، يا سيّدي ، أنّنا لا يجب أن نحافظ على سلام مع الأتراك

(٣٧) رقم الوثيقة والهامش.

في هذه البلاد ، لأنّ كلّ ما يريدونه ، كما تعرفون سيادتكم ، هو أن يحصلوا على هذه البلاد بين أيديهم ، وهم يسعون وراء تحقيق هذا الهدف بكلّ وسيلة ممكنة ، ولعلّ سيادتكم على ثقة من أنّ السّلام هو أفضل وسيلة لهم لتحقيق هذا ، لأنّنا سنكون غافلين أو مهملين في حالة السّلام ، بينما هم يعدّون أنفسهم للحرب .

أمّا إذا ذهبوا للبصرة ورجعوا بـ (....) فتأكّد يا سيّدي أن تمنع العديد من السفن المحملة بالخشب والسلع الأخرى من الذهاب إلى هناك ، وستكون الخسارة أنّهم لن (....) تماماً كما يحضرون الكبريت من هرمز ويذهبون لبيعه في "ديو" .

إضافة إلى كلّ هذا ، يا سيّدي ، فإنّي أخبر سيادتكم أنّ رأيي هو أنّ الأتراك يجب أن يعرفوا جيّداً أنّكم لا تريدون أيّ صداقة معهم ، وأنّكم لا تنظرون إليهم بأيّ اهتمام ، ودعهم يعرفون أن سيادتكم على استعداد لهم إذا قرّروا أن يحضروا في أي وقت ، وعندما يعرفون هذا ، فإنهم سوف يأخذون بعين الاعتبار ما رأوه ولن يلجؤوا إلى التّلاعب بالسلام .

إذا أدى هذا الأمر إلى خسارة الخزانة أو التّجارة الخاصّة بمولانا الملك ، فأنا أيضاً ، يا سيّدي ، من الخاسرين في هذه التّجارة ورحلاتي البحريّة لا تساوي شيئاً بالنّسبة لكمّيّة صغيرة من القرفة ، والتي منحني مولانا جلالة الملك ، إعفاء شاملاً عليها ، ولكنّي حسبته فوجدته لا يكاد يساوي شيئاً .

بما أن سيادتكم هنا ، فإنّي أعود مرّة أخرى ، وعن قصْد ، يا سيّدي ، إلى الموضوع الذي نناقشه : لقد فكّرت ، يا سيّدي ، على

الأقل منذ بعض الوقت ، أنّنا لا يجب أن نقدّم لهم أيّ نوع من السّلام ، وأقسِم لسيادتكم ، أنّهم في كلّ مرّة نقدّم لهم السّلام فإنهم سيقبلونه بكلّ ترحاب .

هذا ، يا سيّدي ، هو رأيي .

"جواو فرناندس دي فاسكوسيلوس"

وفي العام نفسه (١٥٤٧م)

بعث "دوم بدرو دا سيلفا" "Pedro da Silva" رسالة إلى نائب الملك ، من "غوا" ، بتاريخ شهر سبتمبر ، عام ١٥٤٧م ، ويذكر رأيه بالمقاطعة : [٣٨]

أصدرتم سيادتكم تعليماتكم إليَّ لكي أقدّم رأيي عمّا إذا كان من الصّواب ولخدمة مصالح مولانا الملك أن تقوم هرمز بالتجارة مع البصرة .

أقول ، يا سيّدي ، إنّني لديَّ بعض الأفكار حول هذا الموضوع ، ولكن لأنّ سيادتكم أوصيتم أن نوجز القول ، فإنّ رأيي أن هرمز لا يجب أن تقوم بالتجارة مع البصرة ، وذلك بسبب الضّرر الشّديد الّذي سيحدث للهند عندما تتعامل مع الأتراك .

أقبِّل أيادي سيادتكم

"دوم بدرو دا سيلفا"

(٣٨) رقم الوثيقة والهامش.

وفي العام نفسه (١٥٤٧م)

بعث "فرناو دي سوسا" "Fernao da Susa" رسالة إلى نائب الملك ، من "غوا" ، بتاريخ شهر سبتمبر ، عام ١٥٤٧م ، وذكر رأيه بعدم المقاطعة : (٣٩)

لست متأكّداً أنّ الأتراك سوف يعانون من الخسارة إذا لم نسمح للسلع التجاريّة أو البرتغاليّين بالذّهاب إلى هناك ، ولكنّي متأكّد تماماً أنّ مولانا الملك سوف تكون خسارته جسيمة في إيرادات الجمارك ، بعد وقف الخطّ الملاحيّ التّجاريّ إلى البصرة ، كما سيخسر أيضاً كلّ البرتغاليّين الآخرين الذين يعملون بالتّجارة في الهند ، والتي نعيش جميعاً من أرباحها .

لذا فإنّه يبدو لي أنّ سيادتكم يجب أن تسمح بالتجارة مع البصرة ، وأن تمنح التصاريح للسُّفن للإبحار إلى البصرة والعودة منها .

"فرناو دي سوسا"

---

(٣٩) رقم الوثيقة والهامش.

وفي العام نفسه (١٥٤٧م)

بعث "فرانسيسكو دا كونها" "Francisco da Cunha" رسالة إلـى نائب الملك ، من "غوا" ، بتاريخ شهر سبتمبر ، عام ١٥٤٧م ، ويذكر أنه لا يعرف شيئاً عن ذلك الأمر : [٤٠]

لم يسبِق لي أن زرت البصرة ، ولا أعرف أيّ شيء عنها ، كما أنني لم أذهب إلى هرمز منذ ثمانية عشر عاماً ، ولذا فإنّني لا أعرف شيئاً عن هذا الأمر ، ولا أستطيع أن أقول أيّ شيء عنه إلّا من خلال الإشاعات التي سمعتها ، والمعلومات التي تلقّيتها من الأشخاص الذين جاءوا من هرمز ، ولديهم بعض الإدراك لأعمال التّجارة هذه .

بناءً على ذلك ، أقول إن وجهة نظري أنّ سيادتكم يجب أن تمنعوا بشكل صريح أيّ شخص من الذهاب إلى البصرة ، وكذلك أيّ سفينة أو طراد يحمل موادّاً غذائيّة أو سلعاً تجاريّة من مغادرة هرمز ، لأنّه يبدو لي أنّ لا شيء سيجعل الأتراك يرحلون عن البصرة ويتركون البلاد ،

(٤٠) رقم الوثيقة والهامش.

مثل رؤيتهم أنّ التّجارة البحريّة ممنوعة من الذهاب إليهم ، كما أنّ عدم حماسنا للتّجارة معهم أو لوجود أيّ نوع من الصداقة معهم سوف يدفعهم إلى اليأس .

مع أن مولانا الملك قد يعاني من بعض الخسائر في هذا الأمر ، بسبب فقدان إيرادات جمارك هرمز ، فإنّي أرى أن المنافع الّتي ستحصل عليها بعد ذلك ستكون أكبر بكثير من هذه الخسائر وخاصّة إذا تمّ طرد هؤلاء الناس من البصرة .

لأنّهم كلّما ازداد ابتعادهم عنّا كلّما قلّ لدينا الخوف الذي نستشعره عن حقّ من قربهم منّا ، وبالتالي ستقلّ درجة الضّرر الذي يمكن أن يفعلوه ويؤثّر على خدمتنا للرَّبّ ، أو لمولانا الملك ، أو على رخاء هذه البلاد .

أمّا إذا حدثَ ووجدتم سيادتكم أنّ لديكم بعض الأسباب التي تجعلكم ترون من الصّواب وممّا يخدم مصالح مولانا الملك أن تستمرّ حركة النّقل البحريّ والتجارة مع البصرة ، فإن من رأيي أن سيادتكم يجب أن تصدروا أوامركم بمنع أيّ شخص من نقل الحديد والصلب واللّيف الهندي والخشب إلى البصرة ، مع تشديد العقوبة على من يفعل هذا ؛ لأنّ كلّ هذه الموادّ يمكن أن يكون لها تأثيرها الضارّ جدّاً علينا ، لأنّ الأتراك يمكن أن يستخدموها ضدّنا ويسبّبوا كثيراً من الأذى لنا .

ليس لدي أيّ شيء آخر أقوله حول هذا الموضوع .

"فرانسسكو دا كونها"

وفي العام نفسه (١٥٤٧م)
بعث "ديوجو ألفاريز تيليس" "Diogo Alvares Teles" رسالة إلـى نائب الملك ، من "غوا" ، بتاريخ شهر سبتمبر ، عام ١٥٤٧م ، وكان رأيه طرد الأتراك من البصرة : (٤١)

طبقاً للتقارير التي وصلتنا عن الأتراك ، نعرف أنّهم شعب له طبيعة وفطرة خاصّة تجعلهم ، من أجْلِ أن يحقّقوا أهدافهم وينجزون عملهم ، لا يتعاملوا بالصّدق أو يلجأوا إلى الأَمانة حتّى مع أفراد أُسَرِهم أو الذين ينتمون إليهم بحكم القانون أو الحياة أو العادات ، إلّا إذا دفعتهم الضّرورة إلى ذلك .

بناء على ذلك ، فإنّ من الواضح أنّهم سيأتون إلى البصرة لعقد صفقات تجاريّة هناك ؛ ولذلك ، وبما أنّهم لا يتحدّثون الصّدْق أو يستخدمون الأمانة مع هؤلاء الذين ذكرتهم من قبل ، فإنّه من المتوقّع أنّ تعاملهم معنا سيكون أقلّ صدقاً وأمانة ، لأنّنا مختلفون عنهم كثيراً في الدّين ، وأسلوب الحياة والعادات ومع ذلك .

---

(٤١) رقم الوثيقة والهامش.

ورغم أنّ مولانا الملك قد يتكبّد بعض الخسائر الصغيرة في هذا الأمر ، عندما تقلّ واردات جمارك هرمز ، فإنّ رأيي أنّ سيادتكم لا يجب أن تشجّعوا قيام أيّ صداقة أو تجارة بين أهالي هرمز وهذا الشّعب ، كما يجب أن تأمروا سيادتكم بتقوية دفاعات هرمز وصيانتها حتى لا يخرج أيّ شيء من هناك أو من هذه البلاد إلى البصرة ، وعلى القائد هناك أن يهتمّ اهتماماً شديداً بهذا الأمر .

في هذه الأثناء ، وإذا سمح الوقت ، عليكم أن تجهّزوا بعض الزّوارق لتذهب إلى "القطيف" والبحرين ، ويكون مسؤولاً عنها بعض الأشخاص الذين تثقون فيهم وذلك لكي تتأكّدوا من عدم ذهاب أيّ شخص أو شيء إلى البصرة .

إنّ هذا الإجراء سيمنع أيّ فائدة قد يحصل عليها هؤلاء النّاس .

طبقاً أيضاً لما أعرفه عن الأتراك وخاصّة الجنود منهم ، فإنّهم لا يطيعون قادتهم وبشكل خاصّ عندما تتأخّر عنهم رواتبهم .

كنتيجة لهذا ، وفي حالة عدم ذهاب السّفن إلى البصرة ، فإنّ هذا سيؤدّي إلى إغلاق الميناء ونقْص الأموال المطلوبة لدفع أجور الجنود ، ولن يحصلوا إلّا على القليل من المال ، بل سيحدث ما هو أسوأ عندما يهجر النّاس البصرة ولا يبقى فيها إلّا القليل منهم ، وستدفع هذه الحالة ملك البصرة إلى أن يكتسب تدريجيّاً شجاعة جديدة ويعمل على الدخول إلى المدينة ويفعل مثلما فعل أهالي عدن .

أذكر سيادتكم أن أفضل ردّ على هؤلاء الناس الأشرار هو طردهم

من هذه المنطقة في أسرع وقت ممكن ، ولا شكّ أن سيادتكم سوف تفعلوا هذا ... ، وبهذه الطريقة سوف تفتحوا المجال لرعاية شؤون هذه البلاد وازدهار الأعمال التّجاريّة فيها .

"ديوجو ألفاريز تيليس"

وفي العام نفسه (١٥٤٧م)

بعث "جواو دي ماجالهايس" "Joao de Maguilheis" رسالة إلى نائب الملك ، من "غوا" ، بتاريخ شهر سبتمبر ، عام ١٥٤٧م ، وذكر رأيه بالمقاطعة : (٤٢)

رأيي أنّ سيادتكم يجب أن تصدروا أوامركم وتصرّوا على عدم نقل أيّ بضائع من أيّ مكان إلى البصرة ؛ لأنّه لا يوجد أموال في تلك البلد يدفع منها الأتراك أجور الجنود إلّا الأموال الّتي تأتي من عائدات الجمارك ، وإذا لم توجد أموال ، فإنّ القوات ستشعر بالقلق ، لأن هؤلاء الجنود إذا لم يحصلوا على أجورهم ، فإنهم لا يطيعوا قائدهم .

قد جاءتني مؤخّراً معلومات عن محاولة هؤلاء الجنود قتل أمين الخزانة لأنّه لم يدفع لهم أجورهم ، ولذلك اضطر إلى استدانة بعض الأموال من التّجّار لتموين سفن من الخارج ، ودفع أجور الجنود من هذه الأموال .

---

(٤٢) رقم الوثيقة والهامش.

من الممكن في مثل هذه الحالات أن يشعر الجنود بالإخفاق والحزن ، ومن ثمّ يتركوا المدينة ... ، وإذا حدث هذا فلن يظلّ في المدينة إلّا عدد قليل جدّاً منهم ، ومن المحتمل عندئذ أن يفعل العرب مثلما فعلَ أهالي عدن ويطردوا الأتراك من المدينة .

أمّا إذا استمرّت التّجارة معهم ، فإنّ البصرة ستتحوّل إلى مدينة قويّة وغنيّة وسيصبح من المستحيل اقتلاع الأتراك من هناك ، لأنّهم يعدّون تجّاراً كباراً ، وبغداد قريبة منهم ، ولذلك لا يجب السّماح بأيّ نوع من التّجارة معهم أو حتى الاتصال بهم ، لأنّهم بالإضافة إلى ذلك (....) جدّاً بينما نحن مهملون وطمّاعون .

أمّا بالنّسبة للفلفل والأعشاب ، فسوف لن يجدوا منفذاً لها طوال وجودي هنا ، إن سيادتكم بهذا ستقدمون خدمة جليلة لصاحب الجلالة ، لأنّهم يحتجّون فقط على الفلفل والأعشاب الّتي يأخذونها عن طريق البصرة ، ممّا يؤدّي إلى وجود كمّيّات أقلّ للبرتغال .

هذا ، يا سيدي ، هو رأيي المخلص الذي أقدمه خدمة لله ولمولانا الملك ،

وهذا هو توقيعي .

"جواو دي ماجالهايس"

وفي العام نفسه (١٥٤٧م)

بعث "جارسيا دي سا" "Garcia de Ca" رسالة إلى نائب الملك ، من "غوا" ، بتاريخ شهر سبتمبر ، عام ١٥٤٧م ، وكان رأيه المقاطعة : [٤٣]

سيّدي ، إنّ كلّ ما أعرفه عن البصرة أنّها بلد لا يوجد فيه أيّ موادّ غذائيّة إلّا تلك الّتي تأتي من "الجزائر" وبلاد فارس ، وهي موادّ وفيرة ، وتأتي إلى أهالي البصرة لأنّ لديهم منفذاً لبيعها وأيضاً لعدم وجود جنود هناك ، ومنها فإنّ تجارة هرمز (....) الذين سيستولون على البصرة منهم .

أمّا إذا هجرها الأجانب على الأقلّ ، ويرى الأتراك أنّها لن تقدّم لهم أي شيء ، وبالتالي سيحرمون ممّا يمكن أن يساعدهم على البقاء ويزوّدهم بالموارد الضّروريّة للحياة ، التي (....) (....) من بلاد فارس ، وما دامت البصرة في أيدي الأتراك ، فلا يجب أن تصلهم أيّ موادّ

(٤٣) رقم الوثيقة والهامش.

غذائيّة أو خيول ، ومعظمها يأتي إلى هرمز من البصرة ، ولا أن يكون هناك (....) أقلّ ممّا لديهم ، وأن جميع (....) من تجارة هرمز .

إنّ وجهة نظري أنّنا يجب أن نمنع التّجارة معهم ، ورغم أنّ مولانا الملك (قد يخسر) بسبب هذا المنع ، إلا أنني أعتقد أن من الأفضل كثيراً لنا أن نخسر جزءاً من أرباحنا بدلاً من أن نخاطر بكل ما لدينا ، لأن السلام مع الأتراك ، كما أظهرت التجارة السابقة معهم ، أشدّ خطراً من الحرب ، وذلك يرجع إلى ثقتنا المفرطة وإهمالنا .

إضافة إلى هذا ، فإن الأمر متروك لسيادتكم لكي تعرفوا وتناقشوا ما الذي سيخسره مولانا الملك فيما يخصّ تجارة الهند والرسوم الجمركيّة ، التي يمكن أن تكون جسيمة ممّا يستدعي أن (....) (....) الأعمال التّجاريّة .

"جارسيا دي سا"

وفي العام نفسه (١٥٤٧م)

بعث "دوم دوارتي دي سا" "D . Duarte de Sa" رسالة إلى نائب الملك ، بتاريخ عام ١٥٤٧م ، وقد علل رفضه بحوادث وأمور سابقة : (٤٤)

سيّدي ، إجابتي عن السّؤال الّذي طرحتموه سيادتكم بخصوص النّقل البحريّ التّجاريّ إلى البصرة ، فإنّي أرى أنّ هذا النّقل يبدو من أشدّ الأمور ضرراً بمصالح مولانا الملك ؛ وذلك لأسباب عديدة :

أوّلاً : لأنّنا إذا أبحرنا بالسُّفن الشراعيّة إلى هناك ، فإنّ الأتراك سيستفيدون فائدة كبيرة من هذه السُّفن ، كما فعلوا بالسُّفن التي كانت تصِل إلى مضيق "مكّة" ، حيث استطاعوا أن يحوّلوا سفن "ملباري" بقليل من الجهد إلى سفن حربيّة .

كما أنّهم سيحصلون على كمّيّات كبيرة من الحديد والصّلب والمواد الحربية الأخرى التي لا توجد في تلك المدينة ، وذلك عن

(٤٤) رقم الوثيقة والهامش.

طريق السفن نفسها ، التي ستذهب إليهم دون أن تكون لدينا القدرة على منعهم .

عندما تكون السفن مكتظّة بالبضائع ، ليس من السهل علينا أن نرى ما هو مخبأ تحتها ، وحتى مع اتّخاذ كل وسائل الحرص الشديد ، فإنّ كثيراً من هذه الموادّ سوف تأتي إلى هرمز في هذه السفن نفسها ، أنهم يفعلون هذا في وقت قصير جدّاً ، وذلك عن طريق سفرهم على هيئة تجّار ، وبهذه الطريقة يسيطرون على مساحة واسعة من الأراضي .

من الواضح أنهم يفعلون هذا ، لأنّ هذا هو أسلوب حياتهم .

أما إذا منعتهم خطّ الملاحة إلى البصرة ، فإن سيادتكم بهذا تزيلون كلّ الادعاءات من أفكارهم الشريرة .

إذا منعتهم الشراء منهم أو البيع لهم ، فإنهم لن يحصلوا على أي أرباح من هذه البلاد كما أن جماركهم لن تعود عليهم بأيّ موارد .

لذا ، عندما ترون المصاريف الجسيمة التي عليهم أن ينفقوها ، فإنهم سوف يهجرون المدينة .

ستكون هذه خدمة جليلة لله ، ولجلالة الملك ولخير هذه البلاد ولمن فيها من العباد .

إنّ عندي بعض أسباب أخرى عديدة يمكن أن أقدّمها لسيادتكم ، ولكنّي لن أقدّمها ؛ لأنّ هذه الأسباب التي قدّمتها هي الأقوى والأكثر أهمّيّة .

"دوارتي دي سا" .

وفي العام نفسه (١٥٤٧م)

جاء ردّ "مانويل كوتينهو" "Manuel Coutinho" على الاقتراح الّذي طرحه الحاكم في المجلس ، بشأن النّقل البحريّ التّجاريّ إلى البصرة ، "غوا" ، في يوم السّادس والعشرين من شهر سبتمبر ، عام ١٥٤٧م ، مؤيداً لإقامة خط بحري بين هرمز والبصرة : [٤٥]

سيّدي ،

فقرة : في رأيي أنّ الرّحلات البحريّة من قلعة هرمز إلى البصرة لن تسبّب أيّ ضرر لمصالح مولانا الملك ، ولا أجدها أيضاً ذات أثر ضارّ بالأتراك ، لأنه إذا أراد أحد أن يزعم أننا إذا منعنا هذه الرحلات عن الأتراك فإنهم سوف يغادرون البصرة ، فإنّني لا أوافق على ذلك ، إنّ مصالحهم العظيمة هناك هي التي تجعلهم يتشبّثون بالبقاء فيها ، والآن ، وبعد أن استولوا عليها ، فإنّ هدفهم معروف لنا جميعاً ، وذلك فإنّهم لن يتخلّوا عنها حتى إذا أنكرنا عليهم ذلك .

(٤٥) رقم الوثيقة والهامش.

فقرة : أعتقد أنّ من الخطأ أن تذهب السفن من الهند مباشرة إلى البصرة ، لأنها سوف تبحر محمّلة بكمّيّات كبيرة من الألواح الخشبيّة والكثير من المواد الحربية الأخرى ، ورغم أن بعضهم قد يقول إنّ الأسطول القويّ لا يمكن بناؤه من الأخشاب التي تأتي إلى هنا ، فقد يكون هذا صحيحاً ، ولكن لأنّ السُّفن التي تأتي من هناك ، على قلَّتِها ، إذا كانت تأتي من مكان قريب ، فإنّ عشرين منها تساوي خمسين .

فقرة : ولا أظنّ أنّها فكرة سيّئة أن يكون لدينا وسيطاً تجاريّاً في البصرة ، لأنّ سيادتكم تستطيعون من خلال وجوده هناك أن تحصلوا على تقارير يوميّة عما يفعله هؤلاء النّاس أو يخطّطوا له ، وهو الأمر الذي ما كان يمكن أن يحدث لو أنّنا منعنا حركة النّقل البحريّ التّجاريّ بيننا وبينهم .

تحتاجون سيادتكم إلى زورقين يعملان في المضيق ، يكون مسؤولاً عنهما رجال تثق فيهم ، وتكون مهمّتهم البحث عن السُّفن التي تأتي من الهند ، ويقوموا بتفتيشها ، وإجبارها جميعاً على المجيء إلى ميناء هرمز .

هذا هو رأيي .

"مانويل كوتينهو" .

وفي العام نفسه (١٥٤٧م)

بعث الـ"دوم مانويل دي ليما" ، رسالة إلى الـ"دوم جواو دي كاسترو" ، هرمز ، في يوم السّابع والعشرين من شهر سبتمبر ، عام ١٥٤٧م ، يذكر فيها أحداثاً بين السلطان التركي والشاه الفارسي : [٤٦]

سيّدي ، إنّ الأحداث في البصرة أكثر إرباكاً ممّا كان يعتقد أيّ منّا هُنا .

اليوم الثّاني والعشرين من شهر سبتمبر ، وصلت سفينة شحن (طرّاد) من البصرة محضرة لي رسائل من "دومينجوز باربودو" عن الأخبار التي قد تسلّمها ، على الرّغم من أنّه قد وصل إلى البصرة منذ أيام قليلة قبل أن يسمع أخباراً كثيرة ، لأنّه لم يكتب عن بعض الفقرات التي نعرف هنا أنها صحيحة ، إنه لم يكتب لي عن الاثنين والعشرين طرّاداً التي قد استولى عليها الأتراك في البصرة والتي جاءوا من أماكن تخضع لنفوذ الأتراك .

(٤٦) رقم الوثيقة والهامش.

رحل اثنان من هذه الطرّادات التي قد وصلت حديثاً عنهم ، والتي لم تكن من هرمز ، عندما وصل "دومينجوز باربودو" إلى هناك ، أخبرني بهذا نواخذة الطرّادات وبعض التجّار الذين وصلوا فيها .

أخبروني أيضا أنهم قد استولوا على سفينة "كاراك" كبيرة من القاهرة ، كانت ملكاً لتاجر عربي غادر من هنا في زمن "لويس فالكاو" ، وأخذت لكي يصنع منها قوارب سريعة ، أخبرني أحد التجار ، جاء في واحدة من هذه الطرّادات ، أنه اعتقد أنهم ، عندما وصل "دومينجوز باربودو" ، قد أعادوا سفينة "الكاراك" إلى مالكها .

هكذا كانت الأمور في البصرة ، ولا يوجد تجّار هناك فيما عدا ذلك العدد الصغير لدرجة أن أحداً لم يأخذ منهم أيّة بضاعة .

إذا باع الأتراك حصاناً ، فيجب عليهم أن يفعلوا هذا نقداً لأنهم لا يريدون أية بضاعة على الإطلاق ، إنكم سوف ترون ما يكتبه في الرسالة القادمة في "دومينجوز باربودو" التي أقوم بإرسالها إلى سيادتكم .

يقول جميع التجار والنواخذة في هذين الطرّادين الاثنين اللذين جاءا من البصرة أن أخاً للشاه "طهماسب" "Tahmasp" ، الذي كان متحالفاً مع سلطان الأتراك هو في طريقه ، وأنه قادم من اتجاه واحد مع خمسة آلاف رجل ، وأن السلطان التركي يجب أن يتقدم في اتجاه البحر من خلال بعض الجبال ، حيث توجد طرق تم إقامتها في الماضي ليست بعيدة عن بغداد ، إلا أنه يبدو لي أن هذا لا يمكن أن يكون هكذا وأنهم يقومون بنشر هذه الأخبار لكي يخفوا شيئاً ما آخر يقومون بفعله .

كتب "جوازيل" وزير البحرين رسالة إلى ريس شرف وأخبره أن يطلع على رسالة أخرى ، قد كتبها إليه محمّد باشا ، قبطان البصرة ، التي يقول فيها أن سلطان الأتراك المعظم قادم لكي يهاجم "الشاه طهماسب" بقوة كبيرة ، وأنه سوف يأتي إلى بغداد ، يقول إن المبعوث المعظم لدى السلطان التركي قد وصل إلى البصرة ، وأنه قال هذه الأشياء في رسالته ، أطلعني عليها الوزير ريس شرف .

في زمن "لويس فالكاو" أتى إلى البحرين خادم من محمّد شاه وأهدى سترة - بدلة عسكرية - إلى وزير "جوازيل" البحرين ، التي قبلها ، وهو في مسجده يُسمّى المحمّدي ... ، ولقد سكَّ عملة من أجل السلطان التركي في المسجد بتقديم رشوة إلى خادم محمّد باشا مخبراً إيّاه بأنه يمكن أن يفعل هذا في الحال ، على الرغم من أن هذا حدث في زمن "لويس فالكاو" ، أصبح الآن فقط معروفاً بأنه مؤكّد فإنه يبدو لي أنهم يطيعون محمّد باشا .

كتب إليّ وزير البحرين رسالة ولكنّه لم يرد ذكراً لهذه المسائل .

فيما يتعلق بـ البحرين ، يبدو لي أن الأتراك سوف ينظرون فيما إذا استطاعوا الاستيلاء عليها إما بالحيلة أو بالقوة ، لكي يكونوا في مكان أقرب إلى هرمز .

في البحرين عند إحصاء الطرّادات التي تصطاد اللؤلؤ ، والأخريات التي هي أكبر ، فإنه يجب أن يكون هناك أكثر من مائتين وخمسين ، ويُقال بأنه يوجد أكثر من أربعة آلاف بحار .

بسبب الطرّادات والبحارة في الجزيرة ، فإن الأتراك لا بدّ أن يطمعوا

فيها كثيراً ، بالإضافة إلى هذا ، فإن الأتراك يمتلكون أربعين سفينة نقل في البصرة ، وفي الأماكن المُطيعة للبصرة يمكنهم أن يجمعوا ثلاثين طرّاداً أيضاً ، بسبب خوفهم من الأتراك سوف يتم إرسال عدد كبير من الطرّادات التي يطلبونها من أماكن أخرى ، عندما ذهب الأتراك من البصرة إلى قلعة (عريقه) "Arica" كنت غير سعيد لأخذهم ثمانية طرّادات من البحرين .

رأيي الذي أقدّمه لسيادتكم ، هو أن هؤلاء سوف يتم إصدار الأمر إليهم لكي يهاجموا قلعة هرمز هذه ، سوف يعطيني سيادتكم أفضل رأي من الجميع ، لأنه يقال هنا بأنهم لا يستطيعون أن يستولوا على القلعة إذا لم يستولوا أولاً على مدينة هرمز ، إنهم يقولون إن هذا هو نصحهم وأن الله لا يريد ولا يسمح بأن يحدث شيء كهذا ، توجد بعض الأشياء التي لم أكن كاتباً عنها إلى سيادتكم لأنه لا يوجد تأكيد بأنها صحيحة .

تبدو جزيرة هرمز هذه شيئاً ما مهمّاً جدّاً لدرجة أن سفينة "كاتور" تقوم بدورية حراسة حولنا في كل ليلة ، كما لو كانوا ذاهبين (للاستيلاء على مدينة هرمز) وفعلت ذلك في الأزمنة السابقة حينما لم تكن ضروريّة جدّاً .

من هنا يمكن أن تذهب سفينة "كاتور" أخرى إلى "كامجار" "Camgar" وعلى طول ذلك الساحل حتى لا يصل الفلفل والبضاعة الممنوعة الأخرى إلى البصرة ؛ لأنني قد تلقيت رسالة من هناك قائلة إنه قبل أن أجيء إلى هذه القلعة وصلت فعلاً كمية كبيرة من الفلفل إلى البصرة .

سوف تكون سفينة "الكاتور" هذه قادرة على أن تذهب إلى أماكن حيث تستطيع أن تمنع الكبريت من الذهاب إلى "كامباي" ، هذا المكان ليس هنا لكي يوفر المال الذي من المقدر أن يتم إنفاقه من كل الوجوه في خدمة سموه ، توجد قوانين عديدة جداً في هذه الوكالة التجارية للحد الذي يظهر فيه أنهم إذا تمت مراقبتهم فمن الممكن أن تنشأ منهم بعض المشاكل .

أعتقد أن سيادتكم يجب أيضا أن يأمر بأن يتم دفع الصيانة لكل أولئك الذين لديهم ولو حصان ، حيث كان يجب أن يحدث هذا في الماضي ؛ لأنه لكي يذهب قبطان بمفرده على ظهر حصان يصبح أمراً خطيراً جداً ، لأنه يجب أن تمر من خلال مدينة واسعة جداً ، وحيث يوجد عدد كبير من الناس من أمم عديدة .

إنها عادة طويلة الأمد لدى القباطنة ، حينما يسير الملك ممتطياً ظهر حصانه أن يذهبوا برفقته ، ذهبت معه بمفردي في اثنتين من المناسبات عندما أرسل لكي يطلب مني في مناسبات أخرى أن أسير في ركبه ، قدمت اعتذاراتي لأنه كان هناك قليلون يمكن أن يسيروا معي ، ولأنني أعتقد أنه من الخطورة بمكان في هذه الأوقات مرافقته .

تحتاج هذه القلعة كثيراً إلى مسحوق البارود ، ذهبت لكي أرى المباني حيث يتم الاحتفاظ بالمسحوق ووجدت سبعين برميلاً ؛ لأن هذا المكان حارّ جدّاً ويتجفّف المسحوق ، فإن البراميل مملوءة إلى النصف ويوجد بالتأكيد أربعون برميلاً مملوءة بأكملها ، تحتاج القلعة كثيراً إلى هذا ، يمكن لسيادتكم أن ترسلوا بعض المسحوق بالسرعة الممكنة ، لأنها سلعة ضروريّة جدّاً .

يوجد أيضاً هنا حاجة إلى اثنين من براميل الخل وقذائف مدفع حجرية كبيرة من جميع الأنواع ، وخمسمائة قذيفة حجرية للمدفع الخفيف ، وحديد من البرتغال وحديد محلّي ، ورصاص وعجلات للمدفعية الثقيلة ، التي يجب ألّا تكون صغيرة جدّاً ، تحتاج هذه القلعة أيضا قذائف لمدفعية الحصار و(...) وهي تحتاج إلى (أسد ؟)[أ] "Lion" ومدفع حصار ، ودستة أخشاب صنوبر طويلة للمدفعية ونصف دستة من الحبال ، وكابلات لراجمات مزدوجة للمدفع ، ونصف دستة من رماة القذائف لأنّ القلعة فيها نقص شديد في كل منهم .

إذا وصلت البنادق والمشروبات المُسكرة "أركابس" من البرتغال ، فإنه يجب على سيادتكم أن ترسلوا أولئك الذين ترون أنهم مناسبون لكي يتم الاحتفاظ بهم في مخزن بارود القلعة ، وأيضاً اثنين من النجارين "الملاباريين" ، لأنه لا يوجد أكثر من اثنين في هذه القلعة .

يوجد في البصرة خبر مؤكد أن السلطان التركي المعظم يقوم بإرسال أحد قباطنته إلى بغداد والذي سوف يعمل كنائب للملك في بغداد والبصرة ، إنه من المفترض ويظهر هنا أنه الشخص الذي يقوم بإحضار المعلومات من السلطان التركي فيما يتعلق بكيفية الحرب ضدّ هذه القلعة ، كما توجد شائعات كثيرة منتشرة هنا والتي لم أقم بالكتابة عنها إلى سيادتكم ، لأن سيادتكم سوف يسمع من الناس الذين يُبحرون في السفن مغادرين هذا الميناء ، ولسوف أعطي تصريحاً

(أ) هذا على ما أعتقد هو اصطلاح (الأسد في اللغة البرتغالية لهذه الفترة) وإلا على قطعة ما من المدفعية (ملاحظة المترجم) .

لعدد صغير منهم حول ما هو الوضع في هذا المكان ، والأخبار القادمة من البصرة .

حيث لا يوجد تجار من حلب أو بغداد أو أي مكان آخر ، فإنه من المفترض أن يكونوا متأثرين بشيء ما ، تم إصداره بأمر الأتراك بمنعهم من تولي تجارتهم العادية في البصرة ، لقد مرَّ الآن عام واحد منذ أن تمّ الاستيلاء على البصرة من قبل الأتراك ، ذهبت في زمن "لويس فالكاو" إلى هناك طرّادات عديدة بكمية كبيرة من القرنفل والتوابل الأخرى والقماش .

لهذه الأسباب سوف يكونوا مضطرين للمجيء إلى البصرة مثلما فعلوا دائماً ، لأنهم كان لديهم عدة أنواع مختلفة من البضاعة في المكان ، كتب إليّ "دومينجوز بابودو" قائلاً إنه لا يجب أن يتم إرسال بضاعة كثيرة إلى هناك ، وتأكدت من هذا بأنه لم يكن كاتباً عن نصف ما يتم القيام به هناك .

إن ما يرغب فيه الأتراك كان كثيراً ، وما يسألون دائماً عنه هو الحديد والصلب القادمين من القاهرة ، وسواءً يتم شراؤه أو الاستيلاء عليه بالقوة ، فإنهم يستطيعون أن يحصلوا عليه ، ولكنني حذر جداً في هذه المسائل .

يتم تفتيش جميع الطرّادات الذاهبة إلى البصرة ، بينما هم هنا مشغلون بالقلعة ، حينما قد تم البحث عنهم ، أمرتهم أن يغادروا في الحال ، كما أن هناك في الماضي أمراً في هذا بأنه بعد أن يتم البحث عنهم ، يجب أن يتحركوا من ميناء إلى آخر ، حيث يمكثوا لمدة يومين .

إن الحاجة الأشد لسيادتكم هي أن ترسلوا جنوداً أقوياء لكي يمكثوا في هذه القلعة ، ويمكن لسيادتكم أن ترسلوا شخصاً ما معهم لكي يُزوّدهم بالطعام أو طريقة ما لوجودهم هنا بإرادتهم ، لأن هذا المكان غالي جداً في تكلفة معيشته ، الناس هنا مُحتالون ويعارضون الحرب بشدة إذا لم يقوموا بها لمصلحتهم ، هناك فرص عديدة لكي يهربوا من هنا .

هذه عملية تكمن فقط في مسألة شراء طرّاد والذهاب به إلى مسقط ، لهذا السبب ، يمكن أن يأمر سيادتكم أن يتم بشدة معاقبة أي فرد يعيش هنا بدون إذن مني .

عرض عليَّ "لويس فالكاو" أن أمكث هنا لأنه عرف مشاكل المكان ، ولأنه من مصالح سموّه يمكن لسيادتكم أن توجه إليه اللوم إذا كان المكان على هذه الحال ، لأنه أخذ من هرمز ومن مسقط أحد قواربه السريعة ومائة رجل في سفينة "غاليون" جميعهم بدون إذن منّي ، فقد هرب معظمهم من هذه القلعة كما قد تم التأكيد لي حديثاً من مسقط .

تبدو الحاجة إلى "فرانسيس بيريز" كثيراً هنا ، مثلما قد كتبت إليكم في وقت سابق لكي أخبر سيادتكم ، يوجد أشياء عديدة في هذه القلعة يمكن أن يتم تصحيحها ... ، وتوجد شرفات دفاعية في القلعة مغلقة بتجاه الأرض المجاورة ، التي يمكن منها أن تُضرب هذه القلعة بالقذائف .

إنني مُرسل إليكم "أنطونيو غونزالفيس" ، وهو سوف يُسلّمكم هذه الرسالة ، طالباً منكم إجراءات معيّنة أحتاج إليها هنا ، أرجو من سيادتكم التفضّل بالاستماع إليه وترسلونه عائداً بهذه الرسائل ، لأنه بفعلكم هذا سوف تسدون لي معروفاً ، وهذه الإجراءات هي من

مصالح سموّه ، سوف يُسلَّم أيضا "أنطونيو غونزالفيس" سيادتكم الآراء التي قد حصلت عليها من الناس عن الأحداث في البصرة ، وعن ذهاب "دومينجوز" إلى هناك ، موقعة من قبل كل فرد منهم .

أقبِّل يدي سيادتكم ، أطال الله في عُمركم وفي مُلككم .

هرمز ، في يوم السّابع والعشرين من شهر سبتمبر ، عام ١٥٤٧م .

الـ"دوم مانويل دي ليما" .

وفي العام نفسه (١٥٤٧م)

بعث "خواجا بابو" رسالة إلى الحاكم ، هرمز ، في يوم السّابع والعشرين من شهر سبتمبر ، عام ١٥٤٧م ، يطالب بحقوقه الأسرية من ملك هرمز : [٤٧]

سيّدي ، أنا "خواجا بابو" ، أمير هرمز ، أودّ أن يكون معلوماً لسيادتكم أنني برغم تواجدي هنا بأوامر من سيادتكم إلا أنني ليس لي من مكان أسكن فيه ولا شيء آكله أو أشربه ، فالملك لا يهتم بي أو يراني ولا الحكّام ، فالحكّام لديهم كل السلطة ، والملك ليس إلّا ألعوبة بين أيديهم .

إنني ، يا سيدي ، ربّ أسرة كبيرة ، ولديّ الكثير من الأطفال الذين يحتاجون الطعام ، ولكنهم لا يعطوني إلّا تانجاً واحداً لطعامي وشرابي كل يوم ... ، وهذا شيء أرفضه .

---

(٤٧) رقم الوثيقة والهامش.

إني أتوسّل إلى سيادتكم أن تشملوني برعايتكم ، لأنني ابن أخ والد هذا الملك ،

أتوسّل إليكم ، يا سيّدي ، أن ترسلوا رسالة إلى هذا الملك لكي يهتمّ بي هو والحكّام ، لأن ملك "البرتغال" أمر برعايتي منذ أربع وثلاثين سنة ، أي منذ فترة حكم "أفونسو البوكيرك" ... ، وحتى حكم سيادتكم .

قد صرح لي بأن أتلقّى الأموال منهم ، إذا أرادوا أن يقدّموا الطعام لي ، طبقاً لما هو متبع مع الأمراء .

إنّي أرجو سيادتكم أن تعطوني تصريحاً بالذهاب إلى مملكة أخرى للبحث عن الطعام .

لقد أرسلت التماسا مع "خواجا بركولي" ، وأيضاً عدّة نُسخ من المستندات التي تشير إلى أن الملك أخذ منّي كمّيّة من البضائع ، كما أنني مدين إلى أحد البرتغاليّين ، فإما أن يرد إلى الملك بعض هذه البضائع ، أو يدفع الدين المستحق إلى البرتغاليّ .

أستحلفكم بالله وأتوسل إلى سيادتكم أن تفعلوا هذا من أجلي ، لأنه ليس لدي من يرعاني إلا ملك البرتغال وسيادتكم .

كتبت هذه الرسالة بنفسي في هرمز ، اليوم السّابع والعشرين من شهر سبتمبر ، عام ١٥٤٧م .

"خواجا بابو"

معنوَن إلى : السيّد الحاكم .

وفي العام نفسه (١٥٤٧م)
بعث "دوم ألفارو كوتينهو" "D . Alvaro Coutinho" رسالة إلـى نائب الملك ، من "غوا" ، في يوم الثامن والعشرين من شهر سبتمبر ، عام ١٥٤٧م ، مؤيداً إقامة الخط الملاحي بين هرمز والبصرة : (٤٨)

سيّدي ، أمرتموني سيادتكم بأن أوضّح رأيي بشأن منع النّقل البحريّ التّجاريّ بين هرمز والبصرة ، وأرى ، يا سيدي ، أننا لا يجب أن نعطل هذا الخطّ الملاحي بين المدينتي ، لأن هؤلاء الذين قهروا العالم لن يزعجهم كثيراً أن نحرمهم من التوابل والأعشاب ، ومن المعروف أن لديهم وفرة كبيرة جدّاً من الطعام ، والبصرة هي أشبه بسهل "لومباردي الإيطالي" الخصب ، وهذه الممالك تريد البصرة ذاتها أكثر مما تريد الأعشاب ، وعسى أن تكون رغبة الرَّبّ ، وأيضاً حظّ سيادتكم الحسن أن يتم طردهم من البصرة كما تم طردهم من عدن على أيدي الأهالي هناك .

(٤٨) رقم الوثيقة والهامش.

أما إذا لم يسمح الوقت لسيادتكم بتغيير الخطط ، وأخذتم أيضا بعين الاعتبار أنّكم محاصرين بين حربين كبيرتين مع سيّدين قويّين جدّاً في حالة تنافس ، في هذه الحالة يجب عليكم التظاهر بالموافقة الوقتية على ما يحدث ، وتسمحوا بالنقل البحري التجاري بين هرمز والبصرة ، وتسمحوا أيضا للتجار بالمجيء والذهاب ، لأنك عن طريقهم ستأتيك المعلومات عن نوايا الأتراك .

هذا هو رأيي .

كتبت الرسالة في يوم الثّامن والعشرين من شهر سبتمبر ، عام ١٥٤٧م .

"ألفارو كوتينهو"

وفي العام نفسه (١٥٤٧م)

بعث "دوم ديوجو دي ألميدا" "D . Diogo de Almeida" رسالة إلـى نائب الملك ، من "غوا" ، في يوم الثلاثين من شهر سبتمبر ، عام ١٥٤٧م ، ويذكر رفضه لحركة السفن بين هرمز والبصرة : (٤٩)

سيّدي ، بالنّسبة لرأيي في موضوع حركة السُّفن ذهاباً وجيئة بين هرمز والبصرة ، فإني أؤكّد أنه لا يجب مهما كان الأمر أن توجد حركة نقل بحري أو تجارة مع البصرة ، وذلك لأن أهلها يعتبرون أشراراً جدّاً والأفضل لنا ألا نصادقهم أو تكون بيننا وبينهم أي علاقة .

لا بدّ أن سيادتكم قد تلقّيتم من الأشخاص الذين يعيشون في هرمز أسباباً أخرى تؤكّد هذا .

هذا هو رأيي ، كتبت الرسالة اليوم ، في "غوا" ، في اليوم الأخير من شهر سبتمبر ، عام ١٥٤٧م .

"دوم ديوجو دي ألميدا"

---

(٤٩) رقم الوثيقة والهامش.

وفي العام نفسه (١٥٤٧م)

بعث "خورخي كابرال" "Jorje Cabral" رسالة إلى نائب الملك ، من "غوا" ، في يوم الثلاثين من شهر سبتمبر ، عام ١٥٤٧م ، وفيها رفضه لإقامة اتصال بالبصرة : (٥٠)

سيّدي ، بالنّسبة لسؤال سيادتكم عمّا إذا كان يجب أن نسمح للسُّفن بالذهاب إلى البصرة ، التي أصبحت الآن في أيدي الأتراك ، فإنّي أعتقد أن ممّا يضرّ بمصالح مولانا الملك أن نوافق على هذا ، بل الأفضل أن نمنعها ؛ حتى يفقد الأتراك أي أمل في الحصول على أرباح من هذا الميناء ، أو على مساعدة من السفن التي تبحر إلى هناك .

كما أننا يجب أن نوقف مرور التوابل والأعشاب من خلال ذلك الميناء ، ورغم أن مثل هذا الإجراء قد يؤدي إلى خسارة مولانا الملك لبعض العائدات التي كانت تأتي من الجمارك ، فإنه لا يجب أن يفكر

---

(٥٠) رقم الوثيقة والهامش.

في أرباحه في هذا الوقت الذي يمكن فيه أن نفقد الهند كلها بهذه الطريقة ، والهند هي بلا شكّ الأهم بالنسبة لمصالحه .

لذا فإن من رأيي أن ترسلوا سيادتكم الأسطول المرابط في هرمز لكي تتأكد من عدم ذهاب أي سفينة إلى هناك ، لأن كثيراً من السفن تغادر الهند دون أن يكون معها جواز مرور آمن وتذهب مباشرة إلى البصرة ، دون أن تمرّ على هرمز .

كتبت الرسالة اليوم ، آخر أيام شهر سبتمبر ، عام ١٥٤٧م .

"خورخي كابرال" .

وفي العام نفسه (١٥٤٧م)

بعث "د . مانويل دي ليما" رسالة إلـى "د . جواو دي كاسترو" ، نائب الملك في الهند ، هرمز ، في يوم الثلاثين من شهر سبتمبر ، عام ١٥٤٧م ، وقد ذكر رفضه للاتصال بالبصرة : [٥١]

سيّدي ، فيما يخصّ طلب سيادتكم تقديم رأيي بالنسبة لوجود الأتراك في البصرة ، وهل نتاجر معهم ونصادقهم؟ فإن إجابتي هي كالتالي :

من المعلومات التي حصلت عليها عن البصرة وعن الحصار المضروب عليها هناك ، فإن رأيي هو أن سيادتكم لا يجب أن توافقوا لأي إنسان أن يأخذ سلعاً تجارية أو أي شيء آخر من هرمز أو من أي ميناء آخر في الهند ويذهب بها إلى البصرة ، ولا أن تقوم أي صلات تجارية أو صداقة مع الأتراك هناك ، ويجب أن نضع عقوبات شديدة لمن يفعل هذا .

---

(٥١) رقم الوثيقة والهامش.

هذا هو رأيي ، لأن أراضي البصرة تعاني من نقص شديد في المواد الغذائيـة والأشياء الأخرى الضرورية للمعيشة ، وإذا منعنا عنهم تجارتهم ، فسوف يدمّرون أنفسهم ويهجرون المكان ، وذلك لأن الأمر لا يتعلق بنقص المواد الغذائية فقط ، بل لأن ملك البصرة هو عدوّ لهم أيضاً ، وهم بعيدون جدّاً عن أوطانهم ، ومن الصعب أن تأتيهم من هناك أي مساعدة أو أموال لدفع أجور الجنود ، وبدون هذه الأموال لا يمكن أن تستمرّ الحرب .

بمـا أن هــذا هو رأيي فإنّني أوقّع هنا ، في آخر يوم من أيام شهر سبتمبر ، عام ١٥٤٧م .

"مانويل دي ليما"

وفي العام نفسه (١٥٤٧م)

بعث "دوم ألفارو دي كاسترو" رسالة إلى نائب الملك ، في يوم الخامس من شهر أكتوبر ، عام ١٥٤٧م ، مبرراً رفضه الاتصال بالبصرة : (٥٢)

سيّدي ، إنّ رأيي فيما يتعلق بالتّجارة وحركة نقل البضائع بين هرمز والبصرة ، التي أصبحت الآن في أيدي الأتراك ، هو ما يلي :

لا أعتقد أنّ البرتغاليّين هم من نوع الشعوب التي يمكن أن تستمرّ في التجارة والتواصل مع مثل هؤلاء الأعداء ، دون أن يصيبهم شرّ مستطير منهم .

هذا بالضبط هو الذي سوف يحدث إذا زودناهم بالخشب والحديد والصلب والكبريت والكثير من الموادّ الحربيّة التي هم في أمسّ الحاجة إليها ، ولا يمكنهم الحصول عليها إذا نحن لم نسلمها لهم .

(٥٢) رقم الوثيقة والهامش.

لا يجب مهما كان الأمر أن نتاجر أو نعقد صفقات معهم ، بل يجب أن يكون بيننا وبينهم غابة هائلة كثيفة ... ، ويمكن أن يحدث ما هو أسوأ من ذلك ، فبسبب غفلتنا الشديدة وقلّة حذرنا فيما يخص الأمور العسكرية ، يمكن للكثير منهم ، إذا عقدنا سلاماً وتاجرنا معهم ، أن يأتوا إلينا بسهولة إلى هرمز بوصفهم تجاراً ، وهذا العدد الذي سيأتي سيكون كافياً للاستيلاء على هرمز كما استولوا على البصرة ، لأن الجميع يعتقدون أن هذه هي رغبتهم وخطّتهم التي يسعون إلى تحقيقها .

لذلك فإننا إذا حرمناهم من هذه التجارة ، التي يتمتعون بها ويستفيدون منها على حسابنا ، فإنهم لن يحصلوا على موارد مالية كافية تمكنهم من الاحتفاظ بجنودهم هناك .

بما أن البصرة نفسها قاحلة وغير منتجة ، وليس فيها من الجاذبية ما يستهوي مزاج الأتراك لكي يمارسوا رذائلهم ، فإن من المتوقع أن الأهالي سيحاولون الاستيلاء عليها وطرد الأتراك منها .

إن خسارة جمارك هرمز الآن بسبب هذا المنع ستكون بسيطة جدّاً ، لأنّ التجار يريدون أن يحصلوا على الكثير من الأرباح من سلعنا التجارية ، ولذلك سوف يجدون منفذاً آخر ، ويبحثون عن طريق يذهبوا من خلاله ... ، ولا ننسى أن الفائدة التي تعود علينا من هذا ضئيلة ولا تستحق التفكير فيها .

لذا ، وطبقاً لجميع الأسباب التي ورد ذكرها سابقاً ، يبدو لي أننا

يجب أن نمنع التواصل والتجارة مع البصرة طالما كانت هذه المدينة في أيدي الأتراك .

اليوم الخامس من شهر سبتمبر ، عام ١٥٤٧م .

"دوم ألفارو دي كاسترو" .

وفي العام نفسه (١٥٤٧م)
بعث "فيرناندو لويس دي أندراد" "Fernando Luis de Andrade" رسالة إلى الـ"دوم جواو دي كاسترو" ، هرمز ، في يوم الثّامن من شهر أكتوبر ، عام ١٥٤٧م ، مبرراً رفضه الاتصال بالبصرة : (٥٣)

لقد كتبت في وقت سابق رسالتين إلى سيادتكم عن المسائل المتعلّقة بدار الجمارك هذه ، إنني أشعر بسرور أكثر عندما أكتب إليكم عن كمّيّات كبيرة من المحصول العائد ، ولكن كما هو الوضع ، فإنّه يبدو لي أنه في يوم الخميس الماضي ، الذي هو الخامس من أكتوبر ، جاء الوزير لكي يُنفذ الإجراءات الرسمية المعمول بها في دار الجمارك ، لم يكن هناك أكثر من ثمانية عشر صندوقاً من السكر ، لكي يتم تحصيل جماركها ، ولكنهم لم يريدوا أن يسحبوها حتى الآن بسبب إصابتها بالرطوبة ، وصل وزنها إلى ثلاثة بار ونصف .

---

(٥٣) رقم الوثيقة والهامش.

وكإمدادات لعدد تسعة طرّادات ، كان هناك مائتين وخمسة وستين باراً من القمح والشّعير والسمسم ، وبمجرد أن تمَّ وزن الثلاثة بار والنّصف من السّكر ، حسب الوزير قيمة هذه الإمدادات وأعطاها إلى كتبة المسلمين الذين يعملون في الوكالة ، هذا يعني أنه أعطاها إلى خواجا نعيم ، وخواجا شرف الدين ، وخواجا معين الدين ، الذين اتفقوا على المبالغ معي ، ولم يكونوا هناك .

أخبرت الكتبة أنه يجب أن نتفق على قيمة الإمدادات لكي ندونها في السّجل ، حينما وصل التسجيل إلى العدد وجدت أن الوزير قد أمر بأن يتم تسجيل واحد وأربعين باراً ؛ ونظراً للاختلاف ، أمرت الكتبة أن يدوّنوا المبلغ الإجمالي ، لأنّ تلك كانت تعليمات مراقبة الخزانة ، كان الخواجا نعيم والخواجا شرف الدين غير مقتنعين بأن يفعلا ذلك ، ولم أكن قادراً على أن أعطيَ قيمة لمحصل ضرائب المسلمين ، الأمر الذي قد جعلني قادراً على تسجيل المبلغ (الحقيقي) .

لذلك ، طلبت من الكاتبين الاثنين أن يذهبا برفقتي إلى القبطان ، الأمر الذي قبلا بأن يفعلاه ، في الطريق قالا بأننا يجب أن نذهب أولاً لكي نقابل الوزير ، ولذلك ذهبنا إلى الوزير ، أخبرته أنّه وفقاً للتعليمات المتروكة لنا من قبل مراقب الخزانة ، فإنّه من المعتاد أن نسجّل كلّ شيء يتم تنفيذه في البحر بموجب تقديرات القيمة ، (طلبت منه) أن يأمر كتبة المسلمين أن يسجّلوا جميع الإمدادات ، ردّ بأنّه لا يريد أن يفعل ذلك وأنه يمكن أن يقدّم تقريراً عن هذا إلى سيادتكم وإلى سيدنا الملك .

ذهب الكتبة المسلمون إلى مقرّ القاضي (العدلية) للتوقيع على التسوية الختامية على بعض من سجلات "جاسبر بيريز" ، التي تم القيام بإرسالها إلى الهند ، بعد ذلك ذهبتُ أيضا إلى مقرّ القاضي لكي ألتقي بالكتبة ، قدّمت للقاضي تقريراً عن كلّ شيء كان حادثاً هناك ، أخبر القاضي الكاتبين الاثنين بأنه يجب عليهما أن يستمرا في تعبئة السجلات .

مثلما قد تم فعله في الماضي ، أخبراه أن الوزير قد أصدر إليهما أوامر مختلفة وأنه بإمكانهما أن يفعلا فقط ما قد أعطاه إليهما الوزير من تعليمات ، ثمّ طلبت من القاضي أن يأمر الكاتبين الاثنين أن يصطحباه إلى القبطان ، أعطاهما القاضي أوامر لكي يذهبا لمقابلة القبطان ، وقد ذهبا .

وجدنا القبطان ، الذي كان على وشك أن يتناول طعام العشاء ، قدّمت له تقريراً عن كل شيء .

أخبرني القبطان أن أعود في المساء ، وأنه يجب علينا أن نستعين بتعليمات مراقب الخزانة ، رجعت لكي أقابله في المساء وطلبت منه أن يستدعي القاضي ويطلب منه أن يُحضر التعليمات التي قد تركها له مراقب الخزانة ، أمره القبطان أن يأتي وراجع التعليمات ، أخبر القاضي القبطان بأن شرفه لا يعجز على أن يؤكد أنه تم التمسك بالتعليمات لأنه لا يمكن أن يتم تجاهلها ، إذا لم يتم إصدار تعليمات مناقضة لها .

ردَّ القبطان بأن هذه كانت هي مسألة خاصّة بالخزانة وأنه لا يستطيع أن يصدر أوامر بشأنها ، أخبره القاضي أنه ، حتى لو كانت هي مسألة خاصّة بالخزانة ، فإن شرفه يجب أن يساعدهم ، لأنه إذا اضطروا أن

يقابلوا سيادتكم في "غوا" في كل مرة لم يُرد الوزير أن يمتثل للتعليمات ، فإنه يمكن أن يذهبوا إلى هناك في كل يوم ؛ لكي نغطي الموضوع بأكمله ، أراد القبطان فجأة أن يصبح منشغلاً بالقضيّة ، قال إنه يمكن أن يأمر بأن يتم استدعاء "ريس شرف" وأنه يمكن أن يطلعه على التعليمات .

استدعاه في الحال وأطلعه على التعليمات التي تتكون من المادة أدناه وهكذا فقد اكتشفت بدون شك أنهم يدفعون خمسة بالمائة على الطرّادات من البصرة ، و"بوشهر" ، و"فيردستان" وأماكن أخرى ، والتي يجلبون منها القمح ، والشعير ، والصوف ، والسمن وأشياء أخرى ، إذا هم جاءوا من البصرة ، فإنهم يدفعون أكثر ، كما هي مكتوبة في الأصل) ، حتى الآن فقد تمَّ فرض ضريبة قليلة عليهم ، وبشكل خاص على بضاعة المسلمين ، هذه غلطة الحاكم البحري لأنه يعطي اهتماماً قليلاً لهذا الأمر .

لذلك ، فإنني أطالبكم أن تفرضوا ضريبة على كل الطرّادات التي تأتي إلى هنا ، وإذا هم جاءوا دون دفع ضريبة ، يمكن أن يتم إجبارهم على تفسير هذا ، سوف يفقد الحاكم منصبه ، إذا تمَّ إثبات أن أي طرّاد أتى وتم إنهاء إجراءاته الجمركية دون دفع رسوم ، وكما هو معتاد فعله في الماضي ، لا يتم فرض ضرائب على كل طرّاد يكون ترتيبه العاشر مُحمَّلاً بالقمح أو بالشعير أو الصوف في الوقت الذي يتم فيه إنهاء إجراءاتهم في دار الجمارك ، لأن التقييمات دائماً ما تكون مناسبة جدّاً ،

يتم تنفيذ الحسابات بطريقتين اثنتين :

واحدة ، في البحر ، قائمة على عدد الحاويات (البارز) "The bars"

من الإمدادات في سفينة الشحن (الطرّاد) ، والأخرى أمام الوزير في دار الجمارك ، قائمة على قيمة الحاوية (البار) من الإمدادات .

ردَّ "ريس شرف" بأنه كان عارفاً فيما إذا كان فعل هذا بشكل صحيح أم لا ، وأن ما قاله كان يجب أن يتم فعله ولا شيء آخر سواه .

بعد أن غادر "ريس شرف" ، أخبرني القبطان أن أسجل ما قد أمر به "ريس شرف" ، لأنه ، لو أعطى الأوامر الخاطئة ، لوجب عليه أن يدفع من أجلها ، وأن يُصدر مذكرة بالمسائل التي قد تم تصفيتها .

كان ما فعله هو أن يضع ثمانية عشر بدلاً من ثمانين بالمائة الذي يجب عليهم أن يدفعوا الضرائب ، إذا ذهبوا إلى البصرة فإنها أحد عشر بالمائة وخمسة بالمائة من "بوشهر" ، و"فيردستان" والمناطق المحيطة بهما .

إنني لم أكن مُعلماً سيادتكم عن أسماء أناس القمح لأنها تعني قراءة مطولة ، إنني أذكر فقط "ميرا بيراز" ، الذي لديه ثلاثة عشر حاوية (بار) وأخذت جميعها منه ، وريس ركن الدّين ، الذي لديه اثنتا عشرة حاوية (بار) وأُخذت منه جميعاً ، والخواجا حُسين إبراهيم ، الذي عنده خمس وعشرين حاوية (بار) ، أمر الوزير أن يسجل إحدى عشرة ، وكذلك أيضا مائة وستّين عاملاً .

وهذا لم يزل يضع في الحسبان عدد ثماني عشرة ، ولكن يمكن أن يعني أخذ كل شيء منه وعلى الأرجح يُمثل نصف المعيار ؛ و"فرانسيس لوبيز" "Francis Lopez" ، الوكيل التجاري ، عنده عشرون حاوية (بار) التي تم أخذها كلها منه ، قيدتها في السجل لأنها جزء من الحسابات البرتغالية التي تم تقييمها .

لا أحتاج إلى اللجوء إلى المسلمين لكي يعطوا رأيهم في التسوية ، لأنهم لا يريدون ، حتى يُصحح سيادتكم هذا بأمركم الخاصّ ، فسوف يستمرّ بمثل هذه الصورة ، إنني مكروه جداً من هذه الأرض لدرجة أنهم قريباً ما يستهدفونني بطلقات بنادقهم ، وهذا منذ أن توقف "سيباستياو لوبيز" "Sebastiao Lopez" عن كونه وكيلاً تجارياً في زمن "ديوجو بوتيلهو كالداو" الذي خدم أيضاً في منصبه بشكل ملائم ، طلب فقط ما كان يخضع لخدمة سيدنا الملك ، إنني أضطر أبداً إلى الحصول على مطالب مُحددة منهما لأنهما يعملان بمثل هذه النزاهة .

يرغب الـ"ريس شرف" في أن يستبدل الثماني عشرة الناتجة عما سوف أخبر به سيادتكم الآن ، في الوقت الذي كان فيه ريس ركن الدين وزيراً ، كان من عادة الطرّادات التي تجلب الإمدادات ، من قيس "Cais" ألا تدفع رسوماً ، ويظهر أن الوزير استهلك الرسوم على هذه الإمدادات ، ولكنني في الحقيقة لا أعرف .

بعد ذلك تحت قيادة "ريس شرف" أتى طرّاد من قيس بالقمح ، أخبر الكتبة المسلمون "ريس شرف" أن الطراد كان من قيس وأنه ليس مضطراً إلى أن يدفع ، أجاب "ريس شرف" بأنه لم يكن هنا قمحاً من قيس ، وأنه على الرغم من أن الطرّاد قد أتى من قيس ، والتي هي جزيرة فقد ذهب أولاً إلى هرمز وأن القمح كان من "لار" وأن الطراد اضطر إلى أن يدفع وأمره بأن يدفع .

فيما بعد في خلال عدد قليل من الأيام ، جاء طرّاد آخر من قيس ، (لكن) يظهر أن "ريس شرف" تمَّ إعلامه فعلاً في وقت سابق عما قد

حدث للقمح من قيس ، فادّعى أنه قد جاء من قيس وأنه ليس مضطراً إلى أن يدفع .

بناءً على ما قد قاله فعلاً ، أخبرته أنه لم يكن هناك من قمح في قيس وأن القمح كان من "لار" وأنه مضطر إلى يدفع ، ثمّ أمر بأن يتم الدفع .

لكن عندما رأى أنه لم ترد أرقام هنا أصرَّ على الرقم ثماني عشرة ، يعلم الله من الذي أبقاه ، إذا كان ذلك من التجار ، فإنه لحُسن الحظّ ، لأن عمليات التقييم التي يتم القيام بها في البحر هي ملائمة في كل الأحوال .

إنني الآن أطلب من سيادتكم أن تنتبهوا إلى هذا كما ترونه مناسباً ؛ لأنه كما يقول المثل القديم : لا أستطيع اصطياده بسبب ثروته ، ولكن بسبب امتيازاته (ترجمة) ، هل أستطيع أن أجد ترجمة في أي مكان لهذا المثل ... ، (إنه تخميني لمعنى .....) ويصنع كثيرون من الأفراد القليلون في العدد ثروات كثيرة ، إذا استمر ريس شرف في عمل ما يفعله حينما لا يوجد أحد ، فإن ثلث الناتج في إيراد الجمارك سوف يتم فقدانه .

وفي العام نفسه (١٥٤٧م)
رسالة إلى نائب الملك من "روي كونسالفس دي كامينها" "Rui Goncalves de Caminha" ، "غوا" ، في يوم الحادي عشر من شهر أكتوبر ، عام ١٥٤٧م : [٥٤]

سيّدي ، لم أزر مطلقاً لا هرمز ولا البصرة ... ، والمعلومات التي لديَّ هي تلك التي حصلت عليها من البرتغاليّين الحكماء ذوي المعرفة الوثيقة بالبلد ، وأيضاً من التجار المسلمين ، وهم رجال أشراف جدّاً ، ومن مواطني البصرة ، وقد أخبروني جميعاً أن البصرة أرض قاحلة فاكهتها قليلة جدّاً وكذلك منتوجاتها .

لذلك ، فإننا إذا لم نبحر إلى هناك ، ولم نسمح لأحد آخر بالذهاب إلى هناك ، فإن الأتراك سيضطرون إلى مغادرة البلد ، وذلك لكثرة عددهم هناك وارتفاع مجموع مرتباتهم الشهرية التي تصل إلى خمسة أو ستة آلاف "كروزادوس" .

---

(٥٤) رقم الوثيقة والهامش.

إذا قرّروا أن يقلّلوا أعدادهم لكي يخفضوا المصروفات ، فإن العرب سوف يقضون عليهم في الحال .

يمكن أن يقال أيضاً إن منع وصول الخيول من البصرة سوف يكبدّهم خسائر جسيمة لأن هذه البلد ليست هي الموطن الأصلي لهذه الخيول ، وبدلاً من الذهاب إلى البصرة ، يمكن للتجار أن يذهبوا إلى أماكن أخرى عديدة مثل هرمز ، ومسقط و"قلهات" .

هذه هي وجهة نظري .

اليوم الحادي عشر من شهر أكتوبر ، عام ١٥٤٧م .

"روي كونسالفس دي كامينها"

وفي العام نفسه (١٥٤٧م)

بعث "د . مانويل دي ليما" رسالة إلى الحاكم "د . جواو دي كاسترو" ، هرمز ، في يوم الثاني عشر من شهر أكتوبر ، عام ١٥٤٧م ، يشرح أفعال "خواجا بابو" في هرمز : (٥٥)

سيّدي ، لقد أصدرت أوامري لكي يسلّم "دييجو بوتلهو كالادو" أحد عشر "كنتالاً" (قنطاراً) من الكبريت ، كان يبحر بها في إحدى السُّفن لجلالة الملك ، وقد أمرت بالاستيلاء عليها في "باندار" بندر حيث كان يجري تحميلها سرّاً في سفينة "ترانكويم" "Tranquim" ، هذا الكبريت الذي سوف أرسله إلى هناك قد تم الاستيلاء عليه باسْم الملك .

كما أمرت بإحراق السفينة "ترانكويم" لأنها كانت ستغادر هذا المكان وهي محمّلة بمثل هذه الأشياء الممنوعة ، وكنت قد تلقّيت الكثير من المعلومات عن هذا الأمر ، وبمشيئة الله ، فإنهم لن يجرؤوا

---

(٥٥) رقم الوثيقة والهامش.

بعد الآن على المساس بمثل هذه السلع المحظور التعامل فيها تماماً ، لأن ذلك يضر بمصالح مولانا الملك .

قد اشتكى ملك هرمز لي عدة مرات من "خواجا بابو" الذي سيَرث مملكة هرمز هذه ، لأنه يتجول في كل مكان ويقول إنه سيكون ملكاً لـهرمز بعد عدّة سنوات ، ويجب على سيادتكم أن تأخذوا هذا بعين الاعتبار وتصدروا أوامركم لاتخاذ إجراء بخصوص هذا الأمر ، لأنه سوف يكون في خدمة مصالحكم إلى حدّ كبير ؛ لأن ملك هرمز متضايق جدّاً من وجود هذا الرجل في البلد ، ورجاني أن أكتب لسيادتكم حول هذا الموضوع .

أنا أنتظر يوميّاً رسائل من "دومنجوز باربودا" من البصرة يكتب فيها عن أخبار البصرة ، وسأرسل لسيادتكم هذه الأخبار بمجرّد وصولها ، خاصّة وأنه لا بدّ قد عرف الآن الكثير عن أحداث البصرة .

أقبِّل أيادي سيادتكم ، وأدعو الرَّبّ أن يطيل في حياتكم ويزيد من ممتلكاتهم ،

هرمز ، في يوم الثّاني عشر من شهر أكتوبر ، عام ١٥٤٧م .

وفي العام نفسه (١٥٤٧م)

بعث ملك هرمز رسالة إلـى الملك ، هرمز ، في يوم السّابع والعشرين من شهر أكتوبر ، عام ١٥٤٧م ، يشرح وضع المدعي "خواجا بابو" : [٥٦]

صاحب السّموّ الملك "جواو الثّالث"

ترجمة رسالة مكتوبة من قبل ملك هرمز إلى الملك ، مقدِّماً إليه تقريراً عن كيف تجمّع المسلمون هم والمسيحيّون الوجهاء لتلك الأرض عند وفاة أخيه ، وسألوا الناس فيما إذا كان هناك ابن لملك هرمز الذي يمكن أن يضعوه على عرش المملكة؟

قال كل فرد أن هرمز لا يمكن أن تكون بدون ملك

أجاب الجميع بأنه ، إذا كان هناك من شخص واحد يتم تنصيبه على المملكة ، فإنه هو بنفسه ، لأنه كان أخاً للملك .

---

(٥٦) رقم الوثيقة والهامش.

قرر المسلمون ، والمسيحيون ، والأهالي في مجلس أن يسكّوا عملَه باسْمه على الفور واختاروه ملكاً لـهرمز .

هرمز ، في يوم السّابع والعشرين من شهر أكتوبر ، عام ١٥٤٧م .

(ترجمة الرسالة من ملك هرمز إلى سيّدنا الملك)

من هذا البيت ومملكة هرمز ، في السّابع والعشرين من شهر أكتوبر ، من العام ١٥٤٧م ، إلى الدّولة الحقيقية ، الأكثر رفعة وقوّة ، الساطعة مثل الشمس ، وإلى ملك الملوك ، الملك "الدوم جواو" ، الذي أدعو الله أن يحفظ برحمته ممالكه وممتلكاته وعدله ؛ أقدم نفسي إلى قوّتكم وأضع نفسي في ظلّكم وأقبل يديكم المقدسة ، التي آمل أن أحصل منها على الأفضال والمكرمات

أُذكّركم لكي تكونوا مُهتمين بي كخادمكم الذي هو مستعد لكي يُطيع كل أمر لكم

في مسألة أخي ، الملك محمّد شاه ، وبالمثل الملك عبّاس نصرت شاه الفقيد ، إنني بهذا أُعرّفكم أنه عند وفاة الملك شقيقي في الوقت الذي خدم فيه الشيخ "راشد" كوزير ، و"أنطونيو دي سيلفيرا " "Antonio da Silviera" كقبطان .

اجتمع كل قادة المسلمين والمسيحيّين ، ومعاً على السواء سألوا الأهالي المسلمين في هذه المدينة فيما إذا كان في هرمز ابن للملك الذي يمكن أن يضعوه على عرش المملكة ، قال كل المسلمين إن هرمز لا يمكن أن تكون بدون ملك وأجابوا جميعهم إذا كان هناك من رجل لكي

يوضع على عرش المملكة ، فإنّه أنا ، شقيق الملك محمّد شاه ، على الفور وضعـوني على عرش المملكة ، قرر جميع المسلمين والمسيحيين في مجلس أن يسكّوا العملة باسْمي وأن أعلن كما هي العادة أنني ملك هرمز .

كتب الجميع رسائل في هذه المناسبة وتمَّ إرسالها إلى كبير القباطنة ، وإلى الشيخ أحمد والشيخ راشد ، وإلى "غوا" ، حيث تمَّ إعطاؤها إلى كبير القباطنة ، مقدمين تقريراً عني ، لأنها كانت رغبة القباطنة والمسيحيين ، ومن مصالح ملك البرتغال إلى كبير القباطنة ، تم استدعاء مجلس آخر مع قادة المسيحيين ، كانت رغبة الجميع في أن أكون ملك وأن يُنظر إليَّ على أنني في خدمة سموّكم .

وفي العام نفسه (١٥٤٧م)

بعث "دومينجوز باربودو" ، رسالة إلى الحاكم ، من البصرة ، في يوم الخامس من شهر نوفمبر ، عام ١٥٤٧م ، ذاكراً كيف توصّل الأتراك إلى احتلال البصرة : (٥٧)

سيّدي ، بعد أن غادر "بالتاسار دياز" ، كانت هناك هذه الخيول التي كانت على وشك أن يتم حملها إلى هناك ، في اليوم الثّاني عشر من الشهر وصل إلى الملك خبر بأن محمّد خان قبطان خمسة أو ستّة آلاف رجل تركي قد وصل إلى "الجزائر" وتوصل إلى اتفاقيّة مع سيّد تلك الأرض الذي يُسمّى بن علي خان ، بأنّه يجب أن يعطيه ممرّاً آمناً ، وسُفناً ، ومعونة من الرجال ، ومؤونة لكي يأتي إلى أرض البصرة التي هي الآن في يدي الأتراك .

يُقال أيضا أن قبطاناً آخر مع خمسة عشر ألف رجل كان في طريقه مع

(٥٧) رقم الوثيقة والهامش.

خمسة عشر ألف رجل بأوامر من "الشاه طهماسب" ، حينما رأى بن علي خان (بن عليان) هذا ، خائفاً أنها يمكن أن تكون مثلما قال محمود خان ، أو أيضا لأنه أرادها أن تكون هكذا نظراً لأنه لم يكن صديقاً مع الأتراك ، جعل نفسه مستعدّاً بحشد خمسمائة قارب "داناكو" مع المدفعية وعدد كبير من حملة البنادق وحملة السّهام والخيّالة ، وعبر النهر بنفسه لكي يُقدم مساعدة كبيرة بقدر المستطاع إلى محمود خان .

بمجرد أن سمع الملك بما كان يحدث ، أرسل معونة إلى القلاع التي كان يمتلكها على هذه الجبهة هنا في البصرة ، حيث أعدَّ نفسه ، بالإضافة إلى جميع رجاله ، وهو خائف من هجوم محتمل عليه لأن معه رجال قليلون ، وأيضاً خوفاً من أن أهالي هذه الأرض ربما ينقلبون إلى خونة ضده .

إنني أؤكد لسيادتكم أنه جعل ، وما زال يجعل ، نفسه محروساً إلى حدّ كبير جدّاً .

في اليوم التالي أرسل الملك أربعة قوارب سريعة يمتلكها ، والتي هي القوارب التي تم الاستيلاء عليها حينما أُخذت البصرة بقيادة قائده البحري ، ومسلّحة جيّداً ، بكلّ ما هو محتاج إليه ، في أعلى النهر لكي يرى حالة القلاع ، عندما اقترب منهم ظهرت بعض قوارب "الداناكو" ، وحاربهم وهزمهم .

وصل إلى واحدة من القلاع ووجد أنها في وضع للقيام بالاستيلاء عليها لأن القبطان هناك ، بالإضافة إلى بعض الرجال ، ليس لديهم الوقت لكي يحرسونها ، لو لم تذهب هذه القوارب السريعة إلى هناك ،

لكان من الممكن أن يموتوا كلهم في داخل القلعة لأنهم محاصرين ولم يعد لديهم من شيء يستطيعوا أن يفعلوه .

تسمى القلعة "سويبو" "Suebo" ، كانت صغيرة ويوجد فيها سبعون جنديّاً ، تمَّ الاستيلاء عليها من قبل الجنود الأتراك ورجال (الجزائر) ، ثم تم تدميرها .

في اليوم التالي واصلوا سيرهم إلى قلعة أخرى تسمى (القرنة) "Curnao" ، التي كانت أقوى ولديها رجال كثيرون في داخلها ، وقد تمَّ أيضا الاستيلاء عليها ، حدثت مناوشة على كلّ من الجانبين ، مكثوا في هذه القلعة لمدّة خمسة أو ستة أيام مقرّرين ما يجب أن يفعلوه إذا ما هوجمت البصرة ، أو إذا أمكن لهم مهاجمة قلعة أخرى تُسمى "الزكية" "Zequia" .

عندما وقعت هذه الأحداث كما وضحت ، عادت القوارب السريعة والثلاثمائة رجل من جنود الخيالة الذين قد ذهبوا في المساعدة وهم يشعرون بالحزن والكآبة جداً ، حاملين الأخبار التي تفيد بأن القلاع قد تمّ الاستيلاء عليها وأن آلافاً عديدة من الرجال قد دخلوها ، وأنهم خائفون من أن يكونوا في متناول أيديهم .

أؤكد لسيادتك أنه بهذا الخبر رأيت الأتراك خائفين ، والناس عامّة في الدولة يشعرون بالخوف الشديد الذي أصابهم من الرجال التركمان ، لدرجة أنهم ، على الرغم من أنهم كانوا قادمين برجال قليلين ، لم يجدوا أحداً لكي يمنعهم من الدخول .

بالإضافة إلى هذا ، رأيتهم ينهبون منطقة حيث كان دائماً ما يوجد

كمية تحتوي على ألفين من "البهارى" "Bahares" من كل أنواع الإمدادات ، غير مدركين للخوف الذي أصاب كل فرد منهم ، كانوا عنيفين ووجّهوا ضربات لأصحاب المواد التموينية ، ونهب كل فرد ما استطاع نهبه ورجع به إلى القلعة ، أو وضعوها في بيوتهم ، وحينما لم يتمكّنوا من إيجاد المزيد من (الإمدادات) وسواءً كانت عند أصحابهم نساءاً أو رجالاً ، أو عند أناس من أصحاب المكانة أو دونهم ، سدَّدوا إليهم ضربات عديدة .

زيادة على ذلك فإنهم نهبوا ما أرادوه دون احترام للملك ، ولا لأي شخص هامّ حكمهم .

عندما رأيت كل هذا ، متوقعاً أن يكون البيت الأول الذي يمكن أن يهاجموه هو بيتي ، ذهبت إلى الملك وأخبرته أن سموه لا يمكنه أن يخرج ؛ لهذا السبب فإنه لم ير ما كان يحدث ، لم يُقدر قيمة ما كان مدين به لي ، لأن رجاله الخاصّة لم يخبروه الحقيقة عما كان يحدث ، ثم أخبرني أن أحكي له .

وعندما سمع الحقيقة منّي شكرني بشدّة ، وبعد ذلك استدعى محمد بك وبيرم بك ليخبرهما أن يخرجا ويؤكدا أن المسائل تم التحكم فيها بشكل صحيح ولا يسمحا بأي عنف أو اعتداء على الضعيف ، وأن يشنقا ثلاثة أو أربعة رجال أتراك من أجل هذا ، لقد تمَّ فعل هذا بهذه الطريقة لدرجة أنني كنت مرعوباً بشدة مما رأيته .

كانوا مستائين من الضرر الذي تم القيام به عليهم ، وجاءه خبر بعد ستة أيام أنهم قد هاجموا (الزكية) وحاصروها ، ولكنهم لم يجرؤوا

على القتال ، كانت رأساً من الأرض في داخل البحر مفتوحة ، وفيها مدفعية أنزلت بهم الضرر ، كانت قوية وتمتلك مدفعيّة جيّدة ، ولم يكن مائتان من حملة البنادق بقادرين على الاستيلاء عليها .

في تلك الأثناء ، حينما كتب الملك إلى بغداد طالباً بأن يتم إرسال الرجال اللازمين له لكي ينتقم للضرر الذي حدث له في (الدريقة) "Doreca" ، كان من المقرر أن يأتي ألف وسبعمائة من رجال الخيالة ، وثلاثمائة من حملة البنادق .

جلب هؤلاء مساعدة كبيرة إلى (الزكية) ، كلّفوا التركمانيين للقيام بالمهمة ولذلك فإنهم كانوا مُجبرين بصعوبة شديدة على أخذهم إلى سفنهم وعلى فقدان بعض الرجال والخيول ، التي غرقت أثناء عبورهم النهر عندما وصل هؤلاء الرجال ، عندما رحل "التركمانيون" بالطريقة التي فعلوها ، كان هناك فرح شديد في هذه الأرض ، وبخاصة فيما بين الأتراك ، وإطلاق نار شديد من المدفع .

لم يصل الرجال إلى البصرة بعد ، لأنهم كانوا يقومون بتهدئة البلاد ويسترجعون القلاع التي قد تمّ الاستيلاء عليها إلى وضعها السابق ، وعندما يتم الاستقرار ويعود كل شيء إلى طبيعته فإنهم سوف يأتون .

بينما كانت تقع كل هذه الأحداث ، كان الملك متأكّداً أن هناك في الدولة مَنْ يكتبون إلى التركمانيين ورجال "الجزائر" مُخبرين إياهم بما كان يحدث ، لأنهم جميعاً هم نفس الأهالي وتربط بعضهم ببعض صلات بعض منهم لديه أقرباء ونسب ، لهذا السبب كان له عشرون أو ثلاثون من الأشخاص الأكثر بروزاً مسجونين ، وعلى الفور أعدم

ثلاثة منهم ، يُقال إن سبعة أو ثمانية من هؤلاء الذين تمَ سجنهم قد ماتوا ... ؛ ولذلك فإنني أخبر سيادتكم أن كل فرد يرتعد أمام الأتراك ولا يجرؤون على أن يرفعوا أعينهم لكي ينظروا إليهم ، سامحين لهم فقط بأن يتحدثوا ، إذا تم السماح لهم بأن يغادروا مع أفراد أسرهم ، فلن يبقى منهم أحد في الدولة .

حيث إنه قد حدث ذلك بهذه الطريقة ، فإن سيادتكم يجب أن يكون عارفاً بمن سوف يكون الشخص الذي يُذكرك بألا تشتري أو تبيع .

بسبب هذا فإن الطرّادات لم ترحل في الوقت الذي رغبتُ فيه ، ويستطيع أن يتخيل سيادتكم ، عندما يرحلون بالتأكيد ، إنني أمتلك مشكلات مثل تلك التي يعلم الله وحده بها ، وأيضاً بسبب الخيول التي قد كتبت عنها في وقت سابق .

عندما كان معلوماً من القلاع بأنه قد تمّ الاستيلاء عليها ، كان هناك تمرد ، فقد احتشدت ستّون سفينة "داناكو" ودمرت الجزيرة بأكملها ، وكذلك أيضاً هدمت عدداً كبيراً من أماكن تجمع السكان على جانب البصرة ، قاتلوا في النهر في إحدى المناسبات مع القائد وقتلوا عشرة من رجاله الأتراك ، واستولوا على أربعة أو خمسة من طرّادات محمّلة بالبضاعة والمال من هرمز ، بوشهر .

وكان يجب عليهم أن يعودوا من البصرة إلى هرمز ، الآن كان القائد هو الذي أرسل الطرّادات والقوارب السريعة ، ذهب محمد بك براً مع ثلاثمائة من رجال الخيالة ، قُتل عدد كبير جداً منهم ، وتم الاستيلاء على سفن "داناكو" عديدة منه ، وصلت الطرّادات جميعها معاً بنفس الحالة بصعوبة شديدة ، مثلما أولئك الذين سوف يغادرون من هنا

لأن الأشخاص والبضاعة سوف يتم تعريضهم للخطر حتى يتم إفساح الطريق ، ولا يمكن أن يتم فعل هذا حتى يمتلك هؤلاء الرجال سفناً ، وهم لا يمتلكونها في الوقت الحاضر .

إنهم مُجهزون بشكل سيّئ جدّاً وينقصهم كثير من الأشياء التي يحتاجونها ، مما قد رأيته ، أعتقد تماماً أن هذه الأشياء لا يمكن أن يتم الحصول عليها بدون الإزعاجات الشديدة التي دائماً ما قد تحدث وبدون المخاوف الشديدة التي دائماً ما يتعرض لها رجال هذه الدولة ، حينما كانت هذه الطرّادات على وشك أن تغادر ، وصل (...) بواسطة قافلة ، التي كان يُسافر فيها أيضا خمسة أو ستة تُجار .

سافروا إلى هناك بقطع عديدة من قطع مختلفة الأطوال من فرو من شعر الجمال وبضائع أخرى لم يرغبوا في أن يبيعونها هناك لأنهم قد سمعوا أنها هنا تستحق وزنها من الذهب ، وهذا يعني أنني لم أكن قادراً على الحصول على أي منها هنا ؛ لهذا السبب سوف يحصل سيادتكم هناك على تلك التي أرغب في أن أحصل عليها لنفسي ، ولكنهم سوف يكونوا أقلّ سعراً هناك .

هناك بين هؤلاء التجار الذين هم من حلب جاء رجل أرميني ، لم يخبر بأي شيء من أي مكان ، قائلاً إنه لن يكون له أية نتيجة ، وجاء رجل يهودي آخر ، أكد لي أن وصول سلطان الأتراك الذي قد كتبت عنه لسيادتكم ليس صحيحاً ، غنهم الآن يقولون جميعاً بصوت واحد أن سلطان الأتراك سوف يذهب إلى أراضي الشاه "طهماسب" ، ويقول آخرون أن الشاه "طهماسب" يقوم بالإعداد لكي يهاجم بغداد ، إنني

سعيد إلى حدّ ما أن أكون هنا لكي أرى ، حينما أكون هنا ، فيما إذا أصبح أي شيء يقولونه صحيحاً .

بهذه الصورة ، سيدي ، لا توجد أخبار حتى الآن من مضيق "مكّة" ، ولا أي شيء أكثر مما أنا كاتبه إليكم عن هنا .

يقوم الملك بانتظار "أياس" "Ahias" باشا ، اللّورد الذي استولى على هذه الأرض بعدد كبير من الرجال الذين حشدهم ، وبعدد كبير من سفن "الداناكو" مثل القوارب السريعة لكي يأخذ (الجزائر) ولا يوجد شكّ في أنه ، إذا جاء فعلاً ، سوف يحصل على ما يُريد .

في الوقت الحاضر لا يسافر أحد إلى هناك أو من هناك إلى هنا ، فلا توجد إمدادات على الإطلاق ، ونحن نموت من الجوع ، لا يستطيع أحد أن يجد حفنه من الشعير ، حتى ولو بعشرة دنانير ، ولا حتى قشة ، الخيول تواجه وقتاً صعباً هذه الأيام في أثناء هذه التقلبات ، وكما قلت عن قطع قماش الخيام وقطع قماش الكتان التي تعود إلى هؤلاء الذين بدأوا المعركة ، لم يكن هناك واحدة ليس لديها قيمة بالنسبة لي .

حتى يستولي على "الجزائر" ، الأمر الذي سوف يحدث عندما يشاء الله ، يقول الملك أنه لن يصنع معهم سلاماً حتى يصل أياس باشا .

كل شيء موجود في دار الجمارك ويظل فيها ، ولا أعرف متى سوف يتم الإفراج عنه ، تمَّ إعطائي زنجبيلاً وقطعاً من قماش "الكانفس" كلها ، الذين يعودون لسيادتكم بالطريقة العربية ، لكن موظف الخزانة قال ، عندما أعطاهما لي ، حيث إن سيادتكم لم تكتبوا إليه ، فإن المسائل المتعلقة بالخزانة يجب أن يتم التفاوض عليها من خلاله .

أجبت بأنه ، عندما غادر حاجي فيَّاض من هنا ، لم يصل إلى هذه الدولة ، وأنه أيضا لم يتم إعطاؤه أكثر من رسالة من "الوالي" "Belar" باشا ، على هذا ردَّ عليَّ بأنه قد تم الإرسال إليَّ وأنه كان من أجل ذلك السبب الذي هو أن سيادتكم لم تكتبوا إليه ، ولكن في ذات يوم عرف من خطابي أنني المسؤول وقيّمت ما لديه ، ثم بعد ذلك كان عليَّ أن أتصرف لكي أؤكد أن سيادتكم يجب ألا يرسل أية بضاعة أكثر ؛ هذا هو السبب لماذا كتبت إليكم في وقت سابق لأنه يوجد ذلك الخطر الكبير ، حتى أصل إلى هناك .

إذا كتبتم إلى الملك ، من الضروري جداً أن ترسل إلى هذا الرجل رسالة ثناء بسبب المكانة التي يشغلها ، أؤكد لكم أنه في النهاية لا شيء يتم فعله في الخزانة فيما عدا ما يريده ويأمر به ، وأنه لذلك من يسيطر على البصرة يجب عليه أن يفعل هذا .

قبل أن يرحل "بالتاسار" ، مثلما قد كتبت إليكم من قبل ، اضطررت إلى أن أقيم سوقا ، الأمر الذي هو ما فعلته ، لأنني رأيت أن هذا المكان كان سيئاً جداً للشراء والبيع ، لكي أُعجل بتنفيذ أداء شؤوني الخاصة ، أخذت ستة من الخيول من هناك ، وسوف تجدون أنه مُبين في التقرير الذي يرافقها أن ثمانية آلاف وأربعمائة دينار تم إنفاقها في مقابل القرنفل ، وجوزة الطيب ، والزنجبيل ، وهذا الأخير بعته بمبلغ خمسة وسبعين ، وبعد ذلك جوزة الطيب والقرنفل بمبلغ ثمانين .

يتم إعداد التقرير عما كانت تساويه قيمة التوابل نقداً : الذي يعني أن القرنفل بسعر أربعة وسبعين ، وتم شراء الخيول بمبلغ ستة آلاف

وتسعمائة دينار نقداً ، وهي خيول جيدة جداً ، ولهذه الأسعار يوجد عدد كبير من المشترين .

أخذت أيضا بالإضافة إليها هذا التعويض ، الذي بدونه لم يرغبوا في إعطائي سجادة فاخرة جداً موشّاه بخيط من الذهب بمبلغ خمسة وسبعين "كروزادوساً" التي تساوي ألفاً وستمائة واثنين وثمانين ديناراً ونصف الدينار ، وبالإضافة إلى قطعتين من صوف وبر الجمال ، أحداهما رائعة ولونها ليموني ، والأخرى خضراء ، وقطعة من قماش يسمى "قيساي" "quicai" ، مصنوع من الكتّان الفاخر ، كل هذا بمبلغ أربعمائة ...

(.... صفحة مفقودة ... نص ناقص)

قد حدث ، ولكن كما أقول ، انتهت الريح الموسمية لإرسالها ، على أن يجب أن يكون قادراً على أن يحصل على واحدة منها أو اثنتين بالثمن السائد هنا ، ويجب أن يظهروا تكون صفقة في صالح سموكم في نهاية الأمر .

هناك لا يبقى شيء في النهاية بالنسبة لي أكثر من أن أدعو الله لسيادتكم بالصحة .

حُررت في البصرة ، في يوم الخامس من شهر نوفمبر ، عام ١٥٤٧م ،

إلى سيّدي اللّورد الـ "دوم مانويل دي ليما" .

خادمكم "دومينجوز باربودو"

وفي العام نفسه (١٥٤٧م)

بعث "فاسكو دا كونها" "Vasco da Cunha" رسالة إلى نائب الملك ، "باسين" ، في يوم الحادي عشر من شهر نوفمبر ، عام ١٥٤٧م ، ذاكراً كيف وصل الأتراك إلى احتلال البصرة : (٥٨)

إن وجهة نظري فيما يخصّ العلاقة التجارية مع البصرة ، والسّلام الذي يسعى إليه الأتراك ، هي أن سيادتكم لا يجب بأي حال أن توافق لهم بالتجارة في هرمز ، ولا يجب أن تفتح أمامهم الطريق لإدخال سلعهم التجارية ، لأن هذه هي الطريقة الأكيدة لخراب هذه البلاد .

الأتراك لا يريدون من السلام إلا أن يساعدهم على التجارة من البصرة إلى القاهرة في الأخشاب والفلفل والبضائع التي تأتيهم من هرمز ، والتي عن طريقها سوف يصبحون أغنياء جداً ، وفي أرض تعاني من نقص شديد في السلع التجارية مثل البصرة ، يكون فتح طريق

(٥٨) رقم الوثيقة والهامش.

التجارة أمامها وسيلة لزيادة أرباح الأتراك وتمكينهم من الإنفاق على أكبر عدد من الجنود الذين يريدونهم هناك .

بينما نحن نقع أسرى الطمع في بعض المنافع الصغيرة التي نحصل عليها منهم ، فلا نهتم بما يفعلوه ، وهكذا باسْم السّلام الذي هو في صالحهم إلى حدّ كبير ، نجدهم يرجعون إلى هرمز دون أن نحرّك ساكناً أمامهم ، لأن من الواضح أنهم سوف يرتدون ملابس التجار ، وبهذا يستطيع كل منهم أن يأتي إلى هرمز إذا أراد ذلك .

إني أعتقد أن كل هذه أسباب تجعلنا لا نسمح لهم بالتجارة ولا نوافق على توقيع سلام معهم .

إذا منعنا السلع التجارة الواردة من عند الأتراك ، فإنهم لن يخسروا البصرة فقط ، بل إن جمارك بغداد و"بيروت" وحلب سوف تتكبد خسائر هائلة ، ومن المؤكد أن البصرة ستصبح خراباً ، ولأن البصرة بدأت من الصفر منذ فترة قصيرة ، فإنها لا يمكن أن تتحول إلى مدينة عظيمة بدون تجارتها مع هرمز ، وخاصة تجارة الأعشاب والفلفل التي تذهب إلى هناك من هنا ثم تأتي بعد ذلك السفن الكبيرة من تركيا لنقلها إلى هناك .

وهكذا إذا منعنا السفن من الذهاب إليهم ، فلن يكون للسفن الكبيرة ، ولا للجمارك وجود ، وبالتالي لن يكون لدى الأتراك أي موارد مالية للإنفاق على أنفسهم ، لأن من طبيعتهم أنهم لا يضعون أقدامهم إلا في المكان الذي يستفيدون منه .

المثل الواضح أمامنا هو عدن ، فهذه المدينة برغم أهميتها للأتراك ، إلا

أنهم لم يستطيعوا إلا بالكاد الإنفاق عليها بدون التجارة والموارد المالية التي تأتي من الجمارك ، أما الزعم الذي يقول إن واردات جمارك هرمز ستكون أقل بعد منع التجارة مع البصرة ، وإن عدم تصدير الأعشاب والبهار سيسبب خسارة جسيمة لنا ، وإن هذا كله سوف يدفعنا إلى طلب السلام معهم وفتح باب التجارة لهم ، فإن ردّي على هذا الزعم هو أن مولاي الملك سيربح الكثير عندما يجعل هرمز آمنة ويتخلى عن هذا السلام مع الأتراك .

أما فيما يخص عدم تصدير الأعشاب ، فإني أؤكد لسيادتكم أن أعظم خدمة تقدموها لجلالة الملك هي أن توقفوا حركة

الميناء ، وبذلك تبقى هنا الأعشاب الزائدة التي كانت تذهب إلى تركيا و"البندقيّة" ، لأن تصديرها إلى هناك كان يسبب نقصاً حادّاً في تنفيذ العقود مع البرتغال ، وقد عانى جلالة الملك خسائر كبيرة في الماضي والحاضر بسبب هذا النقص ، وبهذه الطريقة سيفقد الأتراك تماماً أي أمل لهم في هرمز .

تمّت كتابة الرسالة في اليوم السّابع والعشرين من شهر نوفمبر ، عام ١٥٤٧م .

"فاسكو دا كونها "

وفي العام نفسه (١٥٤٧م)

بعث "سيماو بوتلهو" ، كبير أمناء الماليّة ، رسالة إلى الملك "د . جواو الثالث" ، "باسين" ، في يوم الثّلاثين من شهر نوفمبر ، عام ١٥٤٧م ، ذاكراً كيف وصل الأتراك إلى احتلال البصرة : (٥٩)

مقتطف :

امتنعت عن الكتابة إلى جلالتكم فيما يخصّ شؤون هرمز والبصرة ، وعن الطريقة التي اتّبعها الأتراك للاستيلاء على المدينة الأخيرة ، لأن الحاكم سوف يقوم بذلك وبتفاصيل أكثر .

كما أنني ليست لدي الرغبة في أن أكون صريحاً في مثل هذه الأمور ، كما كنت في العام الماضي ، عندما كتبت إلى جلالتكم .

ندعو الله أن يجعل الأتراك يفقدون المدينتين بنفس الطّريقة التي فقدوا بها عدن ، وسيتحوّل كل شيء بعد ذلك لصالحكم .

---

(٥٩) رقم الوثيقة والهامش.

وفي العام نفسه (١٥٤٧م)

بعث "دوم مانويل دي ليما" رسالة إلى الحاكم ، هرمز ، في يوم الثّالث من شهر ديسمبر ، عام ١٥٤٧م ، يذكر فيها أن رجال "الشاه طهماسب" وعرب "الجزائر" قد هاجموا الأتراك : [٦٠]

سيّدي ، بعد أن كتبت إلى سيادتكم ، وصلت من البصرة اثنتان من سفن الشّحن (الطرّادات) ، ومن خلالها أرسل "دومينجوز باربود" رسالته ، كان يستعد للمجيء إلى هنا ، وكتب إليّ بأن رجال الشاه "طهماسب" ورجال "الجزائر" قد هاجموا اثنتين من القلاع اللّتين قد تم الاستيلاء عليها من قبل السّلطان التّركيّ .

استولوا على واحدة منهما ، لم تكن قويّة جدّاً ، وكانوا غير قادرين على الاستيلاء على الأخرى التي تسمّى "زاكية" "Zequia" .

لم يكن رجال الجزائر الذين تأتي منهم الإمدادات إلى البصرة قد سمحوا لأحد بالمرور من أراضيهم .

(٦٠) رقم الوثيقة والهامش.

إنني أعتقد أنه إذا تمّ إرسال رسالة إلى رجال "الجزائر" بالإضافة إلى رجال الشاه "طهماسب" ومساعدة البرتغاليّين ، من الممكن أن نصرف هؤلاء الأتراك عن البصرة ، لقد استولوا على الطرّادات حتى لا يأتوا إلى هنا بسلع جديدة ، وحينما ينسحب رجال الشاه "طهماسب" إلى أرضهم الخاصّة بهم ويتوقف القتال فإنهم يسمحون للطرّادات بالذهاب إلى هرمز .

إنني أرى أن الطريقة الوحيدة للهجوم على الأتراك في البصرة هي أن نأخذهم على حين غرّة ؛ لأنه بهذه الطريقة سوف يتم تدميرهم جميعاً ، وإذا ما قاموا بهجوم لكي يرعبوا البرتغاليّين ، فلا شكّ في أنّ عدداً كبيراً من الرجال يمكن أن يأتي من بغداد ، ويمكنهم أن يفعلوا هذا في خلال ثمانية أو تسعة أيام .

ما يأمر به سيادتكم سوف يتم تنفيذه بأيّ طريقة ، لأن هذا سوف يكون الأفضل في كل حال ، وإذا كان لديكم أيّة سفينة قادمة إلى هنا ، فإن سيادتكم يمكن أن يكتب لكي يخبرني عن رأيكم فيما أكتبه الآن .

إنّ الطقس سيّئ والرياح عكسية ، ويمكن لأي طرَّاد يأتي إلى هنا أن يأخذ مدّة عشرين يوماً ، وهذه استغرقت اثنين وثلاثين يوماً ، يكتب "دومينجوز بارابودو" لكي يخبرني أن مجموعة الجزر ، حيث يعيش رجال الجزائر يبلغ عددهم ثلاثة آلاف وستّين ويوجد هناك ثلاثون ألف رجل من حملة البنادق ، ولكن الشيء الأسوأ هو أنهم يمتلكون قباطنة عديدين ؛ لأن كل جزيرة لها قوتها الخاصّة بها ، وغالباً ما يوجد خلاف بينهم .

تقول رسالته أنه يوجد أفراد عرب هناك .

إنني مرسل إلى سيادتكم الرسالة المكتوبة إليَّ من قِبل "دومينجوز باربودو" ، التي تقدّم تقريراً عن كل أمور البصرة .

أؤيد لسيادتكم بشدّة أنه بتعيين "لوكاس ديفيد" خادم سيادتكم في وظيفة حارس الباب في دار الجمارك قد أديتم خدمة عظيمة لسموّه ، سوف أسلّمه العمل على الفور لأن الشخص الآخر خدم في الوظيفة بشكل سيّئ جدّاً في الماضي .

إنني مرسل إلى سيادتكم صندوقين من فاكهة الكمثّرى ، وصندوقاً واحداً من فاكهة التفاح .

أُقبِّل يدي سيادتكم ، أطال الله في عُمر سيادتكم ، وفي مُلككم ،

هرمز ، في يوم الثّالث من شهر ديسمبر ، عام ١٥٤٧م .

الـ"دوم مانويل دي ليما"

وفي العام نفسه (١٥٤٧م)
بعث "دوم بايو دي نورونها" "D . Bayo de Noronha" (قائد مسقط) رسالة إلـى الحاكم ، مسقط ، في يوم الخامس من شهر ديسمبر ، عام ١٥٤٧م ، ويبين فيها عن التواصل بين عدن ومسقط : (٦١)

سيّدي ، أرسلت إلى سيادتكم رسالة عن الأخبار التي وصلتنا من عدن مع شخص يدعى "بيرو دا مسكيتا" "Pero de Mesquita" ، وهو أوّل حامل للرسائل يغادر هذا الساحل إلى الهند ، كما أرسلت نفْس المعلومات إلى "دوم مانويل دي ليما" ، وفيها ما عقدت العزْم على القيام به بخصوص هذا الموقف ، وقد أرسلت إليه أطلب منه خمس سفن لكي تحمل ما بين تسعين ومائة من الجنود .

وهذا العدد سيمكنني استخدامه استخداماً فعّالاً طبقاً للمعلومات التي وصلتني عن الأحوال في عدن من المسلمين الذين جاءوا من

(٦١) رقم الوثيقة والهامش.

تلك البلدة ، ومع أنني كتبت "لدوم مانويل" عن هذه التفاصيل ، إلّا أنه لم يرسل إليّ أكثر من سفينتين لا أستطيع أن أرسل فيهما إلّا نحو خمسة وعشرين جنديّاً ، وسوف أغادر مسقط في الحال إلى عدن ، وأدعو الله أن تكون نتيجة ما أقوم له محققة لرغبات سيادتكم .

يجب عليَّ الآن أن أقوم بكل شيء بسرعة كبيرة جدّاً .

أرجو أن تكونوا سيادتكم مطمئنين تماماً إلى أنني ليست لديَّ إلا رغبة واحدة وهي أن أخدمكم ، وما أرجوه من سيادتكم إذا كنتم ترون صواب ما أريده أن ترسلوا لي خمسين جنديّاً بمجرد استلامكم لهذه الرسالة ، وذلك ليضافوا على الجنود الذين معي ، وإذا شاء الرَّبّ فإنّ سيادتكم سوف تجدوني في عدن عندما تغادرون .

إذا أرسلتم سيادتكم إحدى السفن ، فأرجو أن تأمروا قائدها بالذهاب إلى ميناء "قشن" ، وهناك سوف يجد كل الأخبار عنّي وماذا يجب أن يفعل .

أرجو أن ترسلوا إليَّ الوسائل المادّيّة التي تكفي لإعالة الجنود والبحّارة ؛ لأن "دوم مانويل" لم يرسل لي أيّ شيء في السفينتين اللتين سأبحر فيهما ، وقد اضطررت إلى تجهيزهما على نفقتي الخاصّة .

سوف لن أكتب إليكم باقي الأخبار في هذه الرسالة ، لأني أشير فقط إلى الرسالة التي أحضرها "بيرو دي ميسكيتا" ، وعندما يصل إلى "غوا" فإنه سوف يذكّر سيادتكم لكي ترسلوا بتحياتي إلى مولانا الملك ، وتخبروه أن قيامي بهذه الرحلة لا أهدف من ورائه إلا لخدمة جلالته وأيضاً لخدمة الكونت في "كاستانهييرا" "Castanheira" .

أمنيّتي أن يطيل الله في عمر سيادتكم ، وأن يزيد من ممتلكاتكم ، وحياة وممتلكات كل أهاليكم .

مسقط ، في يوم الخامس من شهر ديسمبر ، عام ١٥٤٧م .

"د . بايو دي نورونها" .

وفي العام نفسه (١٥٤٧م)

جاء وصف الرحلات الفرنسية في المحيط الهندي في عهد "فرانسوا الأول" "Francois I" ، بقلم "ميشيل مولات" "Michel Mollat" ، وهي مادة تاريخية مهمة : [٦٢]

معروف تماماً أن رحلات المحيط البحرية الفرنسية الأولى في فترة الاكتشافات قام بها "النورمان"[أ] ، قد تبدو العبارة مبهمة بأن هذا الإنجاز كان عمل السكان الذين أقاموا في خط الساحل الشمالي القصي من "فرنسا" ، لكن لا حاجة للجوء إلى التعليق عبر أسلوب التوضيح والتفسير ، هناك الكثير من المشاكل تتعلق بالتلميح المثير للشك والأحداث التي يدعي المؤرخون انهم تتبعوا أثرها هنا وهناك .

(أ) هذه وجهة نظر معظم المؤرخين عن المحيط الهندي ، مثلاً E . Axelson ، جنوب شرق أفريقيا ١٤٨٨م-١٥٣٠م (طبعة ثانية ، لندن ١٩٥٧م) و A . Toussaint تاريخ المحيط الهندي (باريس ، ١٩٦٠) .

(٦٢) رقم الوثيقة والهامش.

الوجود الفعلي للرجال الفرنسيين في المحيط الهندي خلال الربع الأول من القرن السادس عشر يجب أن يكون موضوعاً مثيراً للشك ، أحد المراجع التي ذكرها المؤرخون الفرنسيون والبرتغاليون تشير لمآثر "بيير دي موندراجون" "Pierre de Mondragon" في مضيق "موزمبيق" في أوائل ١٥٠٨م [أ] وما الأهمية التي على المرء أن يعزوها إلى وجود شخص ما في جوا في العام ١٥١٢م و١٥١٤م هو بالاسم "جان الفرنسي" ، مدفعجي ، وقد جاء ذكره في رسائل "البوكيرك" [ب]؟

مرة أخرى ما هي الأهمية التي يجب أن نوليها للرحلة البحرية المزعومة (المصدر هذه المرة صيني ومرة أخرى فإن "انثيوم" "Enthum" هو من كتب تقريراً عنها) ، لسفينة فرنسية في طريقها للصين في العام ١٥١٧م [ت] إن الحادثة غامضة وتحتاج إلى برهان ، في نفس السنة قام رجال "روين" بالالتماس من الملك "فرانسوا الأول" بعدم منعهم من استيراد التوابل من "الفلاندرز" و"البرتغال" بسبب . ." كان من المستحيل على التجار أن يقوموا بالرحلة إلى "كلكتا" مالم يكن معهم إذن من ملك "البرتغال" [ث] .

(أ) A . Anthiaume . Cartes marines, constructions nauales et voyages de decouverte chez les Normands, vol . 1 (Paris 1916) P . 400, n : 6 . Charles Bourel de laRonciere .Histotre de la Marine Francaise, vol . 3 (Paris 1925) p . 137.

(ب) Torre do Tombo, Corpo chron . 11, m35 d . 192 And m . 46, d . 48 (Acad . De Ciencias de Lisbon 2nd cl . Vol . v pp272-3 and 57 .

نشرت في رسائل "البوكيرك" ، أكاديمية العلوم ، لشبونه ، ط ٢ ، مجلد (٥) ص ص ٢٧٢ - ٢٧٣ وكذلك ص ٥٧ .

(ت) المرجع المشار إليه : ومع الإشارة لكتاب الصينيين لي "بينج" "وسيو" .

(ث) M . Mollat، Le commerce maritime normand a' la fin du Moyen Age (Paris 1952).

بعد عشرين عاماً ١٥٣٧م قام تجار "اللانجويدوك" بطلب أن توكل مهمة رحلة "كلكتا" إلى "النورمانديين" ، بسبب ما "للنورمانديين" من خبرة في هذا الشأن ، تجار جنوب "فرنسا" "لانجويدوك" لم يكونوا قادرين على القيام بذلك العمل وأدعوا أن لا أحد تجرأ على القيام بذلك . مطلوب أسطول من أربع وعشرين سفينة يقوم نصفها بحمل المؤن والقوات والنصف الآخر للبضاعة" ... ، هم أنفسهم لم يكونوا قادرين على توفير كل هذا .

كان من رأيهم أن هذا الأمر يخص الملك[أ] ، في الفترة بين التاريخين - بالدرجة الأولى في العشر سنوات (١٥٢٥م-١٥٣٥م) اكتسب "النورمان" خبرة كبيرة في الملاحة على المحيط الهندي ، لماذا كان "النورمان"؟ الأساطير ، حتى وإن لم تكن حقيقة ، حملت على الأقل شاهداً للنشاط الاستثنائي للبحارة "النورمان" في عرض البحر منذ القرن الرابع عشر وصاعداً ، القروض تمنح فقط للأثرياء وكان "النورمان" أثرياء في الخبرة كما في المال أيضا! وهذا ما جعلهم يجمعون ثروتهم .

في بداية القرن السادس عشر قامت نقابة بحارة "هونفلور" بشراء مخطوطة من كتاب "ماركو بولو" ، لم يكونوا قطعاً البحارة الفرنسيين الوحيدين الذين أبدوا اهتماماً بـ"غرائب" الشرق الأقصى[ب] ولا الثلاثة "نورمان" الذين كانوا ضمن بحارة "ماجلان" هم الفرنسيون الوحيدون الذين شاركوا في أول طواف بحري ، لكن "نورماندي" كانت مفضلة .

(أ) قرار اتخذ في "كاركاسون" ، الثالث عشر من شهر فبراير ، عام ١٥٣٨م .

(ب) La Ronciere, Histoire de La Marine Francaise, 111, 129-30.

استمر البحر الأبيض المتوسط في كونه عالماً مغلقاً ، وحتى أهالي "مارسيليا" بالكاد سافروا ما وراءه ، ربما لعله بسبب حاجتهم للمصادر ، موانئ "بريتون" أيضاً كانت في حاجة لوسائل ، من ناحية أخرى كانت "نورماندي" مركزاً للمعلومات ، حيث أصبح فيما بعد مصدراً للإزعاج للبرتغاليين ، ربح التجار "النورمانديون" أيضا من التشجيع الملكي ومن قرب "باريس" .

كانوا متقبلين لوجهة النظر الجريئة للملاحين الإيطاليين ، أسماء مثل "جان آنجو" "Jean Ango" والإخوة "فيرازانو" "Verazano" مثلا نموذجاً لوصول الفرنسيين إلى المحيط الهندي وفي تواجدهم بالعالم الجديد .

الحادثة الرئيسية لاختراق الفرنسيين المحيط الهندي ، في جزئها الأكبر ، كانت معروفة ، لا توجد مصادر توثيقية بكميات كبيرة ، ومع ذلك فإن بعض المقارنات يجب تقديمها وشيئاً ما عن طريق التأليف والكتابة ، تأريخ الرحلات البحرية كان في معظم الأحيان أكثر تعقيداً بواسطة الكتاب اللاحقين ، يمكن تصنيف القائمة وجعلها مكتملة ، فالقصد من تلك الرحلات البحرية وما حققته يستحق تفسيراً أفضل من ذلك .

كتب الكثير عن الرحلات البحرية لجنوب شرق آسيا المعزول بواسطة سفينتي "آنجو" بقيادة الأخوة "بارمنتييه" "Parmentier" ، "بينيسي" "Pensee" والأخرى "ساكريه" "Sacre" وعن الرحلات الهندية لبحارة "ماري دي بون سيكورز" "Marie de Bon Secours" (المعروفة أيضاً بـ "جرانت انجلويس" ، لكن ذلك بأي حال لا يشمل

المعلومات الكاملة المتوفرة ، يمكن إكمالها من المصادر التوثيقية والقضائية المتوفرة في أرشيف "النورماندي" ومن مجموعة متنوعة وعديدة في "توري دو توميو" (Torre do Tombo) البرتغالية ، خاصة مراسلات ممثلي الدبلوماسية البرتغالية في "فرنسا" ، وفي النهاية من بعض المصادر الإيطالية .

في "فرنسا" فإن فكرة الوصول للجزر الشرقية اتخذت شكلاً قوياً وتعميماً عندما جاء "جيوفاني فيرازانو" "Jiovani Verazano" وشقيقه "جيرولامو" "Jerolamo" من "فلورنسا" وبدأ شراكتهما مع "آنجو" "Ango" وبالتعاون مع المصرف الإيطالي في "ليون" "Lyon" وتحت رعاية الملك "فرانسوا الأول" "Francois I" .

إن فشل الرحلة البحرية الأولى إلى أمريكا الشمالية كان حاسماً ، رسالة من الإيطالي "فيرناندو كارلي" "Fernando Carly" إلى والده (الرابع من شهر إبريل ، عام ١٥٢٤م) تكشف ردود الفعل الأولى لمصرف "ليون" بعد عودة هذه الحملة : الإحباط مع الرغبة على الاستمرار في البحث ، كتب يقول "تأمل أنه سيجد بعضاً آخر من تجارة رابحة" ، ومنذ رحلته فإن الإنجازات الحقيقية بدأت .

كان الاعتقاد بأن الإخوة "فيرازانو" "Verazano" قد قادا رحلتين بحريتين فقط ، تلك التي على "دافين" "Daphin" إلى "فلوريدا" وأخرى توفي خلالها "جيوفاني" في إحدى جزر "الكاريبي" ، على أية حال فقد وضح الآن إنه كانت هناك أربع رحلات بحرية لـ "فيرازانو" .

لا يوجد شك في أن العائد الأكبر المؤكد من رحلات الإخوة

"فيرازانو" البحرية هو فتح طريق للفرنسيين للتجارة مع "البرازيل" ، ليس من المؤكد في كل الأحوال أن هذا كان هو القصد والهدف ، ليس واضحاً إن كان "جيوفاني" قد قدم خدماته للملك "هنري الثامن" ملك "إنجلترا" - يبدو محتملاً أنه تهرب وتجنب العروض التي قدمت له من "جواو الثالث" - قطعاً إن نيته كانت البحث عن طريق "كاتاي"(أ) لكن أي من مسالك "كاتاي"؟ بعض المؤرخين اعتقدوا وهم تحت تأثير "جينويس جاسبار سنتوريون" ، أن في ذهنه الطريق الشمالي(ب) .

لكن لم يكن الأمر كذلك ، إن أسطول "فيرازانو" الذي انطلق في مايو أو يونيو من العام ١٥٢٦م للوصول إلى "بلاد التوابل" (ت) كان يرمي الذهاب عبر مضيق "ماجلان" "Majellan" ، لكن عاصفة هوجاء منعت حدوث ذلك ، وتسببت في تفريق وتشتيت السفن ، وقاد الإيطاليون سفنهم على طول ساحل "البرازيل" وعادوا إلى "نورماندي" .

دعنا الآن نتابع ما تبقى : رسالتان برتغاليتان ألقيتا الضوء على هذا الموضوع ، "دييجو دي جوفيا" "Diego de Govia" مدير كلية "سانت باربارا" "Santa Barbara" في "باريس" كتب كما يلي إلى الملك "جواو الثالث" في الثامن عشر من شهر سبتمبر للعام ١٥٢٧م : "الربان

(أ) L . de Matos, les Portugais en France au XXe Siecle, Etudes et documents, Coimbra, 1952, pp 3-4,n .1 .

(ب) L Delavaud, Le commerce des vins et du sel en Normandie au Moyen Age (Rev, Inst . Sociol, Brussels, IX, 1929, p .61).

(ت) Archives Depart, Seine Martime, E (Tabellionage de Rouen . II & 12 May 1526).

"جيوفاني فيرازانو" كان القائد لثلاث سفن تبحر إلى جزر الهند ، لكنه عاد هو وشقيقة ، وكان السبب ما يلي : عندما وجد البحارة أنفسهم في خضم عاصفة هوجاء بالقرب من "رأس هورن" ، أجبروه هو وشقيقه وسفينتهما على العودة ، أما السفينة الأخرى فيقال إنها واصلت الإبحار للأمام ، لكن لا توجد أخبار عنها .

جاءت أخبار لاحقة بعد ثمانية شهور في شكل رسالة كتبت في الثامن عشر من شهر يوليو ١٥٢٨م بواسطة "د . أنطونيو دي سيلفيرا دي مينسيس" "Antonio da Silviera de Meneses" ، حاكم "سوفالا" ، وصلت سفينة ضخمة في ذلك اليوم إلى ميناء "موزمبيق" في حالة مزرية وبائسة ، كان عدد البحارة اثني عشر فرنسياً ، كانوا جزءاً من أسطول كان قد أعد في "هونفلور" بواسطة السيد "جوام دي فيرازانو" "Joam de Verazano" وقد أبحر في يونيو من العام ١٥٢٦م .

كانت السفن ذات حمولة بين ستين–سبعين طناً فقط (في هذا الأمر فإن رسالة البرتغاليين تؤكد تعاقدات "النورمان") وهي متجهة نحو جزر "المولوكاس" .

لكن بما أنها لم تتمكن من المرور عبر الـ "Dragon's mouth" (فم التنين) فإنها أبحرت تجاه "رأس الرجاء الصالح" ... ، وقد كرروا ذلك مرتين بعد رحلة بحرية لمسافة ثلاثمائة فرسخ ، وكان هدفهم الذهاب إلى "موريشوس" "Mauritius" لتحميل حمولة من الفلفل وبعض الجوائز حتى يدفعوا منها للبحارة .

كان طريقهم في اتجاه ينحو للجنوب كثيراً ووجدوا أنفسهم في "سوقطرة" ، حيث العديد من الرجال بما فيهم القبطان قتلوا في

المناوشات ، بعد "سوقطرة" وصلوا إلى "المالديف" ومن ثم "مدغشقر" حيث كانت السفينة محطمة تماماً ، ومن هناك ومازالوا على نفس السفينة وصلوا إلى "موزمبيق" .

خلال كل ذلك تمكنوا من الاحتفاظ بخريطة مرسومة بطريقة جيدة وبعض الأوامر المحلية البرتغالية (regimento) .

حملة الأخوة "فيرازانو" في محاولتها الانضمام إلى تجارة التوابل الأندونيسية ، اتخذت طريق المحيط الهندي ، لكم لم يكن ذلك انطلاقاً من نية مبيتة ، هل كانت هناك نية لتفادي الطرق والمسالك التي على أحسن الأحوال تحت مراقبة البرتغاليين؟ هل كانت فكرة "فيرازانو" تكرار محاولة طريق "ماجلان" (يبدو انه كان يعرف "ماجلان" ، ولعله رافقه عندما تحرك الأخير من "البرتغال" إلى "إسبانيا") .

لا تعطى المصادر إجابة لهذا السؤال ، لكن من الواضح أن أولئك البحارة الفرنسيين كانوا يحاولون الوصول إلى طريق التوابل ، ولم يكونوا يخشون محاولة ما بدا وكأنها طرق ومسالك البرتغاليين .

الرسالة التي أخطر حاكم "سوفالا" فيها الملك "جواو الثالث" عن وصول السفينة من أسطول "فيرازانو" أيضا أشارت للمغامرات الدراماتيكية للسفينة "ماري دي بون سيكورس" ، الالتماس الذي قدمه البحارة "النورمان" من السفينة المحطمة لحاكم دولة الهند أصبح معروفاً للمؤرخين لمدة طويلة ، ومن الواضح أنه وبعد سنة واحدة فقط لحمله "آل فيرازانو" أبحرت رحلة "نورماندية" أخرى إلى الهند عبر الرأس كان قد خطط لها .

السفينة" ماري دي بون سيكورس" التابعة لتجار روين أبحرت من "هونفلوير" وكان القبطان برتغالياً معروفاً تماماً هو "استيفاو دياز اوبريجاز" "Estifao Dias Obrigas" طبقاً للبحارة فإن عقد التحميل حدد وجهة كانت عادية للمتنافسين مع البرتغاليين ، أي ، "ساو تومي" "Sao Tumi" و"الكونغو" ، أو عند فشل ذلك ، البرازيل ، في العشرين من نوفمبر للعام ١٥٢٧م كانت السفينة في "كيلوا" "Kilwa" .

من شهور ماضية أبحرت سفينة أخرى من "هونفلوير" (ذات حمولة قدرها مائتين وخمسين طن مع أربعة وعشرين مدفعاً) مرت عبر "رأس الرجاء" وكانت تحت قيادة البرتغالي "سانتياجو دي كاسترو" "Santiago de Castro" ، الذي كان معتاداً على الإبحار في المحيط الهندي ، واتخذ أيضا ملجأ في "كيلوا" .

يذكر حاكم "سوفالا" أن حملة أرسلت من "موزمبيق" لتبعد هذه السفينة لكنها فشلت(أ) وتمكن الفرنسيون من تجنب رقابة البرتغاليين والهروب من "كيلوا" ، وقد أفيد بذلك في رسالة لـ "جواو الثالث" كتبها "كريستيفاو دي ميندوزا" "Christofao de Mindonca" من هرمز في الحادي عشر من شهر يوليو ، عام ١٥٢٨م(ب) .

في الخامس والعشرين من شهر مايو ، عام ١٥٢٨م وصلت السفينة "ماري دي بون سيكورس" إلى "ديو" ، وأُخذ الفرنسيون كسجناء في الهند ، ليس هذا هو المكان لسرد أحداث أخرى تؤثر

(أ) A . Lobato, or cit . pp 76–78 .

(ب) Torre da Tombo, Gaveta 15–17–22 (Kindly comm . Unicated by M) .

عليهم ، يبدو أن التماسهم الذي وجه لملك "البرتغال" لم يكن كافياً تماماً ليبرئ أعمالهم .

سيكون من المهم معرفة إلى أي مدى تتطابق أحداث لاحقة مع المطالب التي قدمها الملتمسون ، تاريخ "جوجارات" (١٥٣٥م) يؤكد قصة السفينة "ماري دي بون سيكورس" والتواريخ موضوع السؤال ، لكنها تقدم وجهة نظر للقبطان البرتغالي مختلفة تماماً عن تلك التي قدمها "النورمانديون" (يجب ملاحظة أن مؤلف السرد التاريخي برتغالي الجنسية) في العام ١٥٣٥م كان "الديبوز" (Dieppois) لسوء الحظ في خدمة الحاكم المحلي الهندي .

هل ظلوا جميعاً "كاثوليكيين" جيدين كما وعدوا؟ إن مصدراً (جيداً) لاحقاً - طبقات اكبري (Tabaqat – I– akbari) (١٥٩٤م) تلقى بالشك حول ذلك : "دفعت الرياح سفينة أوروبية إلى "ديو" ، استولى الحاكم على الحمولة ، وجعل من البحارة عبيداً ، عندما علم السلطان "بهادور" بذلك طلب أن يُبعث بالأوربيين لطرفه ، وطلب منهم اعتناق الإسلام ، وأصبح العديد منهم مسلمين [أ] .

هل كان البحارة "النورمان" على السفينة "ماري دي بون سيكورس" هم أول فرنسيين يعبرون المحيط الهندي؟ في التماسهم للملك "جواو

(أ) نصوص مقتطفة من تاريخ "جوجارات" نقلت لي بواسطة "جين اوبن" ، يستعد "اوبن" لإصدار طبعة من هذا العمل وتسمى (Nuno da cunha et le sultan Bador).
كما أدين له بالمصدر "طبقات الاكبري (المجلة "كلكت" ، ١٩٥٥م صفحة ٢١٠) .

الثالث" أكدوا له أنهم "كانوا جهلة وليست لهم معرفة بتلك الأماكن ، لأن لا أحد منا سمع بها في حياته" .

لعل القصة ألقت ببعض المشاعر والانطباع في "فرنسا" ، وعندما تحدث تجار الجنوب الفرنسي في العام ١٥٣٧م ، بأن "النورمان" مؤهلون للقيام بتجارة "كلكتا" فإنهم قدموا لنا السبب بحقيقة أن "لا أحد من البحارة "النورمان" من الذين واجهوا المخاطر الرهيبة هناك قد ذهب إلى هناك بمحض الصدفة [أ] .

لم تضعف الإخفاقات المتكررة من عزيمة "النورمان" ، احتجز بحارة السفينة "ماري دي بون سيكورس" في الهند ، لم يعرف أي شيء عن مرافقي حملة "فيرازانو" الثانية التي دارت حول "رأس الرجاء الصالح" .

في ربيع العام ١٥٢٨م استعد الأخوان "فيرازانو" مرة أخرى لرحلة بحرية عبر مضيق "ماجلان" إلى جنوب شرق آسيا ، ما كان لهم أن يحظوا بنجاح كبير عن ذي قبل ، في العام التالي (الثامن والعشرين من شهر مارس ، عام ١٥٢٩م) انطلق الأشقاء "جين" "Jean" و"راؤول بارمنتييه" "Raoul Parmentier" قاصدين "سوقطرة" ، على ظهر السفينتين "بينسي" و"ساكري" اللتين تم إصلاحهما من قبل "جان انجو" ... ، نُشرت قصة هذه الرحلة البحرية [ب] كانت هذه الرحلة مناسبة للطرق الجنوبية البحرية في المحيط الهندي ، وفيما يخص

(أ) طالع أعلاه ، رقم (٦) .

(ب) Le Discours de la navigation de Jean et Raoul Parmentier de Dieppe Voyage a Sumatra en 1529, ed . Chr . Schefer (Rec . voy . Doc . Hist geogr ., vol . 4, Paris, 1883) .

التجارة ، فإن نتائجـــها كـــانت بائسة ولا فائدة منها ، إلا أنها أظهرت أن بإمكان الفرنسيين الإبحار لما وراء "رأس الرجاء الصالح" والعودة مرة أخرى .

استمع الفرنسيون لدعوة البحار الجنوبية ، وبدأت المشاريع والمجهودات تتوالى بكثافة وسرعة ، "ليون بانكالدو" "Leon Pancaldo" من "سافونا" قبل مبلغ ألف وستمائة "دوكات" (عملة ذهبية أوروبية) من ممثل "جواو الثالث" في "باريس" ، "جاسبار بالها" "Gaspar Palha" في العام ١٥٣١م ، لهذه الرحلة كان على قبطان "ماجلان" السابق أن يقود رجال "انجو" لجزر التوابل بمساعدة أحد الرجال من "البندقيّة" يدعى "جيوفاني فرانسيسكو" "Jiovani Francisco"[أ] .

تكـــررت نفـــس القصـــة عـــندما قـــام "بيرو ماسكارنهاس" "Pero Mascarinhas" برشـــوة البرتغالـــي "بـــيرو فيرنانـــديز" "Pero Fernandes" ليترك العمل في خدمة "أنجو"[ب] ، لكن وكلاء "جواو الثالث" لم يتمكنوا من النجاح .

في العام ١٥٣٢م أخطر "جاسبار فاز" "Gaspar Vas" ملكه أن "جان أنجو" كان يعد ويجهز سفينتين حمولة مائة وخمسين طنا لرحلة بحرية إلى "موريشوس" أو "سوقطرة" ، وفي الحقيقة فإن احدى السفينتين قد وصلت فعلاً "سومطرة" ، أضاف السفير أن المدعو "بيرا" "Pera" والربان البرتغالي الذي يعيش في "لاروشيل" "Larochelle" (من المشكوك فيه

(أ) Torre do Tombo, cc, L, m . 46, d . 84 .

(ب) Torre do Tombo, cc, I, m . 48, d . 41 .

أن يكون "جان الفونس" "Jean Alfons" المشهور تماماً "سانتياجو") قد اختيروا كقباطنة [أ] .

ما الذي يمكن أن يقوله المرء كمحصلة نهائية؟

بدأت الملاحة الفرنسية لجزر الهند الشرقية في حوالي العام ١٥٢٥م ، الشكر مقدم للمعلومات البحرية التي يرفها الإخوة "فيرازانو" ، أموال أثرياء مصرف "ليون" والخبرة الطويلة للبحارة "النورمان" .

لا توجد أي شكوك في التصميم والعناد الذي أبدوه في مواجهة تحطم السفن المتكرر والمواجهات مع البرتغاليين ، وهذا فقط يمكن تفسيره عبر معرفة حقيقية للظروف والأوضاع التي تحكم الملاحة والتجارة في الشرق .

هل من الممكن أن يكون "جيوفاني فيرازانو" قد قابل رجالاً لهم خبرة التجارة في المحيط الهندي عندما كان في القاهرة [ب] ؟

لا يمكن أن يثار أي شك تجاه الاستعدادات الحثيثة التي تمت بعناية والتي سبقت رحلة "آل بارمنتييه" البحرية ، أخذ الشقيقان معهما رجلاً من "روين" "Rouen" ، يدعى "جان ماسون" "Jean Macon" الذي كان على إلمام بلغة "الملايو" .

محاولتهم الحصول على الذهب والفضة في "مدغشقر" تظهر مدى معرفتهم لشهرة "مونوموتابا" ، حتى وإن وصلتهم تلك المعلومة بأسلوب مشوش .

(أ) Torre do Tombo, cc, I, m . 49, d . 61 .

(ب) مثل "فرانسيسكو كارلي" ، أحد أقرباء "فيرناندو كارلي" .

القبض عليهم من قبل قراصنة سفن برتغالية عند عودتهم من "كلكتا" [أ] لعله كان شوكة في جسد "النورمان" في مسألة حصولهم على نصيب ما من ثروة المحيط الهندي ، المساعدة من بعض القباطنة البرتغاليين أكملت المهمة .

قضية السفينة من رحلة "آل فيرازانو" الثانية التي تحطمت خارج "موزمبيق" تظهر أن أولئك البحارة معهم خرائط وبيانات عن الملاحة ، الأخوان "بارجنتير" كانا مثقفين ولروايتهم بعض الأهمية في المظاهر الأولى التي تبدو غريبة في الأدب الشرقي ، في شعر النهضة تجد البحار "النورماندي" مصمماً على الذهاب لجزر الهند :

"من رأس اليابسة في Caux هناك جنس ذو بصيرة مع صانع خرائط "ماهر" في البحار البعيدة ينطلق متخذاً الطريق مبحراً إلى "كلكتا" ليأتي بالذهب من المناجم الشرقية [ب] .

رحلات الفرنسين الأولى للمحيط الهندي ، إذاً ، ساهمت كثيراً في يقظة البرتغاليين ، كانت في غالبيتها مهنية للبرتغاليين ، لكنها في الأساس أدت لتحقيق الإنجازات ... ، فالشكر لهم ، كانوا السلف الأوائل والموجهين الأول .

حوار

القائد "تيكسيرا دا موتا" "Texiere da Mota" : وجدت حديث "البروفيسور مولات" مثيراً حقاً ومفيداً جداً في ترتيب الموضوع ، أود

(أ) على سبيل المثال "سانتا ماريا ماجدالينا" التي أسرها رجال "انجو" عند عودتها من "كلكتا" .

(ب) Bibl . Nat . Paris ms . Fr . 1537, ff 96–97 .

أن أضيف مسألة فنية : ذكر "مولات" أن العون الذي قدم من قبل الربابنة البرتغاليين كان هاماً ، ذكر قباطنة "لاروشيل" مسألة فن رسم الخرائط ، ذكرت أن خريطة برتغالية استخدمت في رحلة العام ١٥٢٥م ، استفاد الفرنسيون كثيراً من خرائط البرتغاليين في هذه الفترة .

هناك أطلس يظهر فيه المحيط الأطلنطي ، الذي لم يكن معروفاً بالمرة (اكتشف وجوده بواسطة "م . ديستومبس" مؤخراً جداً) ولا شك أن الفرنسيين استخدموه ، هذا بيّن من حقيقة أن جزءاً من مفتاح الخريطة كتب باللغة الفرنسية ، وعلى الأرجح بلغة فرنسية سيئة من قبل برتغالي لا يجيد الفرنسية ، وهو أطلس ممتاز يمكن إرجاع تاريخه إلى العام ١٥٣٨م .

مثير حقا أن أطلساً آخر (ومعروف جيداً) وهو أطلس "فالار" للعام ١٥٤٧م ، كان ضمن أعمال نفس البرتغالي رسام الخرائط ، ظهر فيما بعد أن أطلس "جان روز" "Jean Roze" (روتز) الفرنسي قد نسخ من الأطالس الأولى ، لذلك نعرف بوجود رسام خرائط برتغالي كان يعيش في "فرنسا" ، والذي كان له تأثيره على رسامي الخرائط الفرنسيين الأوائل ، هل سيتمكن مولات من تسمية هذا البرتغالي الذي رسم الخرائط؟

م . مولات : اشكر القائد "تيكسيرا دا موتا" على المعلومات الإضافية التي قدمها لنا ، أما بالنسبة لسؤاله ، فإنني أشك أن "م . ديستوميس" أو هو نفسه هما من سيقدمون الإجابة ، أود سؤاله إن كانت تلك الخرائط تتعلق بأي حال بتلك التي استخدمها الإخوان "فيرازانو" .

القائد "تيكسيرا دا موتا" : سألت نفسي ذلك السؤال خلال

مجرى حديثك ، الخريطة التي في أطلس ١٥٣٨م مختلفة عن خريطة "فيرازانو" ، فهي تتبع النموذج الإسباني ، ولا شيء مشترك بينها وبين خريطة "فيرازانو" ، بالصدفة أظهر أطلس ١٥٣٨م الأطلنطي فقط ، بينما أطلس ١٥٤٢م كان أطلساً عالمياً .

هذا أيضا هو أول أطلس يظهر القارة الجنوبية والذي كان يعتبر من خصائص ما يعرف بمدرسة "ديبي" "Dieppe" لفن رسم الخرائط ، جرى الاعتقاد بأن البرتغاليين فشلوا في الكشف عن وجود تلك القارة ، بالرغم من أن المرء ليدهش إن كان الفرنسيون لا يدرون أنها موجودة فعلا .

القائد "لابروس" "Labross" : أود لفت انتباه "مالوت" لإمكانية أن يكون الفرنسيون الأوائل الذين أبحروا على المحيط الهندي كانوا حقيقة من الصليبيين في العام ١١٨٣م ، وفي العام ١١٨٢م بنى "رينو دي شاتيلون" "Renaud de Chatillon" أسطولاً من سبعة مراكب شراعية في "إيلات" عند خليج العقبة ، أبحر لأسفل البحر الأحمر واستولى على عدن في فبراير ١١٨٣م .

يقول المؤرخون العرب أن "رينو دي شاتيلون" استولى على عدن ليؤمن السيطرة على تجارة توابل جزر الهند ، وطبقاً لهم فإن خمسة من المراكب الشراعية ذهبت للاستيلاء على "جدّة" بينما الاثنان الآخران اللذان يقودهما العرب أوكل إليهما الإبحار إلى جزر الهند ، من المؤسف إن المؤرخين لم يذكروا إن كانت تلك السفن قد وصلت إلى هناك بالفعل .

أحداث عام ١٥٤٨م

بعث "دوم مانويل دي ليما" رسالة إلى "دوم جواو دي كاسترو" ، هرمز ، في الخامس والعشرين من شهر يناير ، عام ١٥٤٨م ، يذكر فيها أموراً تتعلق بالأتراك وأمورهم في البصرة : (٦٣)

سيّدي ، وصل في هذا اليوم الخامس والعشرين من شهر يناير ، "دومينجوس باربودو" الذي بعثت به إلى البصرة ليتعرّف بالتفصيل على أمور تتعلق بالأتراك ونواياهم ، أبعث به لسيادتك حتى تطلع على الطريقة بالتفصيل عن أوضاع البصرة ، قضى هناك تسع مرات في هذه البعثة وعليه فإنني أبعث "دومينجوس باربودو" إلى سيادتك ، كما إلى حدّ ما أرفع لك برأيي فيما أعتقد أنه سيكون في جلّه يصبّ في خدمة سموّه ، تأكيداً على أننا جميعاً نحن الموجودون هنا لنا بعض الخبرة والتجربة بالأوضاع التي هنا .

---

(٦٣) رقم الوثيقة والهامش.

رأيي من هذا المكان عن أولئك الأتراك بـ البصرة ، هو حتى وإن لم تطلب منّي سيادتك أن أقوم بذلك من هناك ، إلا أنّه على سيادتك السماح لبعض المراكب بقدْر ما يبدو لك ، أن تذهب من هنا إلى البصرة ، لأن تلك هي الاستراتيجية الأساسية لتدميرهم ، وبهذه الطريقة لن يصبحوا أقوى ممّا هم عليه الآن ، ولن يتجرّؤوا على القيام بأعمالهم الشريرة .

في الوقت الحالي أستطيع الاتصال مع "شاه طاهماسب" إن كان ذلك يناسب سيادتك ، مع ضباطه ومع "ريشاهر" ، تلقيت رسائل من هناك وبعثت لهم بأخرى ، كما أستطيع الاتصال مع سكان "الجزائر" الذين اشتبك معهم الأتراك أكثر من مرّة ، وهم جيرانهم ، كما يمكنني أيضا الاتصال مع ملك البصرة السابق بالرغم من كونه بلا سلطة ، لكنه يرغب دائماً في التصرف بعدائية ضد الأتراك .

عند تنسيق كل تلك الأمور وترتيبها إذا بعث سيادتك بأسطول ضخم ورجال من هناك الهند وهاجموا البصرة فجأة ، فمن الممكن بعون الرّبّ هزيمتهم .

نقل سيادتك هذا الرأي بكل إخلاص يجعلني أفتخر بنفسي وأن أخدم سموّه ، وعلى سيادتك تصديق ما أقول في هذا الأمر .

إن وافق سيادتك على هذه الآراء التي أعرضها ، فعليك منحي السلطة حتى أتمكن من تحمل النفقات التي سيحتاجها هذا الأمر .

أرجو أن يسامحني سيادتك على وجهة نظري تلك عن هذه الأمور بالرغم من عدم طلبك لذلك منّي ، بما لتلك المسائل من أهمّيّة فإن

التباحث حولها يبدو مقبولاً لسيادتك ، باستثناء قبولك بأن هذا يبدو الأفضل في مجرى هذه الأحداث فإنني أتوسّل أن تمنحني فضل إرسال أمر كتابي حتى تكون كل المسائل التي تأمر فيها بخصوصه يتم القيام بها في الحال وبالتفصيل .

حتى تصل تلك الوثيقة الكتابية من سيادتك لن تغادر أي مراكب أو مسلمين أو يهود أو أي أشخاص من هنا إلى هناك .

مع أوّل فصل "المونسون" هذا ، وصلت العديد من السفن جاءت برجال بحيث يوجد هنا على أقل تقدير أكثر من ثمانمائة شخص هنا في هرمز ، بالرغم من أن معظمهم سيكونون مجبرين على مواصلة التنقل .

أتوسل لسيادتك أن تمنحني فضل إرسال خمسين جنديّاً من هناك يكونوا ملزمين بالبقاء والنوم هنا في هذه القلعة ، وذلك لوجود منازل جيدة قمت بترتيبها حيث يمكنهم البقاء والسكن فيها ، في هذا (.....) سأشعر براحة عظيمة عن كل (....) رجال هنا في هرمز يسكنون في المدينة وسط المسلمين ، وهو أمر خطير لأن الأغلبية منهم من هناك ، ويأتون وبصحبتهم كل ممتلكاتهم حتى يتمكنوا من بيعها .

إن أجبرت التجار على النوم في القلعة والبقاء هناك فلن يرغب أحد في الحضور إلى هنا لأنهم سيفقدون ممتلكاتهم .

يتجول القادة هنا دائماً برفقة الحرس ، حتى "لويس فالكاو" الذي يستطيع إطلاق النار ، في الوقت الحالي أصبح ذلك أكثر ضرورة عما كان عليه في السابق ، لوجود رجال يتجولون حاملين أسلحتهم في أيديهم ، حرابهم وبنادقهم ، عند الضرورة تحفظ أحياناً

عند بوابة هذه القلعة وسيكون أمراً مريحاً إن أمرت سيادتك بوضع حرس في هذه القلعة .

كبار الوزراء والسفراء يأتون إلى هذه القلعة ومعهم جنود يبقون عند بوابة القلعة ويرافقهم إلى داخل القلعة حراس قليلو العدد ، هذا أكثر ضرورة عندما أطلعك عليه ، لكن البرتغاليّين هنا جميعاً سادة ومتزوّجون ، على سيادتك أن يبعث من هناك القليل من الذين يأتون من البرتغال ، وسأجد آخرين هنا ، يطلبون "ازاراً" واحداً أكثر عن الشهر ، لأن المكان مكلف ، وهذا يعني اثنين "تانجاس" إضافيّين .

أقبِّل يدي سيادتك ، ليطيل الرّبّ في عمرك وملكك .

هرمز ، في الخامس والعشرين من شهر يناير ، عام ١٥٤٨م .

"دوم مانويل دي ليما"

وفي العام نفسه (١٥٤٨م)

بعث "نونو غونسالفيس دا كونها" "Nuno Goncalves da Cunha" رسالة إلـى الحاكم "دوم جواو دي كاسترو" ، "قلهات" ، في التّاسع والعشرين من شهر يناير ، عام ١٥٤٨م ، بشأن الشيخ ربيّع كبير الوزراء في مملكة هرمز : (٦٤)

سيّدي ، يعمل الرجال ليتلقوا مكافآت حتى يتمكنوا من الحياة بقيّة عمرهم ... ، وأنا سعيد بما منحني له سيدي والدك ، لكنني أشعر بالحسد عن الأشياء العظيمة التي تمّت في الهند والشرق الكبير ، التي اكتسبها السادة والنبلاء والجنود تحت قيادة وبفضل السيد الحاكم ، لست قانعاً بوجودي حين تم رفع الحصار عن "ديو" وودت لو أنني شاركت بجزء في ذلك كله .

أعترف بأنني حقّقت مكسباً هنا ، لكن رافق ذلك الكثير من

(٦٤) رقم الوثيقة والهامش.

الأشياء غير السّارّة ، وقليل جدّاً في خدمة الرّبّ أن أحصل على وكيل تجاري يأتي إلى هنا حتى لا أترك مكاناً غير ملائم ، بعض البرتغاليّين الذين في هذه البلاد والذين جاءوا إليها في منتهى الغباء ويفتعلون الاضطرابات والمضايقات في المكان .

حتى إنّني على وشك نقل شيخ ربيع كبير الوزراء الحالي ، وتم تعيينه من قبل السيّد الحاكم ، ونتيجة لهذا الدعم فإنّه يقوم بكلّ ما يخطر على باله هنا حيث إنني لا أملك من السيّد الحاكم من الوكلاء التّجاريين الآخرين الذين في حالة إن قام كبار الوزراء بأي أعمال غير مناسبة يمكنهم وقفهم عند حدِّهم .

بما أنني كما أنا ، فقد تمّ إعدادي على يد السيّد والدك وأنت نفسك ، لذلك من المعقول جدّاً أن تدعمني في كل شيء يبدو صحيحاً ، لأن شخصي وممتلكاتي جمعيها جاهزة لخدمتك بكل وسيلة ممكنة ... ، أقبِّل يديك .

من "قلهات" ، في التّاسع والعشرين من شهر يناير ، عام ١٥٤٨م .

"نونو غونسالفيس دا كونها"

وفي العام نفسه (١٥٤٨م)

تم اتفاق بين الحاكم "دوم جواو دي كاسترو" وملك عدن ، "باسين" ، في الثّاني عشر من شهر فبراير ، عام ١٥٤٨م : [٦٥]

باسْم الرّبّ العليّ القدير ...

اتّفاق السّلام والصّداقة والتّفاهم هذا كُتب في الثّاني عشر من شهر فبراير ، في العام ١٥٤٨م ، في قلعة "باسين" في حضور :

"دوم جواو دي كاسترو" ، القائد العامّ والحاكم في تلك الأنحاء من الهند نيابة عن سيادته الملك السّامي "جواو الثالث" ملك البرتغال .

ليعلم كل من يطّلع عليه أنّ السّلام والصّداقة قد تمّ إرساؤها بين السيّد المذكور ، وبين الملك العظيم ، سلطان عدن محمّد بن شيخ علي وأشقائه شيخ "Hacmex" ابن الشيخ علي والشيخ عبد الجابر والنبيل الكريم الأمير داوود بن أحمد ، سفيره وعمّه .

(٦٥) رقم الوثيقة والهامش.

بالسلطات الكفيلة والكافية التي يتحلى بها من الملك وأشقائه فإن الاتّفاق تمّ كما يلي :

مادّة : أولاً : اتفقوا على أن يصبحوا أصدقاء لمن يصادق أيّاً منهم وأعداء لمن يعاديهم ، وأنه متى ما دعت الضرورة أيّاً منهما فسيساعد كل منهما الآخر بكل ما يملك من قوة وحماسة ضد الأتراك وضد كل الملوك الآخرين والحكام الذين قد يشنون الحرب عليهم .

مادّة : يتعهّد الحاكم أنه ما قرّر ملك عدن أنّه في حاجة إلى مساعدة بالمال أو بالرجال أو بالأسطول ، فسيذهب هو شخصيّاً لمساعدته أو أن يرسل ضباطه وقباطنته لشنّ الحرب على كل أعدائه .

بالمثل يتعهّد ملك عدن ويعِد أن يقوم بنفس العمل ضدّ كل أعداء السيد المذكور الذين قد يتواجدون في تلك الأنحاء .

مادّة : اتفقوا على أن يقوم الحاكم في الحال بإرساله ابنه "دوم ألفارو" مع أسطول ضخم لدعم ومساعدة ملك عدن ، الذي يشتبك حالياً مع الأتراك ... ، وإن كان الملك يحتاج إليهم فسيبعث له بسفن ورجال يدافع بهم عن المدينة .

قام الملك بتزويد وتوفير كل المؤن لأولئك الجنود ودفع أجورهم ، وتوقّع - بناءً على أواصر الصّداقة - أن يتصرّف الحاكم بالسرعة المطلوبة ، وستسدّد النفقات لخزينة السيّد ملك البرتغال .

طالما أنّ إعداد السُّفن أيضاً كان من أجل حماية المدينة وتمكين السفن من الوصول إلى الميناء من أجل مصلحة الملك ومكتب

للجمارك ، فإنّ الملك يتعهد بتوفير ذلك لها وسيقدم المنازل وأماكن الإقامة للبرتغاليّين الذين عليهم البقاء هناك ليسكنوا فيها .

مادّة : يتعهّد ملك عدن بعدم إبرامه لأيّ سلام مع الأتراك ، أو أن يسمح لأيّ جندي لسكري بتلقّي أجر من تركيا عن التواجد في المدينة ولا أن يأذن لأي تاجر تركي بالقدوم إلى هناك ، كما لن يسمح لأي شخص من الجنسية التركية بالتواجد في المدينة حتى لا تنشب أي مشاجرات أو عراك بينهم وبين البرتغاليّين .

مادّة : البرتغاليّون الذين يذهبون إلى عدن ببضائعهم وتجارتهم لن يؤدّوا أي رسوم جمركية ولن يطلب منهم أي شكل من أشكال الضرائب أو الفوائد ، لكنهم سيبيعون بضائعهم بحرية كما سيشترون ما يريدون بحرية دون أي أداء لرسوم أو ضريبة أو فائدة تطلب منهم ، لكن التجار المسلمين والهندوس الذين يذهبون إلى هناك سيدفعون الرسوم العاديّة كما هي العادة .

مادّة : البضائع التي تعود ملكيّتها للبرتغاليّين ، والمحمّلة على ظهر سفن برتغاليّة ، وتذهب إلى مدينة عدن ، ستعفى من أداء أيّ رسوم كما ذكر أعلاه ، أمّا أولئك المسلمون والهندوس الذين يبعثون ببضائعهم سيدفعون الرسوم المستحقّة ، لكن البضائع التي تعود ملكيتها لبرتغاليّين ومحملة على ظهر سفن للمسلمين فلن تؤدّى عليها أيّ رسوم .

مادّة : يتعهّد الحاكم بمنح تصاريح عبور آمن لكل السُّفن والتجار الذين يرغبون في الذهاب إلى مدينة عدن من الهند ، إذا لم يكونوا قادمين من مناطق تابعة للأعداء ، حتى تظلّ المدينة غنيّة وذات سيادة .

مادّة : يتعهّد ملك عدن أنه في حالة أراد ملك البرتغال بناء قلعة في مدينة عدن فسيقدم له موقعاً لعمل ذلك أينما يراه حاكم الهند المكان الأفضل .

القانون وإدارة دفّة الحكم ستكون دائماً بين يدي ملك عدن ، ولن تكون لقائد القلعة أيّ قوّة أو سلطة في أيّ أمر يتعلق بالمدينة أو المسلمين ، لكن فقط على البرتغاليّين الذين يرافقونه ، وأولئك البرتغاليّون لن يواجهوا بالعداء أيّ مسلم في المدينة أو أي أجنبي يعيش هناك ، وإن حدثت البعض من هذه الإشكالات فسيقوم القائد بفرض عقوبة صارمة في الحال إذا طلب منه الملك تنفيذ ذلك .

مادّة : اتّفقنا أيضاً ، إذا ما قرّرا معاً (الحاكم والملك) بشنّ الحرب على ساحل الجزيرة العربية ، فإن كل البلدات والأراضي التي يستوليا عليها بين "الشحر" و"المخا" "Mocha" فستصبح تابعة لملك عدن ولن يؤول للبرتغاليّين أي شيء .

مادّة : الأسطول الذي سيبقى في عدن لن يقاتل أو يغير على موانئ المسلمين في ذلك الساحل بدون إذن أو أمر مباشر من ملك عدن .

الحاكم ، "دوم جواو دي كاسترو" ، وافق وصادق على هذا التعهد باسّم ملك البرتغال السّامي ، سيّده وملكه الأصيل ... ، ويلتزم التقيد والتمسك بكل ما به ، ولتأكيد أكثر فقد أقسَم على الإنجيل المقدس بوضع يديه عليه .

الأمير داوود بن أحمد سفير السلطان العظيم محمد بن شيخ علي بمقتضى سلطاته وأشقائه شيخ "Hacmex" بن شيخ علي والشيخ عبد

الجابر ، باسْمهم جميعاً تعهّد بأن سيّده الملك وأشقاءه سيتقيّدون ويلتزمون بميثاق السّلام والصّداقة هذا ، والملك وكل أشقائه سيقسمون على دينهم أمام "دوم ألفارو دي كاسترو" الذي بعث به الحاكم لهذا الغرض .

تُعدّ أربع نُسخ منه ، تبقى اثنتان في معيّة الحاكم موقّعة من ملك عدن وأشقائه ، واحدة بالبرتغالية وأخرى بالعربيّة ، والاثنتان الأخريان تبقيان مع ملك عدن مرفقة بالقسَم ، إحداها بالعربيّة والأخرى بالبرتغاليّة .

وفي العام نفسه (١٥٤٨م)

بعث "دوم جواو دي كاسترو" رسالة من "باسين" ، في الثّاني عشر من شهر فبراير ، عام ١٥٤٨م ، بالاتفاق بين الحاكم وملك عدن : [٦٦]

اتّفاق منجز بين : الحاكم "دوم جواو دي كاسترو" مع ملك عدن[أ] .

باسْم الرّبّ العليّ القدير ...

اتّفاق السّلام والصّداقة والتّفاهم هذا كتب في الثاني عشر من شهر فبراير ، في العام ١٥٤٨م ، في قلعة "باسين" في حضور :

"دوم جواو دي كاسترو" ، القائد العام والحاكم في تلك الأنحاء

(أ) هذه الوثيقة تظهر خارج السياق التاريخي للوثائق . لتيسير فهم القرّاء نعتقد أنه من المناسب أن نضعها في هذا الموضوع بعد التعليمات الواردة والتي تجعلها واضحة .

ثـلاث صيـغ من هذا الاتفاق تظهر في الأرشيف اثنان متطابقـان في المحتوى تماماً ، والثّالثة التي ننشرها هنا تختلف في المواضع التي نشير إليها .

---

(٦٦) رقم الوثيقة والهامش.

من الهند نيابة عن سيادته الملك السامي "جواو الثالث" (III) ملك البرتغال .

ليعلم كلّ من يطّلع عليه أنّ السّلام والصّداقة قد تمّ إرساؤها بين السيد المذكور ، وبين الملك العظيم ، سلطان عدن محمّد بن شيخ علي وأشقائه شيخ "Hacmex" ابن الشيخ علي والشيخ عبد الجابر والنبيل الكريم الأمير داوود بن أحمد ، سفيره وعمّه .

بالسلطات الكفيلة والكافية التي يتحلّى بها من الملك وأشقائه فإنّ الاتفاق تم كما يلي :

مادّة : أوّلاً : اتّفقوا على أن يصبحوا أصدقاء لمن يصادق أيّاً منهم وأعداء لمّن يعاديهم ، وأنّه متى ما دعَت الضّرورة أيّاً منهما فسيساعد كلّ منهما الآخر بكلّ ما يملك من قوّة وحماسة ، ضدّ الأتراك ، وضدّ كلّ الملوك الآخرين والحكّام الذين قد يشنّون الحرب عليهم .

مادّة : يتعهّد الحاكم أنّه ما قرّر ملك عدن أنّه في حاجة إلى مساعدة بالمال أو بالرجال أو بالأسطول ، فسيذهب هو شخصيّاً لمساعدته أو أن يرسل ضبّاطه وقباطنته لشنّ الحرب على كلّ أعدائه .

بالمثل يتعهّد ملك عدن ويعِد أن يقوم بنفس العمل ضدّ كلّ أعداء السيّد المذكور الذين قد يتواجدون في تلك الأنحاء .

مادّة : اتّفقوا على أن يقوم الحاكم في الحال بإرسال ابنه "دوم ألفارو" مع أسطول ضخم لدعم ومساعدة ملك عدن ، الذي يشتبك حالياً مع الأتراك ... ، وإن كان الملك يحتاج إليهم فسيبعث له بسفن ورجال يدافع بهم عن المدينة .

قام الملك بتزويد وتوفير كلّ المؤن لأولئك الجنود ودفع أجورهم ، وتوقّع - بناءً على أواصر الصّداقة - أن يتصرّف الحاكم بالسّرعة المطلوبة وستسدّد النفقات لخزينة السيّد ملك البرتغال .

طالما أنّ إعداد السُّفن أيضاً كان من أجل حماية المدينة وتمكين السُّفن من الوصول إلى الميناء من أجل مصلحة الملك ومكتب للجمارك ، فإنّ الملك يتعهّد بتوفير ذلك لها وسيقدّم المنازل وأماكن الإقامة للبرتغاليّين الذين عليهم البقاء هناك ليسكنوا فيها[أ] .

مادّة : يتعهّد ملك عدن بعدم إبرامه لأيّ سلام مع الأتراك ، أو أن يسمح لأيّ جنديّ لسكري بتلقّي أجر من تركيا ، فضلاً عن التواجد في المدينة ، ولا أن يأذن لأيّ تاجر تركيّ بالقدوم إلى هناك ، كما لن يسمح لأيّ شخص من الجنسيّة التركيّة بالتّواجد في المدينة حتّى لا تنشب أيّ مشاجرات أو عراك بينهم وبين البرتغاليّين .

مادّة : البرتغاليّون الذين يذهبون إلى عدن ببضائعهم وتجارتهم لن يؤدّوا أيّ رسوم جمركيّة ولن يطلب منهم أيّ شكل من أشكال الضرائب أو الفوائد ، لكنهم سيبيعون بضائعهم بحرّيّة كما سيشترون ما يريدون بحرّيّة ، دون أيّ أداء لرسوم أو ضريبة أو فائدة تطلب منهم ، لكن التجّار المسلمين والهندوس الذين يذهبون إلى هناك سيدفعون الرسوم العاديّة كما هي العادة .

(أ) في الوثائق الأخرى التي تشير على هذا (مجموعة "ساو لورينسو" ، م٥ ، ص ٤١ ، ٣٥في) وردت الإضافة التّالية : القانون والسّلطات على هؤلاء "البرتغاليّين" ستكون من مسؤوليّة القبطان القائد ، وهذا ينطبق على هؤلاء "البرتغاليّين ، وهذا ينطبق في حالة العقود فيما عدا بناء القلاع . إذا توجّب بناء قلعة في عدن فإنّ الحامية البرتغاليّة بحكم طبيعتها ستكون تحت قيادة القبطان .

مادّة : البضائع التي تعود ملكيّتها للبرتغاليّين والمحمّلة على ظهر سفن برتغاليّة تذهب إلى مدينة عدن ستعفى من أداء أيّ رسوم كما ذكر أعلاه ، أمّا أولئك المسلمون والهندوس الذين يبعثون ببضائعهم سيدفعون الرّسوم المستحقّة ،لكن البضائع التي تعود ملكيّتها لبرتغاليّين ومحمّلة على ظهر سفن للمسلمين فلن تؤدّى عليها أيّ رسوم .

مادّة : يتعهّد الحاكم بمنح تصاريح عبور آمن لكلّ السّفن والتجّار الذين يرغبون في الذهاب إلى مدينة عدن من الهند ، إذا لم يكونوا قادمين من مناطق تابعة للأعداء ، حتى تظلّ المدينة غنيّة وذات سيادة .

مادّة : يتعهّد ملك عدن أنه في حالة أراد ملك البرتغال بناء قلعة في مدينة عدن فسيقدّم له موقعاً لعمل ذلك أينما يراه حاكم الهند المكان الأفضل .

القانون وإدارة دفّة الحكم ستكون دائماً بين يدي ملك عدن ، ولن تكون لقائد القلعة أيّ قوّة أو سلطة في أيّ أمر يتعلّق بالمدينة أو المسلمين ، لكن فقط على البرتغاليّين الذين يرافقونه ، وأولئك البرتغاليّون لن يواجهوا بالعداء أيَّ مسلم في المدينة أو أيّ أجنبي يعيش هناك ، وإن حدثت البعض من هذه الإشكالات فسيقوم القائد بفرض عقوبة صارمة في الحال إذا طلب منه الملك تنفيذ ذلك .

مادّة : اتفقنا أيضاً إذا ما قرّرا معاً (الحاكم والملك) بشنّ الحرب على ساحل الجزيرة العربيّة ، فإنّ كلّ البلدات والأراضي التي يستوليا عليها بين "الشحر" و"المخا" "Mocha" ، فستصبح تابعة لملك عدن ولن يؤول للبرتغاليّين أيّ شيء .

مادّة : الأسطول الذي سيبقى في عدن لن يقاتل أو يغير على موانئ المسلمين في ذلك السّاحل بدون إذْن أو أمر مباشر من ملك عدن .

الحاكم ، "دوم جواو دي كاسترو" ، وافق وصادق على هذا التعهّد باسْم ملك البرتغال السّامي ، سيّده وملكه الأصيل ... ، ويلتزم التّقيّد والتّمسّك بكلّ ما به ، ولتأكيد أكثر فقد أقسَمَ على الإنجيل المقدس بوضع يديه عليه .

الأمير داوود بن أحمد سفير السلطان العظيم محمّد بن شيخ علي بمقتضى سلطاته وأشقائه شيخ "Hacmex" بن شيخ علي والشيخ عبد الجابر ، باسْمهم جميعاً ، تعهّد بأن سيّده الملك وأشقّاءه سيتقيّدون ويلتزمون بميثاق السّلام والصّداقة هذا ، والملك وكلّ أشقائه سيقسِمون على دينهم أمام "دوم ألفارو دي كاسترو" الذي بعث به الحاكم لهذا الغرض .

تُعدّ أربع نُسخ منه ، تبقى اثنتان في معيّة الحاكم موقّعة من ملك عدن وأشقائه ، واحدة بالبرتغاليّة وأخرى بالعربيّة[أ] ، والاثنتان الأخريان تبقيان مع ملك عدن مرفقة بالقسَم ، إحداها بالعربيّة والأخرى بالبرتغاليّة[ب] .

(أ) في وثيقة في مجموعة "ساو لورينسو" ، ٥ ، ص ٣٧ ، كلمة (فارسيّة) تظهر بدلاً من كلمة (عربيّة) .

(ب) انظر : "توري دو تومبو" : مجموعة "ساولورينسو" ، م٥ ، ص ١١ـ١٣ .

وفي العام نفسه (١٥٤٨م)

جاء تفويض بمنْح حقّ النّظر في القضايا والسّلطة القضائيّة إلـى "دوم ألفارو دي كاسترو" ، على رجال الأسطول الذي يقوده إلـى عدن ، "باسين" ، في الثّالث والعشرين من شهر فبراير ، عام ١٥٤٨م : [٦٧]

أنا "دوم جواو دي كاسترو" ، العضو في مجلس سيّدنا الملك ، وقائده الأوّل ، والحاكم في مناطق الهند ... إلخ ، أبلغ بموجب هذا كلّ من يطّلع على هذا التفويض بالسلطة القضائيّة أنّه ، وبما لي من ثقة عظيمة في "دوم ألفارو دي كاسترو" ، ابني ، سيقوم بخدمة الملك ، سيّدنا ، بكلّ حرص وحماسة وروح عالية وحبّ كما هو متوقع منه ... ، وسيؤدّي وينفّذ كلّ واجباته في خدمة سيّدنا .

أبعث به الآن كقبطان أوّل للبحار مع أسطول ؛ ليحتلّ مدينة عدن نيابة عن سيّدنا ، وأن يسلّم المدينة باسْم سموّه إلى الملك ، ويقوم معه بعمل كل الأشياء الضّروريّة باسْم سيّدنا الملك .

(٦٧) رقم الوثيقة والهامش.

في مثل حالات مشابهة ، فمن المناسب أن يمارس السلطة القضائيّة على أولئك الذين يحملهم معه ، وإنّني بموجب هذا أمنحه حقّ النّظر والفصل في الدعاوي المتعلّقة بالجرائم التي يرتكبها أيّ شخص ، ليس قبطاناً أو نبيلاً أو خادماً لأولئك السّادة ، ويشمل ذلك الحق في تنفيذ الحكم بحقّهم .

في حالة تتعلّق بالنبلاء أو خدم سموّه ممّن يرتكبون أيّ جرائم تستوجب عقوبتهم عليها في المحاكم ، فسيكون له الحقّ في إلقاء القبض عليهم ، وإلزامهم على تقديم إفادات تتعلّق بجرائمهم لكاتب يرافقه لهذا الغرض ويأمر بإرسالهم لطرفي تحت الحراسة المشدّدة ، مع الإفادات التي تتعلق بجرائمهم حتى تأخذ العدالة مجراها .

إنني أمنحه بموجب هذا السلطة القضائية ، حتى إن حدثت مثل تلك الحالات ، يمكنه فرض غرامات تصل حتى خمسين "كروزادواساً" ونفي لمدّة أربع سنوات .

في مثل تلك المسائل ، حيث تخضع لقيود تفسّر ، هنا فسيقرّ ويصدر أحكاماً على المجرمين ويتأكّد من تنفيذها .

في القضايا الجنائيّة أمنحه السلطة القضائية ليطبق غرامات بمبلغ خمسين ألف "ريس" ، وفوق هذا المبلغ سيمنح الحقّ بالاستئناف .

إنّني بموجب هذا أخطر كلّ قباطنة السفن الذين يرافقونه ، وكلّ النّبلاء والسّادة والبحّارة والجنود ، وأيّ شخص آخر من أيّ رتبة أو نوعيّة ، وآمرهم بطاعته ، واعتباره القبطان الأوّل للبحار ، وأن ينفّذوا أوامره كما هو متوقّع منهم .

سلّمَ بيد "باستياو دياز" ، في "باسين" ، بتاريخ الثّالث والعشرين من شهر فبراير ، عام ١٥٤٨م .

"دوم جواو دي كاسترو"(أ) .

****

تفويض بالسلطة قدّم من سيادتك إلى "دوم ألفارو دي كاسترو" ، قبطان أوّل البحار في الهند ، وهو في طريقه حالياً إلى عدن ، لاطلاع فخامتك عليه .

(أ) Torre do Tombo : Colecca de Sao Lourenco v, f 39r – v .

وفي العام نفسه (١٥٤٨م)

بعث "دوم جواو دي كاسترو" رسالة من "باسين" ، بتاريخ الثّالث والعشرين من شهر فبراير ، عام ١٥٤٨م ، وفيها أمر بتفويض الوكلاء التجاريّين والموظّفين بالقلاع التي في الهند ؛ لتوفير مواد ومؤن وأشياء أخرى ضروريّة لأسطول "دوم ألفارو دي كاسترو" ، للأسطول الذي برفقته إلى عدن بناءً على أوامر موقّعة من طرفه : (٦٨)

"دوم جواو دي كاسترو" ، عند عودته من ساحل "كامباي" ، ومعركة "ساليسيت" ، ذهب إلى "باسين" ، حيث وصلته أخبار بأن شيخ عدن ، بعد طرده للأتراك الذين كانوا يحتلّون المدينة ، بعثَ برسالة لقائد هرمز عارضاً عليه أن يكون أحد أتباع ملك البرتغال .

أرسل القائد عنه "دوم بايو دي نورونها" إلى عدن ، خشي "دوم بايو"

(٦٨) رقم الوثيقة والهامش.

أن يعود الأتراك ، فبعث بسفينة مع عمّ الشّيخ على ظهرها كسفير ؛ ليكمل شروط التحالف مع الحاكم ، وليطلب التعزيزات .

قام الحاكم ، وبناءً على "جاسبار كوريا" "Gaspar Correia" ، بترتيب مواكب بالكثير من المرح لسيّدنا المسيح على هذا العطف ، ثمّ قام بإرسال ابنه إلى عدن مع أسطول .

أنا "دوم جواو دي كاسترو" ، من مجلس سيّدنا الملك ، قائده المسؤول في أنحاء الهند ... إلخ ، آمُر – بموجب هذا – الوكلاء التجاريّين وموظّفي قلعة "شول" ، "باسين" ، و"ديو" وأيّ وكيل تجاريّ آخَر وموظّف تابع لذلك السيّد ، بأنّ ابني ، "دوم ألفارو دي كاسترو" ، الذي أبعث به لـ عدن مع أسطول ، بأن يزوّدوه بكلّ المؤن الضروريّة للأسطول الذي برفقته .

طبقاً للأمر الحالي والنسخة التي منه المدوّنة في سجلات الوكلاء التجاريّين ، وفي الأوامر التي معه فإنني ، بموجب هذا أصدر بتعليماتي لكتَبة الحسابات لذلك السيّد ، أن يسجّلوا حسابات المؤن والإمدادات وكلّ الأشياء الضّروريّة للأسطول ، وأن يصادق على الإيصال المعني من قبل القباطنة الذين سلّمت لهم كلّ تلك الأشياء .

نفذ ذلك من قبل "باستياو دياز" ، في "باسين" ، في الثّالث والعشرين من شهر فبراير ، عام ١٥٤٨م .

(التوقيع) "دوم جواو دي كاسترو"

صدرَ هذا التفويض لأنّ سيادتك يعتبره صحيحاً ، وأنّ الوكلاء

التجاريّين والموظّفين التابعين للملك - سيدنا - عليهم تسليم ذلك بناءً على أوامر "دوم ألفارو دي كاسترو" ، كبير قباطنة بحار الهند ... ، وكلّ المؤن والموادّ ، وأيّ أشياء أخرى ضروريّة للأسطول الذي برفقته إلى عدن .

وفي العام نفسه (١٥٤٨م)

بعث "دوم جواو دي كاسترو" ، تفويضاً ليمكّن "دوم ألفارو دي كاسترو" ، بمنح تصاريح عبور آمن للهاربين من العدالة ، الذين يأتون للعمل في الأسطول المتقدم لعدن ، "باسين" ، في الثالث والعشرين من شهر فبراير ، عام ١٥٤٨م : [٦٩]

بناءً على ما ذكر "جارسيا كوريا" "Garcia Correia" ، فإنّ الحاكم وجد نفْسه في حاجة إلى اعتمادات ماليّة ، ويلاقي صعوبة في تجنيد أشخاصٍ ليخدموا في الأسطول هذا ، يوضِّح التفويض المنشور كما يلي :

أنا "دوم دي كاسترو" ، العضو في مجلس الملك ، سيّدنا ، وقائده الأوّل والحاكم في مناطق الهند ... إلخ ، أُبلغ - بموجب هذا - كلّ من يطّلع على التفويض الحالي وما يتعلّق بإرسالي لـ"دوم ألفارو دي

(٦٩) رقم الوثيقة والهامش.

كاسترو" ، ابني ، كبير قباطنة بحار الهند ، بأن يستولي على مدينة عدن نيابة عن سيّدنا المذكور باسْم سموّه ، وأن يسلّم تلك المدينة للملك .

قد يُحتاج لمزيد من الناس أكثر ممن معه في الأسطول ، واطّلعت أنّ من بين المسلمين هناك يوجد العديد من البرتغاليّين الفارّين من العدالة ، سيكون الأمر من مصلحتنا أن يوفّر "دوم ألفارو دي كاسترو" تصريح العبور الآمِن لأيّ هارب قد يرغب في الذهاب معه في هذا الأسطول .

منحتُه السلطة الكاملة للقيام بهذا ، وعليه عدم منْح ذلك الترخيص بالمرور لأيّ شخص كان طرفاً في مواجهة خلال فترتي هنا ، أو تحدّيات مع أيّ شخص ؛ لأنّه ليس من صالحنا أن تمنح تلك المواجهات تصاريح مرور آمِن لأسباب قد تدفعني لإصدار التفويض الحالي .

إنّني آمُر - بموجب هذا - كلَّ الضّباط والقضاة والحكّام وموظّفين آخرين بتنفيذ هذا الأمر ، والاحتفاظ بتصاريح المرور التي قد يمنحها "دوم ألفارو دي كاسترو" خلال الفترة التي يكون فيها الأسطول في عمليّات .

قدّم بيد "باستياو دياز" ، "باسين" ، في الثّالث والعشرين من شهر فبراير ، عام ١٥٤٨م .

"دوم جواو دي كاسترو"

****

هذا التفويض يصبّ في مصلحة سيادتك ، وإنه على "دوم ألفارو دي كاسترو" كبير قباطنة البحر الهنديّ منْح تصاريح مرور آمنه للفارّين ، بينما يكون الأسطول الذي يتقدّم نحو عدن مشاركاً في العمليّات .

وفي العام نفسه (١٥٤٨م)

بعث "دوم جواو دي كاسترو" ، "باسين" ، في السّادس والعشرين من شهر فبراير ، عام ١٥٤٨م ، رسالة وفيها أمْر تفويض بالسلطة لـ "دوم ألفارو دي كاسترو" لإرساء السّلام والصّداقة مع ملك عدن : (٧٠)

أنا "دوم جواو دي كاسترو" ، العضو في مجلس الملك ، سيّدي ، وقائده المسؤول والحاكم للهند :

أنقل بموجب هذا لأولئك الذين يطلعون على تفويضي هذا المانح للسلطة أنّ "دوم ألفارو دي كاسترو" ، ابني ، رئيس قباطنة بحار الهند ، قد أُمرَ بإرساء السّلام والصّداقة مع ملك المدينة المذكورة وأن يمثّل سيّدي الملك .

عليه ، فإنّني أمنحه كلّ سلطاتي الكافية له ، باسْمي وتلك التي

(٧٠) رقم الوثيقة والهامش.

لملِك عدن وملِكي ، بأن يتمكّن من إرساء السّلام والصّداقة مع ملك عدن المذكور ، وأن يوقّع المواثيق التي يأخذها معه ، ويقسِم عليها ، وأن يصوغ أخرى جديدة إن كان ذلك ضروريّاً .

كلّ ما يقوم به سيصبح ملزماً وسارياً ، وكأنّني كنت حاضراً بنفْسي .

منح من قِبلي وبيدي ، في "باسين" ، في الخامس والعشرين من شهر فبراير ، عام ١٥٤٨م .

"سيماو بوتيلهو" ، مراقب الخزينة ، كون السكرتير مريضاً حالياً ، في السّنة الميلاديّة ١٥٤٨م .

"دوم جواو دي كاسترو"

وفي العام نفسه (١٥٤٨م)

صدرت تعليمات كتابيّة من "دوم جواو دي كاسترو" ، نائب الملك في الهند إلـى "دوم ألفارو دي كاسترو" ، بشأن عدن ، "باسين" ، في السّادس والعشرين من شهر فبراير ، عام ١٥٤٨م : (٧١)

تعليمات كتابيّة من "دوم جواو دي كاسترو" ، نائب الملك في الهند ، إلى "دوم ألفارو دي كاسترو" ، بشأن الاستيلاء على مدينة عدن ، ماذا يجب عليك أنت "دوم ألفارو" أن تفعل في هذه الرحلة التي أرسلك أنا فيها للاستيلاء على مدينة عدن؟

أوّلاً : حالما تبحر من ميناء "باسين" هذا ، ستتقدّم بأسرع ما تستطيع في اتّجاه جزيرة "سوقطرة" ، وفي الطريق عليك أن تحرص كثيراً على جعل كلّ السفن مجتمعه معاً ؛ حتى وإن واجهتها مشكلة تكون قادراً على تقديم المساعدة ، مثلاً ، هناك خطر في أن تأخذ طريقاً قد يتسبّب في ضياعها منك ، أو أن تضلّ طريقها عن الجزيرة إن لم تتمكن من

---

(٧١) رقم الوثيقة والهامش.

إيجادك بسبب عدم وجود ربابنة لإرشادها ... ، ومن الأشياء التي يمكنك القيام بها إن كنت تريد ذلك فهو تقييد أشرعتك حتى تصبح أكثر ثقلاً وأكثر عدداً بمن فيها .

حينما تصل إلى "سوقطرة" عليك الإسراع لتجديد وتزويد مؤونتك من المياه العذبة ، مستغلاً وقتك بالطريقة التي تدل على حكمتك وحسن تصرّفك .

على أيّة حال ، فإنك ستحاول أن تستكشف في الجزيرة إن كان الأسطول التركي متواجداً في المناطق القريبة من عدن أو لا .

إن كان الحال غير ذلك غادر الميناء واتَّجه نحو جزر[أ] "Coniquim" حيث يكون "دوم جواو دا اتيدا"[ب] في انتظار معلومات استخباراتية من ساحل الجزيرة العربية إن كان الأتراك في الجوار من مدينة عدن .

إذا لم تجد "دوم جواو" ، فإن ذلك علامة على أن المدينة وساحل عدن آمنة ، وعليه يمكنك مواصلة الإبحار باتجاه عدن ، وبنفْس الطريقة عليك مواصلة التحقيق في أماكن عدّة على الساحل لمعرفة ما يجري .

عندما تصبح المدينة في مرمى بصرك اجمع كلّ أسطولك معاً وادخل إلى الميناء بطريقة منظمة ومنسقة وفي خط استعداداً للمعركة ، مع الأعلام وهي ترفرف ، رافعين الأصوات عالياً كأنكم في ساحة الحرب ، بعد ذلك تحيي المدينة مطلقين البنادق ومن ثَمّ المدفعيّة ، إذا وصلت ليلاً ، فأطلق

(أ) جزر "Coniquim" . جزر بعيدة عن ساحل الجزيرة العربية بين عدن وجزر "كورا مورا" .

(ب) أمر الحاكم "دوم جواو دي ايتدا" أن يغادر قبل "دوم الفارو" وأن ينتظره خارج السّاحل العربيّ .

العديد من الصواريخ من السفن على أعلى المنازل ؛ حتى يعلم الملك والعرب ويشعرون بقدومك إلى بلادهم بكثير من الفرح والاحتفاليّة .

ثانياً : بعد أن ترسو مباشرة ، ابعث بالسفير إلى الشاطئ ، وعندما يطلب منك الملك زيارته ، ويطلب نزولك على الشاطئ ، فقدّم الاعتذار قائلاً إن تلك ليست العادة في البرتغال ، وبجانب ذلك أنّني أمرتك بعدم مغادرة أسطولك ما لم يكن سموّه قد حوصر من قبل الأتراك ، ففي تلك الحالة عليك بإنزال كل الناس إلى الشاطئ والقيام بما يأمر به سموه .

مادّة : سيكون معك ميثاقان ، أحدهما باللّغة العربيّة والآخر بالفارسيّة ، العقد الذي باللّغة العربيّة موقّع من طرفي وهو للملك للاحتفاظ به ، أمّا العقد بالفارسيّة فعليه التّوقيع عليه والقسَم بذلك ومن ثَمّ تأخذه وتأتي به لي .

بحوزتك أيضاً عقدان آخران بنفس المضمون باللّغة البرتغاليّة ، أحدهما موقّع من قِبلي وهو للملك ليحتفظ به ، والآخر يوقِّع عليه هو وأشقاؤه وتأتي به لي .

في اليوم الذي تقابل فيه الملك ليوقِّع ويدلي بالقسَم ستنزل إلى الشاطئ بكل من في الأسطول في تشكيل ، حاملين أسلحتهم وتدخلوا المدينة رافعين إعلامكم والطبول تدقّ في طريقكم إلى قصور الملك ، وتقدّم له الهدايا التي أخذتها معك لهذا الغرض .

ستطلعه نيابة عنّي بأنني متحمّس وفخور جدّاً بصداقته وموافقته على ذلك ، وإنّني أبعث بأسطول هائل ليظل معه كلّ فصل الشتاء ، بغرض هزيمة كلّ ساحل البحر العربيّ وتسليمه له .

بعد التحدّث معه عن كل تلك الأمور ، ستطلب منه التوقيع على المواثيق والقسَم عليها ومعه أشقاؤه طبقاً لقانونهم .

بعد القيام بكل ذلك ستودّعه بكلّ أَدَب وكياسة ، وتعود بنفْس التشكيل إلى السُّفن .

مادّة : في الوقت الذي تقضيه راسياً في المدينة ستراقب الأسطول مراقبة دقيقة ، وستبعث بزورقَين خارج الميناء في كلّ ليلة لمراقبة البحر ، ولتقدّم له معلومات استخباراتية على كلّ ما يشاهدونه أو يسمّونه هناك ، حتى لا يدخل أو يغادر أيّ شيء الميناء ، وحتى تتجنب أيّ طارئ أو حوادث قد تحدث .

في حالة تلقّيك لمعلومات مؤكّدة من "سوقطرة" أنّ هناك أسطولاً تركيّاً ضخماً في المناطق المجاورة لـ عدن ، وكبيراً جدّاً تصعب عليك مواجهته في قتال أو لا يمكّنك من تقديم المساعدة للملك ، فسترفع أشرعتك وتغادر إلى "قشن" ، وتأخذ معك ملك "قشن" ، وتضعه مسؤولاً عن المدينة ، وتعود إلى الهند .

أمّا إذا كانت المعلومات بخصوص الأتراك غير مؤكّدة ، ولم تتمكّن من معرفة حقيقة الوضع وعدد وحجم السفن التي في المناطق المجاورة لعدن ، فاذهب مباشرة إلى جزر "conquim" ، وعندما تشاهد الجزر ابعث بسفينتين صغيرتين للاستكشاف وقم بحمايتها .

عند دخولك إلى الميناء ، ابعث بزورقين مع بقية المجدّفين الذين معك باتجاه عدن ؛ ليستدلّا إن كان هناك أسطول بالقرب من ميناء المدينة ، ستذهب خلفهم ، لكن لا تمرّ أمام القلعة التي تقع على بعد

خمسة وعشرين فرسخاً من المدينة ، وهناك ستنتظر الزورقين مراقباً الوضع في البحر حتى عودتها ، إذا فقدتهما ، ونسأل الله ألّا يحدث ذلك ، فلن يتمكّن الأتراك بأخذك على حين غفلة أو الاقتراب منك دون أن تلاحظ ذلك .

للعمل على أخذ الحيطة وتفادي هذه الإمكانية ، احتفظ بأربع سفن تكون دائماً على مسافة من الأسطول لكن تحت بصرك وأنت تحت بصرهم ليلاً ونهاراً ، إذا لمح أولئك أسطولاً عليهم تحذيرك حتى تتمكّن من مغادرة الميناء حيث أنت ، واتجه نحو البحر وحيث تتمكّن بالقيام بما هو ضروريّ معتمداً على القدرة والقوّة لما قد يحدث ذلك .

إذا عادت الزوارق من عدن وإفادتك بأنّ هناك عدداً قليلاً من السفن في المنطقة المجاورة من عدن ، تستطيع عندها أن تشتبك معهم .

دائماً ابعث بعدد قليل من السفن الصغيرة أمامك للتجسس على اليابسة ، رؤوس البرّ والخلْجان .

عندما تقترب من المدينة ، ووجدت أسطول العدو ، وفي مقدورك الاشتباك معه في قتال ، فقُم بذلك مستخدماً كلّ سفنك معاً وطالباً من رجالك خلال المعركة الدعاء بالنصر من القديس "جميس" والقديس "توماس" ، بعد أن يتحقّق لك النّصر لسيدنا الكبير ادخل إلى الميناء كما وضّحت لك ذلك بأعلاه .

مادّة : عليك دائماً عند ذهابك لمكان جديد ، أو عند نشوب القتال ، أن تجتمع وتأخذ بمشورة كلّ القباطنة والضباط والنبلاء الذين بالأسطول ، واستمع لما يقولونه حتى وإن بدا لك الأمر واضحاً

كالشمس ، بالرغم من ذلك لا تتردّد في استشارتهم جميعاً ، وأيّ اتفاق يصلوا إليه قُم بصياغة وثيقة به يوقّعون عليها جميعاً .

مادّة : عندما يوقّع الملك ويؤدّي القَسَم على المواثيق ، سترتّب مجموعة من الأشخاص بناءً على أوامرك بأن يبقوا في المدينة ، ويتكوّن هذا من حوالي مائة وخمسين من "اللسكر" الذين سيكون قائدهم "دوم بايو دي نورونها" ، إن كان له أيّ اعتراض فستعمل على إقناعه للبقاء مع أولئك الأشخاص ، وإن اعتذَر عن القيام بذلك العمل فستعمل على اختيار الأفضل ، وإن لم يقبل بأيّ من تلك الواجبات فستختار لهذا العمل شخصاً يبدو لك أنّه الأفضل .

مع الأشخاص الذين سيبقون في الحراسة على المدينة ، ستترك معهم خمسة زوارق "fustas" سيكونون تحت مسؤوليّة وتعليمات القائد الذين سيكونون أكثر تحركاً في الأسطول .

مادّة : في كلّ الوقت الذي تكون فيه راسياً هناك تتأكّد من عدم نوم أيّ شخص خلال التواجد على الشاطئ ؛ حتى إن تم أيّ هجوم أثناء اللّيل لن يتم محاصرة الأسطول ، بما أنّ الرجال من الهند لا يحتمّلون رؤيتهم على البرّ دون الذّهاب إلى الشاطئ كثيراً ودون حاجة لذلك فستخبر القباطنة بأن يسمحوا كل يوم بربع رجالهم بالتواجد على الشاطئ ، شريطة أن يعودوا للسفن للنوم .

مادّة : لأداء أجور الأشخاص الذين يعملون على حراسة المدينة ، قمت بإرسال كمّيّة من التوابل ، رأيت أنّها ضروريّة حتى تبقى لسنة كاملة ، ستسلّم للأشخاص الذين طلبوها من مراقب الخزينة ، تتمّ كلّ

المبيعات والمدفوعات بناءً على الأحكام التي يصدرها المراقب لهذا الغرض وستنفّذ بكلّ دقّة .

شيء واحد عليك عمله ، وهو خدمة جليلة يمكن أن تؤدّيها للملك ، سيدنا ، حيث ستنال الشرف العظيم وتقوم بما أرغب فيه أنا نفْسي ، هو أن تغادر عدن مبكّراً حتى تتمكّن من الوصول إلى "ديو" أو "باسين" في نهاية إبريل .

سيمكّنك هذا من زيارة كلّ تلك القلاع ودعمها بالرجال إن كانوا في حاجة إليهم ، وستظهر لهم الإحسان حتى وإن ساد مرضى القلوب وسيّئوا النّية بين السّكان فسيختفون عندما يعلموا بمجيئك ، وإن وجدتهم جميعاً في أمن وسلام وانسجام فلن تتأخّر للحظة من التوجه إلى "غوا" حيث سأكون هناك .

تذكّر أنّك ستدخل المدينة وتظهر الكثير من القوّة ... ، إن قمت بذلك قدْر المستطاع دون الانتظار لتفاجأ بالعواصف وسوء الطالع .

تذكّر أيضاً ، إنّ الكثير من الرجال في الهند سيرَون في ذلك فضلاً وفضيلة ، إن اقتربت من الساحل في وقت متأخّر ، ودخلت الميناء وسفنك نصفها يغوص تحت الماء ، لست من هذا الرّأي ولا أرغب في أن تكون ذلك ، أريدك أن تعمل في سلامة أسطولك وجنودك ، وأن تعود بهم سالمين وفي حالة جيّدة .

مع ذلك فإنّني أطلب منك إن لم تكن قادراً على الوصول إلى "ديو" أو "باسين" في نهاية إبريل وحتى الثّاني من مايو ، فعليك الإبحار مباشرة إلى "غوا" ، وبعدها تتفرّق مجموعة السفن من "باسين" و"شول" في أعالي البحار حتى تبحر كلّ منها للدّيار .

مادّة : تحمل معك أربعة مواثيق بالبرتغالية ، في اثنين منها يوجد فصل يشترط بناء قلعة عندما يأمر سيدنا الملك بتنفيذ ذلك ، في العقد المكتوب باللّغة الفارسيّة هناك ملحق كتب على الجهة المقابلة ، يقول :

"أوّلاً في هذا العقد هناك فقرة تمنحنا السّلطة لبناء القلعة" ، وهذه يجب أن يوقّع عليها ملك عدن ، عليك بذل كلّ جهد ممكن لضمان موافقته على التوقيع ، ولا يجب أن يعرف أحد أنك تحمل الوثيقة الأخرى ، إن لم تنجح في إقناعه القيام بكلّ ما هو ضروري فعلى الملك التوقيع على العقد الآخر الذي كتب بالفارسية والذي في حوزتك والذي في الجانب المقابل من الصفحة ما يلي : "الثاني" .

العقد الذي سيحتفظ به ملك عدن يجب أن يكون باللّغة العربيّة ، لكنّك لن تأخذه معك من هنا مكتملاً ؛ لأنّني طلبت منك في تلك التعليمات بأن تأخذه معك ، وستتذكّر أن يكتمل وتتمّ ترجمته في عدن وألا يحتوي لا أكثر ولا أقلّ ممّا هو مبين في النسخة الفارسية .

عندما تتّفق مع الملك على أيّ العقود التي يرغب في التوقيع عليها لم أوقع أنا على أيّ منها ، لأنّني لا أدري عن أي منها سيوافق عليه يمكنك التّوقيع ، ممثّلاً لسلطتي ونيابة عنّي على الذي يوافق هو عليه .

في العقود التي سيحتفظ بها الملك فستضيف أسفل كلّ منها إعلاناً موقّعاً منك بأنك توقع نيابة عني بناءً على أمر منّي تحمله معك لهذا الغرض .

قدّم بين يدي في "باسين" ، في السّادس والعشرين من شهر فبراير ، عام ١٥٤٨م .

"دوم جواو دي كاسترو"

وفي العام نفسه (١٥٤٨م)

أصدر "دوم جواو دي كاسترو" ، رسائل من "باسين" ، في السّادس والعشرين من شهر فبراير ، عام ١٥٤٨م ، بشأن تفويض بالسلطة والصلاحيات لقائد عدن القادم : [(٧٢)]

أنا "دوم جواو دي كاسترو" ، العضو في مجلس سيّدنا الملك ، وقائده المسؤول ، والحاكم على تلك الأنحاء من الهند ...إلخ ، أبعث - بموجب هذا - لكلّ من يطّلع على هذا التفويض الحالي ، أنّني ولمصلحة خدمة سيدنا وعظيمنا الملك ، آمُر...............[(أ)] ليبقى في مدينة عدن كقائد للمواطنين البرتغاليّين والأسطول الذي على وشك التقدّم للساحل لحمايته والدفاع عنه .

وذلك ولأنّني على ثقة في هذا وفي بقية الأمور فهو مصدر ثقة في

(أ) مساحة تركت فارغة لتستكمل باسم الشخص الذي يتم اختياره .

(٧٢) رقم الوثيقة والهامش.

خدمة الملك ، سيّدنا ، وما تتطلبه خدماته ، وهو أمر صحيح ويرضيني ، وإن المذكور أعلاه يجب أن يتمتّع بتلك القيادة والرئاسة التي أقوم منحها له وكلّ الصلاحيات والسلطة التي يمارسها كلّ القادة لسيدنا الملك في قلاعه بالهند .

بموجب هذا ، فإنّني أكلّف كلّ النبلاء و"اللسكر" الّذين برفقته بطاعته ، وأن يعتبرونه كقائد لهم ، وأن ينفذوا كلّ أوامره في كلّ أمر خاصّ دون التشكك في ذلك وبدون تحفظ .

تم على يدي "باستياو دياز" "Bastiao Dias" ، في "باسين" ، في السّادس والعشرين من شهر فبراير ، عام ١٥٤٨م .

(التوقيع) "دوم جواو دي كاسترو" . (أ)

(أ) Torre do Tombo : Cleccao de Sao Lourenco V, f 28.

وفي العام نفسه (١٥٤٨م)

صدرت تعليمات من "دوم جواو دي كاسترو" لـ "دوم ألفارو" لأجل رحلته إلـى عدن ، تتضمّن ما عليه القيام به ، في تلك الرحلة ، التي بعثه على رأسها للاستيلاء على مدينة عدن ، "باسين" ، في السّادس والعشرين من شهر فبراير ، عام ١٥٤٨م : (٧٣)

أوّلاً : حالما تبحر من ميناء "باسين" هذا ، ستتقدّم بأسرع ما تستطيع في اتّجاه جزيرة "سوقطرة" ، وفي الطريق عليك أن تحرص كثيراً على جعل كلّ السفن مجتمعه معاً ؛ حتى وإن واجهتها مشكلة تكون قادراً على تقديم المساعدة ، مثلاً ، هناك خطر في أن تأخذ طريقاً قد يتسبّب في ضياعها منك ، أو أن تضلّ طريقها عن الجزيرة إن لم تتمكن من إيجادك بسبب عدم وجود ربابنة لإرشادها ... ، ومن الأشياء التي يمكنك القيام بها إن كنت تريد ذلك فهو تقييد أشرعتك حتى تصبح أكثر ثقلاً وأكثر عدداً بمن فيها .

---

(٧٣) رقم الوثيقة والهامش.

حينما تصل إلى "سوقطرة" عليك الإسراع لتجديد وتزويد مؤونتك من المياه العذبة ، مستغلاً وقتك بالطريقة التي تدل على حكمتك وحسن تصرّفك .

على أيّة حال ، فإنك ستحاول أن تستكشف في الجزيرة إن كان الأسطول التركي متواجداً في المناطق القريبة من عدن أو لا .

إن كان الحال غير ذلك غادر الميناء واتّجه نحو جزر[أ] "Coniquim" حيث يكون "دوم جواو دا اتيدا"[ب] في انتظار معلومات استخباراتية من ساحل الجزيرة العربية إن كان الأتراك في الجوار من مدينة عدن .

إذا لم تجد "دوم جواو" ، فإن ذلك علامة على أن المدينة وساحل عدن آمنة ، وعليه يمكنك مواصلة الإبحار باتجاه عدن ، وبنفْس الطريقة عليك مواصلة التحقيق في أماكن عدّة على الساحل لمعرفة ما يجري .

عندما تصبح المدينة في مرمى بصرك اجمع كلّ أسطولك معاً وادخل إلى الميناء بطريقة منظمة ومنسقة وفي خط استعداداً للمعركة ، مع الأعلام وهي ترفرف ، رافعين الأصوات عالياً كأنكم في ساحة الحرب ، بعد ذلك تحيي المدينة مطلقين البنادق ومن ثَمّ المدفعيّة ، إذا وصلت ليلاً ، فأطلق العديد من الصواريخ من السفن على أعلى المنازل ؛ حتى يعلم الملك والعرب ويشعرون بقدومك إلى بلادهم بكثير من الفرح والاحتفاليّة .

ثانياً : بعد أن ترسو مباشرة ، ابعث بالسفير إلى الشاطئ ، وعندما

(أ) جزر "Coniquim" . جزر بعيدة عن ساحل الجزيرة العربية بين عدن وجزر "كورا مورا" .

(ب) أمر الحاكم "دوم جواو دي ايتدا" أن يغادر قبل "دوم الفارو" وأن ينتظره خارج السّاحل العربيّ .

يطلب منك الملك زيارته ، ويطلب نزولك على الشاطئ ، فقدّم الاعتذار قائلاً إن تلك ليست العادة في البرتغال ، وبجانب ذلك أنّني أمرتك بعدم مغادرة أسطولك ما لم يكن سموّه قد حوصر من قبل الأتراك ، ففي تلك الحالة عليك بإنزال كل الناس إلى الشاطئ والقيام بما يأمر به سموه .

مادّة : سيكون معك ميثاقان ، أحدهما باللّغة العربيّة والآخر بالفارسيّة ، العقد الذي باللّغة العربيّة موقّع من طرفي وهو للملك للاحتفاظ به ، أمّا العقد بالفارسيّة فعليه التّوقيع عليه والقسَم بذلك ومن ثَمّ تأخذه وتأتي به لي .

بحوزتك أيضاً عقدان آخران بنفس المضمون باللّغة البرتغاليّة ، أحدهما موقّع من قِبلي وهو للملك ليحتفظ به ، والآخر يوقِّع عليه هو وأشقاؤه وتأتي به لي .

في اليوم الذي تقابل فيه الملك ليوقِّع ويدلي بالقسَم ستنزل إلى الشاطئ بكل من في الأسطول في تشكيل ، حاملين أسلحتهم وتدخلوا المدينة رافعين إعلامكم والطبول تدقّ في طريقكم إلى قصور الملك ، وتقدّم له الهدايا التي أخذتها معك لهذا الغرض .

ستطلعه نيابة عنّي بأنني متحمّس وفخور جدّاً بصداقته وموافقته على ذلك ، وإنّني أبعث بأسطول هائل ليظل معه كلّ فصل الشتاء ، بغرض هزيمة كلّ ساحل البحر العربيّ وتسليمه له .

بعد التحدّث معه عن كل تلك الأمور ، ستطلب منه التوقيع على المواثيق والقسَم عليها ومعه أشقاؤه طبقاً لقانونهم .

بعد القيام بكل ذلك ستودّعه بكلّ أدَب وكياسة ، وتعود بنفْس التشكيل إلى السُّفن .

مادّة : في الوقت الذي تقضيه راسياً في المدينة ستراقب الأسطول مراقبة دقيقة ، وستبــعث بزورقَين خــارج الميناء في كلّ ليلة لمراقبة البحر ، ولتقـدّم له معلومات استخباراتية على كلّ ما يشاهدونه أو يسمّونه هناك ، حتى لا يدخل أو يغادر أيّ شيء الميناء ، وحتى تتجنب أيّ طارئ أو حوادث قد تحدث .

في حالة تلقّيك لمعلومات مؤكّدة من "سوقطرة" أنّ هناك أسطولاً تركيّاً ضخماً في المناطق المجاورة لـ عدن ، وكبيراً جدّاً تصعب عليك مواجهته في قتال أو لا يمكّنك من تقديم المساعدة للملك ، فسترفع أشرعتك وتغادر إلى "قشن" ، وتأخذ معك ملك "قشن" ، وتضعه مسؤولاً عن المدينة ، وتعود إلى الهند(أ) .

أمّا إذا كانت المعلومات بخصوص الأتراك غير مؤكّدة ، ولم تتمكّن من معرفة حقيقة الوضع وعدد وحجم السفن التي في المناطق المجاورة لـ عدن ، فاذهب مباشرة إلى جزر "conquim" ، وعندما تشاهد الجزر ابعث بسفينتين صغيرتين للاستكشاف وقم بحمايتها .

عند دخولك إلى الميناء ، ابعث بزورقين مع بقية المجدّفين الذين معك باتجاه عدن ؛ ليستدلّا إن كان هناك أسطول بالقرب من ميناء المدينة ، ستذهب خلفهم ، لكن لا تمرّ أمام القلعة التي تقع على بعد

(أ) ذلك ملك "قشن" الذي كان كثيراً ما طلب من "دوم جواو دي كاسترو" المساعدة ضد ملك "الشحر" الذي كان قد خلعه عن هذه المدينة (انظر الرسالة رقم ٤٤ (VLIV) في الهامش رقم (١) .

خمسة وعشرين فرسخاً من المدينة ، وهناك ستنتظر الزورقين مراقباً الوضع في البحر حتى عودتها ، إذا فقدتهما ، ونسأل الله ألّا يحدث ذلك ، فلن يتمكّن الأتراك بأخذك على حين غفلة أو الاقتراب منك دون أن تلاحظ ذلك .

للعمل على أخذ الحيطة وتفادي هذه الإمكانية ، احتفظ بأربع سفن تكون دائماً على مسافة من الأسطول لكن تحت بصرك وأنت تحت بصرهم ليلاً ونهاراً ، إذا لمح أولئك أسطولاً عليهم تحذيرك حتى تتمكّن من مغادرة الميناء حيث أنت ، واتجه نحو البحر وحيث تتمكّن بالقيام بما هو ضروريّ معتمداً على القدرة والقوّة لما قد يحدث ذلك .

إذا عادت الزوارق من عدن وإفادتك بأنّ هناك عدداً قليلاً من السفن في المنطقة المجاورة من عدن ، تستطيع عندها أن تشتبك معهم .

دائماً ابعث بعدد قليل من السفن الصغيرة أمامك للتجسس على اليابسة ، رؤوس البرّ والخلْجان .

عندما تقترب من المدينة ، ووجدت أسطول العدو ، وفي مقدروك الاشتباك معه في قتال ، فقُم بذلك مستخدماً كلّ سفنك معاً وطالباً من رجالك خلال المعركة الدعاء بالنصر من القديس "جميس" والقديس "توماس" ، بعد أن يتحقّق لك النّصر لسيدنا الكبير ادخل إلى الميناء كما وضّحت لك ذلك بأعلاه .

مادّة : عليك دائماً عند ذهابك لمكان جديد ، أو عند نشوب القتال ، أن تجتمع وتأخذ بمشورة كلّ القباطنة والضباط والنبلاء الذين بالأسطول ، واستمع لما يقولونه حتى وإن بدا لك الأمر واضحاً

كالشمس ، بالرغم من ذلك لا تتردّد في استشارتهم جميعاً ، وأيّ اتفاق يصلوا إليه قُم بصياغة وثيقة به يوقّعون عليها جميعاً .

مادّة : عندما يوقّع الملك ويؤدّي القَسَم على المواثيق ، سترتّب مجموعة من الأشخاص بناءً على أوامرك بأن يبقوا في المدينة ، ويتكوّن هذا من حوالي مائة وخمسين من "اللسكر" الذين سيكون قائدهم "دوم بايو دي نورونها" ، إن كان له أيّ اعتراض فستعمل على..... .(أ) إقناعه للبقاء مع أولئك الأشخاص ، وإن اعتذر عن القيام بذلك العمل فستعمل على........(ب) وإن لم يقبل بأيّ من تلك الواجبات فستختار لهذا العمل شخصاً يبدو لك أنّه الأفضل .

مع الأشخاص الذين سيبقون في الحراسة على المدينة ، ستترك معهم خمسة زوارق "fustas" سيكونون تحت مسؤوليّة وتعليمات القائد الذين سيكونون أكثر تحركاً في الأسطول .

مادّة : في كلّ الوقت الذي تكون فيه راسياً هناك تتأكّد من عدم نوم أيّ شخص خلال التواجد على الشاطئ ؛ حتى إن تم أيّ هجوم أثناء اللّيل لن يتم محاصرة الأسطول ، بما أنّ الرجال من الهند لا يحتملون رؤيتهم على البرّ دون الذّهاب إلى الشاطئ كثيراً ودون حاجة لذلك فستخبر القباطنة بأن يسمحوا كل يوم بربع رجالهم بالتواجد على الشاطئ ، شريطة أن يعودوا للسفن للنوم .

(أ) توجد هنا مسافة خالية يتم تعبئتها باسم النبيل الذي سيتم اختياره للقيادة .

(ب) سطر آخر خالي من أي معلومة ليذكر فيه الاسم البديل للقائد .

مادّة : لأداء أجور الأشخاص الذين يعملون على حراسة المدينة ، قمت بإرسال كمّيّة من التوابل ، رأيت أنّها ضروريّة حتى تبقى لسنة كاملة ، ستسلّم للأشخاص الذين طلبوها من مراقب الخزينة ، تتمّ كلّ المبيعات والمدفوعات بناءً على الأحكام التي يصدرها المراقب لهذا الغرض وستنفّذ بكلّ دقّة .

شيء واحد عليك عمله ، وهو خدمة جليلة يمكن أن تؤدّيها للملك ، سيدنا ، حيث ستنال الشرف العظيم وتقوم بما أرغب فيه أنا نفْسي ، هو أن تغادر عدن مبكّراً حتى تتمكّن من الوصول إلى "ديو" أو "باسين" في نهاية إبريل ، سيمكّنك هذا من زيارة كلّ تلك القلاع ودعمها بالرجال إن كانوا في حاجة إليهم ، وستظهر لهم الإحسان حتى وإن ساد مرضى القلوب وسيّئوا النّية بين السّكان فسيختفون عندما يعلموا بمجيئك ، وإن وجدتهم جميعاً في أمن وسلام وانسجام فلن تتأخّر للحظة من التوجه إلى "غوا" حيث سأكون هناك .

تذكّر أنّك ستدخل المدينة وتظهر الكثير من القوّة ... ، إن قمت بذلك قدْر المستطاع دون الانتظار لتفاجأ بالعواصف وسوء الطالع .

تذكّر أيضاً ، إنّ الكثير من الرجال في الهند سيرَون في ذلك فضلاً وفضيلة ، إن اقتربت من الساحل في وقت متأخّر ، ودخلت الميناء وسفنك نصفها يغوص تحت الماء ، لست من هذا الرّأي ولا أرغب في أن تكون ذلك ، أريدك أن تعمل في سلامة أسطولك وجنودك ، وأن تعود بهم سالمين وفي حالة جيّدة .

مع ذلك فإنّني أطلب منك إن لم تكن قادراً على الوصول إلى

"ديو" أو "باسين" في نهاية إبريل وحتى الثّاني من مايو ، فعليك الإبحار مباشرة إلى "غوا" ، وبعدها تتفرّق مجموعة السفن من "باسين" و"شول" في أعالي البحار حتى تبحر كلّ منها للدّيار .

مادّة : تحمل معك أربعة مواثيق بالبرتغالية ، في اثنين منها يوجد فصل يشترط بناء قلعة عندما يأمر سيدنا الملك بتنفيذ ذلك ، في العقد المكتوب باللّغة الفارسيّة هناك ملحق كتب على الجهة المقابلة ، يقول :

"أوّلاً في هذا العقد هناك فقرة تمنحنا السّلطة لبناء القلعة" ، وهذه يجب أن يوقّع عليها ملك عدن ، عليك بذل كلّ جهد ممكن لضمان موافقته على التوقيع ، ولا يجب أن يعرف أحد أنك تحمل الوثيقة الأخرى ، إن لم تنجح في إقناعه القيام بكلّ ما هو ضروري فعلى الملك التوقيع على العقد الآخر الذي كتب بالفارسية والذي في حوزتك والذي في الجانب المقابل من الصفحة ما يلي : "الثاني" .

العقد الذي سيحتفظ به ملك عدن يجب أن يكون باللّغة العربيّة ، لكنّك لن تأخذه معك من هنا مكتملاً ؛ لأنّني طلبت منك في تلك التعليمات بأن تأخذه معك ، وستتذكّر أن يكتمل وتتمّ ترجمته في عدن وألا يحتوي لا أكثر ولا أقلّ ممّا هو مبين في النسخة الفارسية .

عندما تتّفق مع الملك على أيّ العقود التي يرغب في التوقيع عليها لم أوقع أنا على أيّ منها ، لأنّني لا أدري عن أي منها سيوافق عليه يمكنك التّوقيع ، ممثّلاً لسلطتي ونيابة عنّي على الذي يوافق هو عليه .

في العقود التي سيحتفظ بها الملك فستضيف أسفل كلّ منها إعلاناً موقّعاً منك بأنك توقع نيابة عني بناءً على أمر منّي تحمله معك لهذا الغرض .

قدّم بين يدي في "باسين" ، في السّادس والعشرين من شهر فبراير ، عام ١٥٤٨م .

"دوم جواو دي كاسترو"

وفي العام نفسه (١٥٤٨م)

صدر تقرير من "دوم ألفارو دي كاسترو" ومرافقيه من السّادة ، التّاسع عشر من شهر مارس ، عام ١٥٤٨م ، عن الأوضاع في عدن : (٧٤)

في التّاسع عشر من شهر مارس ، عام ١٥٤٨م ، وصل "دوم ألفارو دي كاسترو" ، القائد الأعلى لبحار الهند إلى جزر "كاناساني" "Canacany" ، مبحراً مع أسطول من الزوارق والسفن لمساعدة عدن ، التي تم الاستيلاء عليها من الأتراك بواسطة علي سليمان ، بما أنه قد طلب أن يطلق سراحه وطلب العون من الحاكم "جواو دي كاسترو" في جزر "كاناساني" ، قابل "دوم بايو دي نورونها" مع سفينتين .

كان "دوم بايو دي نورونها" داخل مدينة عدن لثلاثة شهور مع سبعة وعشرين من الرجال البرتغاليّين الذين غادر معهم هرمز بناء على دعوة سليمان ، وبناء على أوامر من "دوم مانويل دي ليما" قائد هرمز ، أخبر

(٧٤) رقم الوثيقة والهامش.

"مانويل دي ليما" "دوم ألفارو" بأن "دوم بياو" كان في عدن من تاريخ الخامس عشر من شهر نوفمبر ، عام ١٥٤٧م وحتى الخامس من شهر فبراير ، عام ١٥٤٨م ، لكنّه غادر المدينة بعد محاصرة الأتراك لها .

توجد خمس عشرة سفينة شراعيّة "غاليوت" خارج المدينة مع العديد من الرجال المقاتلين على ظهرها ، وهم الذين جاءوا من السويس ، وألفان من الأتراك الذين جاءوا عبر البرّ .

كانت المدينة في حالة حصار دائم ، ولم تدخل لها أيّ مؤن ، وكان الناس يموتون من الجوع وليس بحوزتهم ما يأكلونه .

بينما هم يعانون قسوة الجوع ، كانت تتم بينهم نزاعات غاية في العنف داخل المدينة ، وكانوا في حالة ثورة شديدة .

الكثيرون منهم لم يلتزموا بطاعة ملك عدن ؛ لأنهم كانوا يتحدّثون نفْس لغة الأتراك ، وقد كانوا من أصول تركيّة ، وأيضاً لأنّ مقاتلي ملك عدن كانوا في حالة الفوضى ، يقاتلونه كل الأوقات ويهاجمون أسوار المدينة ، ولذلك لم يقدموا له أي وسائل دفاع .

عندما رأى "دوم بايو" الأعداء يقاتلون في الخارج لم يكن الرجال داخل المدينة يرغبون في القتال أو توسيع الأسوار ، غادر ليلاً مع البرتغاليّين الذين معه ، وصعد على ظهر زورق كان هناك ليحمل الأخبار للأسطول الذي كان يتوقّع قدومه من الهند لتقديم العون والمساعدة لـ عدن .

حالما غادر "دوم بايو" عدن ، اتّجه إلى ساحل الحبشة ؛ لأنّه لم يكن

باستطاعته الإبحار في الساحل العربيّ بسبب الرياح الشّرقيّة ، أبحر على طول ساحل الحبشة بأسرع ما يستطيع حتى وصل إلى "جبل فيليز" "Mount Feliz" ومن هناك عبرَ باتّجاه الساحل العربي نحو "Irique" التي تبعد خمسين أو ستّين فرسخاً من عدن باتجاه "قشن" .

وجد هناك سفينتين في طريقهما من هرمز بقيادة "دوم مانويل دي ليما" ، وكان "اليكسوس دي كارفالهو" مبحراً عليهما ، حصل منه على معلومات بأن "دوم ألفارو" كان قادماً لتقديم المساعدة لـ عدن ، فعاد على طول الساحل ، وفي ميناء "Irique" تمّ إطلاعه من قبل بعض المسلمين من "قلهات" كانوا على صداقة ومودة مع البرتغاليّين بأن عدن تم الاستيلاء عليها بواسطة الأتراك في نفْس الليلة التي غادر هو فيها .

سمع نفْس الأخبار في "Verumia" ، كما وجد أخباراً في جزر "كاناكاني" بنفس المعنى عبر قوافل قادمة من عدن ، استولى أيضاً على "almadia" في البحر قدّموا له نفْس المعلومات والأخبار ، وسمع بعضاً من ذلك من حلفائنا وبعضها من السكّان المحليّين وبعضها من محادثات أجراها مع المسلمين الذي أسرهم .

وجد أن كل تلك الأخبار هي نفْسها ، وكل الأشخاص الذين سألهم أعطوه الأخبار التي تقول إن سبع سفن ملكيّة أخرى قد وصلت في عدن من السويس بالإضافة لثلاثة آلاف رجل عبر البرّ الرّئيسيّ .

ذهبت خمسة مراكب للمساعدة من "الشحر" ، واثنان من الزوارق الشراعيّة السريعة تحمل على ظهرها مائتين من الأتراك ، بينما كان "دوم بايو" ما يزال في عدن جاء اثنان من العرب إلى داخل المدينة في

عدن من السفن التركية ، ومنهما سمع أن كلّ سفن "الغاليوت" التي في السويس قد أعدّت وحالما تصبح جاهزة سوف تتحرّك في الحال إلى عدن ، هذا ما بدا له أنّه الوضع لأن ثلاثا وصلت ، ثم جاءت ثلاث أخرى ، ثم أربع ، وبعدها أربع سفن أخرى .

قدّم "دوم بايو" كل الأخبار التي بأعلى كتابة إلى "دوم ألفارو دي كاسترو" القائد الأعلى للأسطول في جزر "كاناكاي" حيث كان في انتظار الأسطول القادم من الهند مع خادم السفير لمعرفة أيّ أخبار أخرى .

ذهب المركب إلى "Verumai" ، وهناك سمع من الشيخ المحلّي الذي كانت معه أخبار من عدن أنّه ، وقبل ثمانية عشر يوماً من مغادرة الرجل من هناك ، أخبره أن عدن لم يتم الاستيلاء عليها بعد ، عندما سمع تلك الأخبار بعث "دوم ألفارو" لكل القباطنة والسادة الذين يبحرون في الأسطول وقدّم لهم بياناً عن كل تلك الأخبار وأطلعهم على الأوامر المحلية التي كان يحملها من الحاكم ، وقدّم كل منهم رأيه في الموضوع حتى يقوم بناء على آرائهم ، التي كانت تصب جميعها في خدمة سيدنا الملك ، بما يجب .

كانوا جميعهم متّفقين أنّه من الصحيح أن يكون القائد الأعلى في جزر "كاناكاني" مع الأسطول الذي جاء به ؛ لأن ذلك كان أفضل مكان تبقى فيه تلك السفن ، ومن هناك قام السفير الذي أتى من عدن وكان مبحراً على الأسطول ، بإرسال مركب شراعي سريع إلى (...) التي تبعد ثمانية فراسخ من الجزر في اتّجاه عدن .

ومن هناك بعث السفير أحد خدمه للشاطئ ليستعلم من بعض

الأقارب الذين يعيشون هناك عن الأخبار الأكيدة ، والتي يمكن الاعتماد عليها ، والتي وردت من البرّ الرئيسي بواسطة مركب مع سفيره في الجزر ، كما بعث بمركب آخر في اتّجاه عدن لمكان آخر حيث يوجد مسجد يقع في حدود عدن .

حيث للسفير أقارب ليحصل على معلومات قادمة من البرّ الرئيسي عبر رسالة من دوم "أنطونيو دي نورونها" الذي كان مبحراً على نفْس المركب ، ورسالة أخرى من قريبه التي يمكن أن تصل فقط للجزر عبر البرّ الرئيسي خلال سبعة أو ثمانية أيام وحتى بعد تسعة أو عشرة أيام .

في الجزر كان قارباً لسيّدنا الملك ينتظر ويراقب بطريقة جيّدة وتحت غطاء ، دون أن يلاحظ وقد ترك هناك عن البقية ، وأيضاً سفينة مؤن كانت في طريقها إلى الأسطول .

كانت هناك سفن أخرى مبحرة في الخلف ، وأخرى كان ينتظر أن تغادر "غوا" ، قد يصل في نفّس الوقت "دوم جواو دي أيتدا" ، فقد كان أمامهم في طريقه إلى عدن مع تلك السفن في مهمّة تتعلق به شخصياً ، لم يكن أمراً سديداً مع عدد قليل من الرجال وأسطول بهذا الحجم الصغير المكون من الزوارق والمراكب الشراعيّة أن يواصل التقدّم ؛ لأن عدن كانت قد تمّ الاستيلاء عليها في ذلك الوقت من قِبل الأتراك ، ولا توجد إمكانيّة في تقديم العون لها ، حيث هناك الكثير من السُّفن الضخمة والرجال المحاربين في المكان .

وقع "دوم ألفارو" هذا المكتوب هنا مع كلّ الضّباط والقباطنة والسّادة الذين سُئلوا عن هذا الأمر ، وقدموا وجهات نظرهم ، وكتبوا

ما هو مبيّن أعلاه ، في اليوم المذكور ، وفي الفترة التي كانت على هذه السفنية "ساو جواو" سفينة العلم .

"دوم ألفارو دي كاسترو"

"دوم بايو دي نورونها" ، "جورجي دا سيلفا" "Jorje da Silva" ،

"أنطونيو مونيز" ، "بيرو لوبيز دي سوزا" "Pero Lopez de Susa" ،

"أندريـــه دي أجـــويار" "Andre de Aguiyar" ، "بيدرو بوتيلهو" "Pedro Boutelho" .

وفي العام نفسه (١٥٤٨م)

صدر تقرير من "دوم ألفارو دي كاسترو" ، جزر "كاناكاني" ، (عدن) ، في العشرين من شهر مارس ، عام ١٥٤٨م ، عن الأوضاع في عدن : (٧٥)

في السّابع والعشرين من شهر مارس من هذه السّنة ، وصَل إلى جزر "كاناكاني" كلّ من "دوم أنطونيو دي كاسترو" الذي أبحر باتّجاه عدن ؛ ليستطلع الأخبار عن الاستيلاء على المدينة ، و"دوم جواو دي اتيدا" "D . Joao de Ataide" الذي جاء إلى خليج عدن قائداً لثلاثة زوارق ، و"اليكسو كارفالهو" الذي ذهب إلى "رأس أرار" (عرار) كمبعوث في مركب آخر .

جاءوا جميعاً بأخبار ، بأنّ عدن قد تمّ الاستيلاء عليها من قِبل الأتراك ، وأن هناك ستّ عشرة سفينة مختلفة ، كما من المتوقّع وصول أسطولٍ من السويس بناءً على المعلومات التي حصلوا عليها من السكان المحليّين .

(٧٥) رقم الوثيقة والهامش.

أفاد "دوم جواو دي أتاييدي" أنّه اشتبكَ مع سفينة تجاريّة ضخمة على مرأى من عدن ، ودفعّ بها إلى حاجز عدن ، خلال الاشتباك اشتعلت النيران في أحد الزّوارق التي كان يقودها تحت إمرة "جوميز دا سيلفا" "Gomez da Silva" ، واحترق معظم البحّارة والجنود الذين كانوا على متنه ، كان ذلك في نهاية اليوم وقبل فجر اليوم التالي ، ولم يكن يعلم أنّ الأتراك كانوا في عدن ، ودخل مستخدماً المجاديف .

كانت السُّفن بلا أعلام عندما اقترب من المدينة تحت نيران المدافع الثقيلة ونيران البنادق من داخل المدينة ، حيث خرجت أربع أو خمس سفن تحمل العديد من الجنود والمدافع ، وحالما أدركوا أنهم من الأتراك جدَّفوا باتّجاه الرياح وهربوا ، تلقّوا المزيد من المعلومات ، لم تُكتب هنا حتى لا يطول الحديث عنها .

رأى كلّ القباطنة والضّباط والسّادة في الأسطول أنّه من الأفضل لهم التوجّه نحو "قشن" بناءً على أوامر الحاكم المحلية ، وطبقاً لموافقتهم جميعاً وقّعوا هذا مع "دوم ألفارو" ، في تاريخ اليوم المذكور بأعلى .

"دوم ألفارو دي كاسترو" (....) ماريز "دوم أنطونيو دي نورونها" "دوارتي لاييت" "Duarte Layette" "بيرو لوبيز دي سوزا" "سيماو دي سوزا دي فاريا" "Simao de Susa de Varia" "فرانسيسكو دا كونها" "بلشيور ربيلو" "Belchior Rebello" "بيرو بالها" "Pero Palha" "دوم أنطونيو كوتينهو" "فيرناندو بيريز" "Fernando Perez" (.....) "زافير افونسو دي ميلو" "Xavier Afonso de Milo" "أندريه كاسترو" "Andre Castro" "مانويل دي لاسيردا بيريرا" "Manuel de La Cerda Perriera"

"دوم بـايــو دي نورونــها" (.....) "دي كــاستيلـــو برانكـــو" "de Castelo Branco" – "نونو دا جاما" "Nuno da Gama" "جوميز فيريرا فورتادو" "Gomez Ferriera Fortado" .

وفي العام نفسه (١٥٤٨م)

صدرت تعليمات من "دوم أنطونيو دي نورونها" ، جزر "كاناكاني" (عدن) ، في العشرين من شهر مارس ، عام ١٥٤٨م ، للتصرف في عدن : (٧٦)

سيّدي ، ما عليك القيام به حيث نتواجد الآن ، وفيما بعد :

فقرة : سنتوجّه أولاً إلى "باتيدا" والمسجد الذي يبعد أربعة فراسخ من عدن ، حيث يتواجد أقارب أبناء علي سليمان ، ستتعرّف منهم على ما يجري في عدن ، وإن صدقت ما أفادوك به اكتب لي رسالة وابعث بها للشاطئ مع خادم السفير ، وستطلب من أقرباء علي سليمان تأكيد إرسال رسالتك لطرفي في هذه الجزر بأسرع ما يمكن .

فقرة : عند القيام بذلك ، وللتأكّد أكثر ، ستذهب إلى عدن حتى تتمكّن من الوصول إلى الحاجز الشرقي قبل الفجر .

(٧٦) رقم الوثيقة والهامش.

إن لم تشاهد أيّ سفن عند طلوع النهار اذهب مباشرة للمدينة ، وحاول أن تعرف إن كانت تحت سيطرة الأتراك أم العرب ، عند القيام بذلك والتأكّد ممّا يمكن توقّعه أبحر نحو المسجد الذي ذكرته لك ، واكتب لي عما يحدث ، ثمّ اتّجه نحو تلك الجزر حيث أتواجد أنا حالياً .

إن كان الطقس لا يسمح ورأيت أنّك ستستغرق عدّة أيّام بحيث ترى أنك لن تستطيع إيجادي هناك ، اذهب عندها للساحل الآخر ، الحبشة ، وبعيداً عن "زيلع" ، حاول أن تلتقي ببعض المراكب القادمة من عدن حتى تستطلع منهم ما يجري هناك وما حدث للجنود والأتراك الذين هاجموها .

عليك الإبحار بطول الساحل أو العبور للساحل الآخر حتى لا يعرفوا إلى أين تتّجه أنت ، واقضِ بقيّة الوقت حتى الخامس والعشرين من شهر إبريل محاولاً معرفة أدَقّ الأخبار عن الأتراك التي ستأخذها معك إلى الهند .

فقرة : إذا وصلت إلى عدن ووجدت أنها تدعم العرب ، عندها سترسل رسالة إلى الملك بأنّني وصلت إلى هنا مع أسطول ضخم لدعمه ؛ حتى يقوم بإرسال رسول لطرفي عبر البرّ يأتي لي برسالتك ، ستحاول إخطاري عبر البحر بما يحدث .

فقرة : إن حدث أن رأيت أسطولاً تركيّاً بين عدن وهذا المكان ، ستتأكّد من إخطاري بذلك باكراً ، ستحاول ذلك وأنت في طريقك إلى هناك إن رأيت أنّه ضروريّ علمي بذلك .

فقرة : عند قيامك بتقصّي الأخبار عليك الحذر بعدم معرفة أيّ

شخص بشيء ؛ لأنّ البرتغاليّين إن سمعوا أنّ الأتراك في طريقهم للهند سيصدّقون الأمر ، لذلك عليك الحرص في عدم معرفتهم لأيّ أخبار تحصل عليها ، وحاول تزويدهم دائماً بأخبار جيّدة صحيحة كانت أم لا .

احذر من تصديق كلّ ما تتلقّاه من أخبار دون التّأكّد من صحّتها من مصدرين آخرين مختلفين .

فقرة : إن التقيت بـ "دوم جواو دي أتاييدي" تحت أيّ ظرف ، بين هنا وعدن ، فعليك الالتزام بعمل ما أمرت به أعلاه ، وأخبره أن ، عليه الحضور إلى هنا حيث أتواجد .

إن قابلته بعيداً عن ساحل الحبشة فأخبره نيابة عنّي بأن يذهب إلى الهند ؛ لأنّه من غير المعقول أن تظلّ الكثير من سفننا في البحار وهناك الكثير من الأخطار ، دون أن تكون لنا فيها مصلحة ، عليه الذهاب عبر "كوريا موريا" إن كان يستطيع الوصول إلى هناك قبل العشرين من شهر إبريل ، لأنّني حتى ذلك الوقت سأكون هنا ، وإن كان يودّ البقاء معك فلا بأس .

في كلّ ما عدا ذلك ، عليك الحكم بنفسك بما تراه ، وينطبق نفْس الشيء على كلّ ما قلته بأعلى ، لأنّ الظروف والطقس تغيّر أحياناً كلّ شيء .

العشرون من شهر مارس ، عام ١٥٤٨م .

"دوم أنطونيو" وقّع هنا لتوثيق تلك التعليمات .

"دوم أنطونيو نورونها" .

وفي العام نفسه (١٥٤٨م)
صـدرت أوامـر محـليـة لـ "أنطونيـو دي أجويار" "Antonio de Aguiyar" ، جزر "كاناكاني" ، (عدن) ، في الثّالث والعشرين من شهر مارس ، عام ١٥٤٨م ، ليتخذها وهو في طريقه إلـى عدن : (٧٧)

تلك هي أوامرك المحلية التي عليك تنفيذها وأنت على ظهر هذا المركب الشراعيّ الذي تبعث عليه إلى هرمز :

فقرة : حضرت من "غوا" على مركب شراعيّ محمّل بأدوية من أجل الجنود الذين عليهم البقاء في عدن ، والذين على أسطولي ، وبما أنني وجدت أن الأتراك قد استولوا على عدن بناءً على ما أطلعني به "دوم بايو" الذي كان موجوداً هناك ، فإنّني اعتبر أن خدمة سيدنا الملك أن تذهب إلى هرمز لبيع تلك البضائع الخاصّة بسموّه ، وأن تأخذ معك خمسين من الرجال للقلعة إلى هناك .

(٧٧) رقم الوثيقة والهامش.

فقرة : عند مغادرتك لهذا المكان ، ستتّجه إلى "قشن" ، حيث سترسو في مدخل يحميك من الرياح الشرقيّة ، وتبقى هناك حتى الخامس عشر من شهر إبريل ، حيث سأتمكّن من التواجد هناك ، وإن لم أستطع أن أكون هناك فعليك المغادرة ومواصلة رحلتك .

فقرة : خلال تواجدك هناك ، حاول أن تجد مشترين للبضائع منك ، وإن اشتروا وكانت الأسعار التي يعرضونها جيّدة وأفضل ممّا قد تجده في هرمز فقُم ببيع كلّ شيء أو أكثر ما تستطيع بيعه ، لأن ذلك سيكون أفضل حتى تتمكّن من الذهاب وقضاء الشتاء في الهند ، ومعك مبالغ ماليّة لتساعد في كلّ النّفقات الحالية ، وسيكون ذلك خدمة جليلة منك تؤدّيها لسيّدنا الملك ، وتستحقّ عليها مكافأة مجزية ، كما سيكافئك والدي على ذلك .

لهذا الغرض يستحسن أن تأخذ معك مترجماً من "دوم بايو" .

فقرة : خلال تواجدك في "قشن" ، ستواصل البحث عن أخبار عن البلاد وأوضاعها ، ومن هُم الجنود الذين هناك ، كما عليك بعدم السماح لرجالنا بالنّزول للشاطئ ، وألّا يعلم منك أحد بتحركاتي .

لكنك ستذيع بأنّني في طريقي للهند عبر "باتيدا" ، وحتى يتمّ تصديق ذلك ، فإنّك ستنشر هذه الإشاعة عبر البرتغاليّين ، وليس من خلال المسلمين .

فقرة : إن قابلك شقيق ملك "قشن" ، الذي يبحر معي ، عليك باستقباله ... ، وأوليه الكثير من الاهتمام والتكريم ، وإن أراد أن يكون معك فلا بأس بذلك .

فقرة : إن وصلت إلى هرمز فتأكّد من بيع الأدوية بأعلى سعر ، تأتي بعد ذلك إلى مسقط في يونيو حتى تتمكن من الوصول إلى الهند في بداية سبتمبر ، ستقوم بذلك لأنّه يصبّ في مصلحة سيّدنا الملك .

فقرة : إن مررت بطقس سيّئ في البحر عند مغادرتك لهذا المكان ، ولم تستطع التّقدّم أحياناً ، فعليك العودة إلى هناك .

فقرة : يرجى منك عدم صرف أيّ فلْس من المبالغ التي تتحصّل عليها من بيع البضائع والتي تحملها معك ، مهما كانت درجة حاجتك لذلك ، كما لن تسلّمها للوكيل التّجاري أو أيّ شخص آخر ، مهما طلب منك ذلك ، بل تأخذها للهند ، وتسلّمها "لروي غونسالفيس دي كامينهاس" كبير موظّفي الخزينة .

كتب في جزر "كاناكاني" اليوم ، الموافق الثّالث والعشرين من شهر مارس ، عام ١٥٤٨م .

****

أشهد أنّ "دوم ألفارو دي كاسترو" قد سلّمني الأوامر المحلية المذكورة أعلاه ، في اليوم المذكور بأعلاه .

"أندريه" (......... .)

وفي العام نفسه (١٥٤٨م)

صدرت أوامر محلية من "دوم ألفارو دي كاسترو" إلى "دوم جواو دي اتيدا" ، جزر "كاناكاني" ، في السّابع والعشرين من شهر مارس ، عام ١٥٤٨م ، للتوجه إلى عدن : [٧٨]

سيّدي ، عليك القيام بالتّالي :

فقرة : ستبقى هنا في جزر "كاناكاني" حتّى الثّالث من شهر إبريل ، من حيث تبعث بتحذيرات عن أيّ من سفننا القادمة من الهند ، أعتقد أنّ تواجدك هناك حتى ذلك الوقت يصبح كافياً ؛ لأنّني كنت هنا ، العشرة أيام التي ستقضيها من هذا الشهر والشهر التالي تصبح ستة عشر يوماً في مجموعها ، وأعتقد إن لم تأت السفينة خلال ذلك فهذا يعني أنها لم تبحر أبداً .

فقرة : عندما تصل السفينة التي تأتي بالمؤن ، ستضع على ظهرها

---

(٧٨) رقم الوثيقة والهامش.

المرشد الذي تركته أنا هناك معك ، حتى يتمكّن من أخذها إلى الهند ، وستتأكّد من نزولها للبحر أوّلاً ، وإن لم تأت تحت أيّ ظرف حينها – وهو أمر مستبعد ، وقد تمّ التأكيد لي هذا الصّباح أنها شوهدت تدور حول "بونتا دو مورو" – عليك عندها المغادرة ، وعلى بعد عشرين فرسخاً من هنا ، عليك الإبحار فقط أثناء النهار .

إن وجدتها عليك القيام بما ذكر أعلاه ، حيث على بعد ستّة فراسخ من هنا يوجد مكان به مياه صالحه للشرب جيّدة وكثيرة ، بطول هذا الساحل وأنت بصحبتك السفير فلن تكون بعيداً عن المكان الذي يمكن أن تقابلها فيه .

فقرة : عند قيامك بهذا ستتّجه نحو "رأس عرار" حيث سيأتي خادم السفير برسالة من البرتغاليّين للذهاب نحو مسجد رباع / ربيع "Robaes?" لأخذهم من هناك ، ستذهب لتلك المدينة ليلاً وتبحر ببطء حتى تتمكّن من إيجادهم ، وبعدها تأخذهم وتعود باتجاه "باتيدا" وأنت في طريقك للهند ، أذكّرك بأن ذلك سيكون أمراً جيّداً لك وأنت تصل إلى "غوا" حاملاً معك أولئك الجنود بأسرع ما يمكن .

فقرة : إن واجهتك أيّ مشكلة في مقابل أولئك الرجال ، لن تدع السفير يذهب ، لكن تعامل معه بطريقة يفهم منها أنّه تحت الاعتقال ... ، لكن قد يبدو أنه لا يهتم لذلك أو يذكره لك ، إن فشلت العملية تماماً فعليك إطلاق سراحه وتركه يذهب ، وهذا هو رأي من طلبت مشورته من بعض الرجال .

فقرة : أنت معك هدايا لملك عدن ، ستبعث بها له ، أو تسلّمها له إن أنت رأيته ، وأيضاً العقود التي عليه التوقيع عليها .

فقرة : عليك العناية بالمركب الذي عليه المؤن .

كتب اليوم ، السّابع والعشرين من شهر مارس ، عام ١٥٤٨م .

"دوم ألفارو دي كاسترو"

****

أؤكّد بأن "دوم ألفارو دي كاسترو" قد سلّمني الأوامر المحلية أعلاه ،

"دوم جواو دي أتاييدي"

وفي العام نفسه (١٥٤٨م)

صدر تقرير من "ألفارو دي كاسترو" إلـى نائب الملك في الهند ، عن محاولة الاستيلاء على قلعة "قشن" ، في الخامس من شهر إبريل ، عام ١٥٤٨م : [٧٩]

في الرابع من شهر إبريل ، عام ١٥٤٨م ، وصل "ألفارو دي كاسترو" كبير قادة بحر الهند ومعه الأسطول الذي غادر به الهند للذهاب لتقديم العون إلى عدن ، وصل إلى ميناء مدينة "قشن" ، ومن ثَمّ غيّر اتّجاهه إلى الهند عندما سمع أخباراً في جزر "كاناكاني" تفيد بأنّ عدن قد تمّ الاستيلاء عليها من قِبل الأتراك ، وأنّ هناك سفناً تجارية وسفناً أخرى من ميناء مدينة عدن ، عندها استدعى كلّ القباطنة والضّبّاط وسادة القوم الذين يبحرون معه في الأسطول .

وسألهم جميعاً إن كان من المستحسن أن ينزلوا في مدينة "قشن" للاستيلاء على القلعة من رجال الملك في "الشحر" ، ويعيدونها إلى

(٧٩) رقم الوثيقة والهامش.

ملك "قشن" الذي جاء من الهند مع الأسطول بناء على أوامر الحاكم ، إن كانت القلعة في وضع يسهل فيه الاستيلاء عليها ويقوموا بتسليمها له ، ورأى الجميع إمكانيّة ذلك ونصحوا به .

ذهب عندها إلى الشاطئ مع كل الرجال المقاتلين الذين معه حاملين السّلالم التي صنعوها من الصواري وساريات الخشب من الزوارق ، لأنّ الجميع استسهل إمكانيّة تسلّق القلعة ... ، إذًا ذهب بكلّ الرّجال داخل منتصف المدينة حتى وصلوا إلى القلعة ، وطلب من الضّبّاط وسادة القوم أن يطالعوها .

عندما رأينا الأسوار العالية وحولها جميعها خنادق بعمق رمح ، وحتى في حالة عدم وجود خنادق حولها فإنّ السلالم التي جاءوا بها لتسلّقها لم تكن لتصل سوى أكثر من نصف الأسوار ، ولم يكن هناك ما يستطيعون عمله ، وبما أنهم لم يأتوا بمدفعيّة لرشقها وهدمها ، ولأنّ تلك المدافع كانت من النّوع الذي يحمل على زوارق ومراكب .

في المدينة حيث وقفوا والسّلالم أمام القلعة ، اجتمع مرّة ثانية مع الضّبّاط والسّادة ، وتباحثوا فيما يجب عمله ؛ لأنّ السلالم لم تخدم الغرض المطلوب ، وليست معهم المدفعية التي يمكن أن تدك السّور ، بخلاف حقيقة أن عدد الرجال كان قليلاً .

بما أنّ لا أحد يستطيع إلحاق الضرر بهم ولا توجد إمكانيّة لتسلّق الجدران ولا عمل سلالم إضافيّة ، قرّروا العودة إلى ظهر السُّفن وعدم القيام بأيّ شيء يمكن أن يؤدّي إلى معركة ؛ لأنّ الأسطول كان في

البحر مع البحّارة فقط على ظهره ، وحيث لا شيء يمكن القيام به تجاه القلعة ، كان من الأفضل العودة إلى السُّفن والتّحرك نحو الهند .

عندما وصلوا لاتّفاق في هذا الرأي انسحب كبير القادة إلى الشاطئ ، وقضوا اللّيل على اليابسة لأنّ الظلام قد لف المكان ، صعد في الصّباح على ظهر السُّفن مع كلّ الرّجال .

بما أن كلّ ما ذكر أعلاه قد تمّ التّباحث فيه ، واتّفقوا عليه وقّعوا جميعاً مع كبير القادة .

كتب في ميناء "قشن" ، في الخامس من شهر إبريل ، عام ١٥٤٨م .

"ألفارو دي كاسترو"

"أنطونيو دي نورونها" "أنطونيو مونيز"

"دوم بايو دي نورونها" "بيرو لوبيز دي سوزا"

"فرانسيسكو دا جاما" "Francisco da Gama" .

وفي العام نفسه (١٥٤٨م)
بعث "دوم جواو دي كاسترو" رسالة إلى ابنه ، "غوا" ، في الثّامن والعشرين من شهر إبريل ، عام ١٥٤٨م : [٨٠]

أرجو أن تكون قد قمت برحلة جيّدة[أ] ، لقد حاربت في معركة نالت رضًى عظيماً عندي[ب] تستحقّ عليها تكريماً عظيماً .

(أ) موقع آخر : TT : Coleccao de Soa Lourenco, vol, iv, f 387. .

(١) كان "دوم ألفارو" في طريق العودة من رحلة إلى عدن ، وعلم أنّه لم يحقّق أيّ شيء في المدينة عند مدخل المضيق . عندما وصل إلى جزر "كاناكاني" قابلَ "دوم بياو دي نوروتها" الذي ترك عدن للأتراك قانعاً أنّه لن يستطيع مقاومتهم مع السّتّين من البرتغاليّين الذين كانوا معه … اتّجه "دوم ألفارو" بعد ذلك إلى ساحل الجزيرة العربيّة ، وبعد معركة طاحنة استولى على "قشن" من ملك "الشحر" ، وسلّمها إلى الملك المحلّيّ . عاد مباشرة بعد ذلك إلى "غوا" طبقاً لتعليمات والده .

(ب) لم يجد "جاسبار كوريا" أنّ هذا العمل يستحقّ الثّناء ، وذكر أن "دوم ألفارو" سمح لنفسه بأن ينحني لنصيحة النّبلاء الشّباب العدائيّين ، وأصرّ على هزيمة حصن "قشن" بقوّة السّلاح ، بينما كان من الممكن أن يستسلم له العدوّ تحت شروط مفيدة ، وأضاف أن الحاكم يعي خطأ ابنه الذي اقترفه كونه مسؤولاً عن وفاة العديد من الرّجال : "يعلم الحاكم تماماً أنّ كثيراً من الحَديث قد قبل وسلطت عليه اللّعنة في المدينة" .

---

(٨٠) رقم الوثيقة والهامش.

عند تسليمك هذه الرسالة توقّف في "بانجيم" (Panjim) ولا تبحر إلى الميناء ، حتى أبعث لك برسالة بأنّ استقبالك قد تمّ الإعداد له .

أبعث لك بدعوات الرّبّ ومباركته وصلواتي ودعائي الخاصّ .

السّبت ، الثّامن والعشرين من شهر إبريل ، عام ١٥٤٨م .

برفقتك "الأب الفرانسسكاني" ، وعندما تدخل المدينة فابعث به في المقدّمة حاملاً الصّليب .

"دوم جواو دي كاسترو"

هل كان الأمر حقيقة كذلك ؟ الجميع اعتبره كذلك ، إن كان "دوم جواو" قد وجد أنّ تصرّف ابنه خطأ لما كان أثنى عليه بهذه الطّريقة .

وفي العام نفسه (١٥٤٨م)

بعث "دوم جواو دي كاسترو" رسالة إلى ابنه ، "غوا" ، في الأوَّل من شهر مايو ، عام ١٥٤٨م ، بخصوص تحيته : (٨١)

ابني "دوم ألفارو" ، غداً – بمشيئة الله – عند السّاعة الثّانية ، ستغادر "بانجيم" للحضور إلى هنا ، حالما تصِل خارج المدينة عليك تحيّتها بإطلاق المدافع ، وسترد عليك المدينة بنفس التحيّة .

عندما ترسو عند الرصيف ، عليك بطلب أعضاء المجلس التشريعيّ الذين سيكونون في انتظارك هنا مع سكان المدينة ، ستستقبلهم وتعاملهم بمنتهى الكياسة والأدَب والاحترام ، عليك بعد ذلك بطلب كبار الحرفيّين ، وتحتضنهم الأربعة بكلّ عطف ومودّة .

حالما يتمّ ذلك تقوم بمخاطبة كلّ المواطنين بلطف بالغ وتحيّيهم بكلّ مودّة ؛ لأنّهم جميعاً أصدقاء عظماء لك ولي .

(٨١) رقم الوثيقة والهامش.

عندما تواصل سيرك في الموكب ، ستتقدّمك الإعلام ويرتفع علم المدينة قريباً منك .

لواؤك وشعارك سيتقدّم علم المدينة ؛ لأن حامل لوائي دائماً يمشي في الأمام ، وفقط اللّواء الملكيّ على سارية العلم هو الذي يكون في الأمام ، أثناء الطريق يمشي أعضاء المجلس التشريعيّ والسّادة دائماً بجانبك .

لكثرة الأعداد المحتشدة من الناس ، عليك التأكيد أنّه دائماً بالقرب منك في الأمام بينك وبين علم المدينة يمشي رفيقك الرّاهب ، حاملاً الصّليب الذي حمله خلال معركة "قشن"(أ) ؛ لأنّ ذلك كان السلاح الذي حقّقنا به النّصر بعون الرَّبّ والكثير من الأفضال والانتصارات .

قبل أن تأتي إليَّ ، عليك بالدّخول عند الكرسيّ المقدس ، وتقديم الشّكر للرّبّ ؛ للفضل الذي منحه لك ، ستعود عبر الطريق العامّ ، وتعبُر ساحة "سابايو"(ب) وتذهب مباشرة إلى الكاتدرائيّة ، ثمّ إلى كنيسة "القدّيس فرانسيس لتقديم الشّكر ، ثمّ تأتي لعندي بعد ذلك(ت) في القاعة حيث أكون في انتظارك .

(أ) قشن" ، يكتب "جاسبار كوريا" : "أقام الحاكم احتفالاً ضخماً لهذا النّصر ليخفي أسفه على ضياع عدن" .

(ب) كان ذلك اسم الميدان الكبير أمام القصر السّابق لـ"سابايو" (يوسف عادل خان) الّذي استولى منه "أفونسو دي البوكيرك" على "غوا" .

(ت) الحاكم ، يكتب ليوناردو نونيز ، "وصل من "باسين" في غاية المرض ، إلّا أن سعادته بوصول "دوم ألفارو" كانت طاغية ، حيث قام من سريرة لاستقباله والترحيب به في القاعة واحتضنه كفرد قريب من قلبه" .

بعد التّحدّث معي تطلب يد الأسقف لتقبّلها ، ثمّ تنزل من خيمة الهيكل (المعبد) ، وتحتضن أوّلاً القساوسة الأجلّاء الذين يجلسون هناك على مقعد طويل ، ثمّ بعدهم قضاة المحكمة العليا ، بعد أن تقوم بكلّ ذلك تعود إلى المعبد حيث أخبرك بما تفعل بعد ذلك .

أبعث لك بدعوات وبركات الرّبّ ، ومنّي من هنا .

"غوا" ، اليوم الأوّل من مايو ، ١٥٤٨م(أ) .

"دوم جواو دي كاسترو"

(أ) بعد شهر واحد وأسبوع من هذا التّاريخ توفّي "دوم جواو دي كاسترو" .

وفي العام نفسه (١٥٤٨م)

بعث "دييجو دا سيلفيرا" "Diego da Silviera" رسالة إلى الحاكم ، "كوتشين" ، في الأوّل من شهر يوليو ، عام ١٥٤٨م ، بخصوص احتلال "قشن" : [٨٢]

سيّدي ، بعد كتابتي لك ، وصل "فرانسيسكو فيرنانديز" "Francisco Fernandez" ، وأطلعني على أخبار عن "دوم ألفارو" ... ، وعلمت منه بتفاصيل أكثر عن الصّعوبات الجمّة ، والمخاطر التي واجهته عند استيلائه على "قشن" ، لكن "دوم ألفارو" ورث من سيادتك الكثير من الشجاعة والبسالة والإقدام ، وفي ذلك اليوم أيضاً علم أنّه إن دخل إلى عدن لكان استطاع الدفاع عنها ضدّ الأتراك .

سررت كثيراً بهذه الأخبار الرائعة ، وودت كثيراً أن أتمكّن من الذهاب إلى هناك على تلك الزّوارق ، لأعبِّر عن سعادتي ؛ لأن

---

(٨٢) رقم الوثيقة والهامش.

ذلك كــان سيكون عبر خدمات "دوم ألفارو" ، كي تستطيع استرداد السجين ، بالرّغم من أنّه لن يكون بمثل دهاء "جورجي كابرال" .

أقبِّل يدي سيادتك ، وليطيل الله في عمرك ، كما أتمنى لك ذلك .

"كوتشين" ، في الأوّل من شهر يوليو ، عام ١٥٤٨م .

"دييجو دا سيلفيرا"

وفي العام نفسه (١٥٤٨م)

كتب "دوم ألفارو دي كاسترو" يومياته عن رحلته إلى عدن ، حاجز "غوا" ، في العاشر من شهر يوليو ، عام ١٥٤٨م : [٨٣]

"بالرسولة ماريا" ، والمسيح ... ، قبل طلوع النهار من يوم الثلاثاء ، اليوم الأخير من شهر فبراير من العام ١٥٤٨م ، أبحرت من حاجز ميناء "باسين" برفقة ستّة من الزوارق وقارب آخر يحمل المؤن ، في طريقنا للاستيلاء على عدن .

عبر وساطتي سيمنحها سيدنا الملك إلى الملك هناك ، كان عليَّ إجراء اتفاقيّات ومعاهدات بأسلوب تبدو فيه لي أنها تصب في خدمة سموّه .

المسار :

أبحرنا طيلة هذا اليوم مع رياح شماليّة - شماليّة ، وأحياناً شماليّة

(٨٣) رقم الوثيقة والهامش.

غربيّة ، عند الغسق اختفت الجزيرة من أنظارنا ، وفي اللّيل استمرّت الرياح شماليّة – شماليّة غربيّة ، وكان طريقنا غرب الجنوب الغربيّ .

المسار :

في يوم الجمعة الأوّل من مارس : كانت الرياح شماليّة – شماليّة غربيّة ، أو شماليّة غربيّة ، وكان البحر هائجاً حيث واصلنا تحركنا غرباً عبر طريق جنوب غربيّ .

وجدت في الصباح أن زورقين مفقودين من مجموعتنا ، وكانت هي التي تحمل المؤن وأحد قوارب "ايستيفاو غوميز" .

من الساعة العاشرة خفّت الرياح وعاد البحر لهدوئه ، وبعد غروب الشمس أطلق أحد الزوارق نيرانه باتجاهه من الخلف مما جعلني أستدير ووجدت أن ذاك كان "دوم دييجو" ، وقد انشطر صاري مركبه وأيضاً عمود الصاري لـ "ألفارو بايز" "Alvaro Bays" .

كان "دوم دييجو" يحمل ... ... ، لذلك لم يتمكّن من البقاء بجانبي ، عليه ألقيت له بحبل ليبقى معنا حتى الصباح لأتمكّن من إيجاد حلّ للوضع .

لم نكن في حاجة للمال ... ، سوى فقط كيفيّة حضوره حتى أحافظ على مرافقته .

عند الليل هبّت رياح خفيفة من شمال الشمال الغربيّ ، والشمال الغربي ، أخذنا طريقنا باتّجاه الغرب والجنوب الغربيّ .

المسار :

الجمعة الثّاني من مارس : رياح هادئة شماليّة غربيّة ، والبحر هادئ ، كنّا نبحر غالباً باتّجاه الغرب من الجنوب الغربيّ .

أصدرتُ الأوامر من الصباح لـ"ألفارو باييز" لإحضار شراعه على سفينتي . . ، وقام "فرانسيسكو فيرنانديز" بإصلاحه ... ، وتمكّن المركب من البقاء معنا وبرفقتنا .

تحوّلت الرّياح عند منتصف النّهار إلى شماليّة ، وأصبحنا نسير في اتّجاه الغرب ، لكن عند الساعة الرابعة خفّت الرياح مرّة أخرى وتحوّلت إلى شماليّة غربيّة .

كان مسارنا باتّجاه الغرب والجنوب الغربيّ ناحية الشمال ، توقّفت الرياح تماماً عند اللّيل واستوى سطح البحر كبركة راكدة حتى أن الشراع كان يرفرف بضعف ورقّةٍ على الصاري ، أنزلنا مجاديفنا وبدأنا التجديف عند الساعة الحادية عشرة حتى الواحدة صباحاً ، عندما بدأت تهبّ رياح شماليّة غربيّة ... ، وتمكّنا عندها من تشكيل وإعداد الأشرعة وفردها ، واستمرّت الرياح حتى الصباح .

المسار :

السبت الثالث من مارس : في الساعة السابعة صباحاً تحوّلت الرياح الخفيفة إلى معتدلة شماليّة غربيّة ، وكنّا في مسار باتّجاه الغرب ، عند منتصف النهار أخذت كلّ....... ، حتى أنتظر أسطولي الذي كان بعيداً خلفنا .

ظللت منتظراً هكذا حتى هبوط الليل عندما سكنت الرياح ..... ، عن المسار الذي كانت تتبعه الزوارق ، عند منتصف الحراسة في أوّل الليل بدأت رياح خفيفة تهبّ ، وأصبحت أقوى في أثناء الليل .

سلكنا في معظم الطريق اتّجاه الغرب أو غرب الجنوب الغربيّ ، لكن أحياناً حتى باتّجاه جنوب الجنوب الغربيّ .

المسار :

الأحد الرابع من مارس : هبّت رياح هادئة شماليّة غربيّة ، تحوّلنا ناحية الغرب والجنوب الغربيّ ... ، وعند الساعة الواحدة بعد الظهر أصبحت الرياح الشماليّة خفيفة وهادئة وظلّت كذلك حتى هبوط الليل .

تحوّلنا ناحية الغرب من الجنوب الغربيّ ، كنت خلال كلّ ذلك الوقت أشاهد الأربعة ... ، لأنّنا كنّا في انتظار ثلاثة زوارق كانت تتهادى ببطء خلفنا ، تحوّلت الرياح أثناء الليل إلى شماليّة وشمال الشمال الغربيّ مع برودة ، وتمكّنا من استخدام كلّ الأشرعة وتَحرّكنا في مسار غرباً باتّجاه جنوب غرب .

المسار :

الاثنين الخامس من مارس : رياح خفيفة شمال الشمال الشرقيّ ، تَحرّكنا غرباً من الجنوب الغربيّ بقدْر ما استطاعت الزوارق ، ووجدت في الصباح أنّ مركب "بيرو بريتو" كان مفقوداً ، لا أدري لماذا؟ لأنّني كنت طوال الليل أشاهد الثلاثة .... ، عند الليل وفي نوبة الحراسة الأولى أصبحت الرّياح شماليّة غربيّة باردة .

تَحرّكنا باتّجاه الغرب من الجنوب الغربيّ حتى منتصف الليل ، عندما بدأت الرّياح تصبح أخفّ ، ثمّ ظلّت هادئة ومعتدلة .

المسار :

الثلاثاء السادس من مارس : كانت الرّياح خفيفة وهادئة شماليّة شرقيّة ، توجهنا نحو غرب الجنوب الغربيّ ، عند منتصف النهار كنت قد قطعت مائة وأربعة وستّين فرسخاً ، مبحِراً من "سوقطرة" ، بحلول بعد الظهر أنذرت الرياحُ بهطول الأمطار ، إلّا أنّنا ما زلنا قادرين على استعمال كلّ أشرعتنا .

تحوّلت الرياح بعد الغروب إلى شماليّة شرقيّة حاملة رياحاً باردة ، ممّا أجبرنا على نشْر أشرعتنا في وضع مناسب ، أثناء نوبة الحراسة الأولى كلّها كانت الرياح قويّة ، ومن ثَمّ خلال اللّيل تحوّلت إلى شرق شماليّة شرقيّة .

توجَّهنا ناحية غرب الجنوب الغربيّ ، وتحوّلت الرياح إلى شرقيّة عند نوبة حراسة الفجر .

المسار :

الأربعاء السابع من مارس : استمرّت الرياح باتّجاه شرق الشّمال الشرقيّ ، وتوجَّهنا ناحية الغرب من الجنوب الغربيّ للمسافة التي صمدت فيها الأشرعة ، ومن منتصف اليوم وصاعداً توقّفت الرياح وهدَأ البحر قليلاً .

تحوّلت الرياح عند الليل إلى شرق الشمال الشرقيّ وأصبحت باردة ،

اتّجهنا جنوباً ناحية جنوب غرب بقدْر ما استطاعت الأشرعة ، وأصدر الملّاح أوامره باتّباع مسار باتّجاه الجنوب الغربيّ .

المسار :

الخميس الثامن من مارس : وفي الثامنة صباحاً هبّت رياح جنوبية شرقية خفيفة ، مع سحُب قليلة في الأفق ، وفوق الشمس سحُب شبيهة بسحب الأمطار ، يبدو أنّ القمر تسبّب فيها ، أو لأننا بالقرب من اليابسة وظلّت معلّقة فوقها ، فجأة تغيّرت الرياح وتحوّلت إلى جنوبية شرقية ، كنت أخشى أن نكون على مقربة من الساحل الغربي ... ، لكنّها كانت بمثابة نسيم متغيّر الاتّجاه ؛ لأن الرياح بعد ذلك أصبحت هادئة ، في الساعة الخامسة استخدمنا مجاديفنا وجدّفنا حتى غروب الشمس .

أكملَ الربّان حتى ثمانين فرسخاً من الجزيرة على خطّ طول ثلاث عشرة ونصف ، "بيرو لوبيز" ... ، أتمّ ثلاثة وتسعين ، على خطّ طول ثلاث عشرة ونصف ، الربّان "بيرو دي تاتدي" أكمل مائة فرسخ على خطّ طول أربع عشرة تقريباً ، عندما كنّا نجدّف كان البحر هائجاً وفي رأيي أنّ ذلك كان بسبب التيّارات .

في بداية حراسة اللّيلة الأولى ، أصبحت الرياح الشرقية خفيفة وبعض ... ، بدأت تبطئ بينما تابعت الزوارق مسارها .

ازدادت قوّة الرياح ، لكنّنا واصلنا تحرُّكنا باتّجاه الغرب من الجنوب الغربي .

وفي العام نفسه (١٥٤٨م)

بعث "سباستياو لوبيز لوباتو" رسالة إلـى الحاكم ، هرمز ، في الثّامن عشر من شهر سبتمبر ، عام ١٥٤٨م ، فيها أخبار عن الأتراك في البصرة : [٨٤]

سيّدي ، أمرتني سيادتك أن أكتب لك عبر مسؤول الخزينة الرئيس ورسول آخر رحلَ قبله ، بما أنّه لم يأخذ الطريق المباشر لسيادتك ، وقد وصل إلى هذه القلعة في مايو ، وفي لحظة وصوله إلى هناك لم يقُم فقط بما هو ضروري في خدمة سيّدنا الملك ، لكنّه وفّر وقدّم ما أردت سيادتك أن تعرفه عن هذه المملكة والمدينة .

بذلَ الكثير وحاول بحرص واجتهاد عظيم أن يخدم ويرضى سيادتك في كلّ ما أمرت به وطلبته منه ، وأنا على يقين ، إذا سمح لي سيادتك ، أنني يمكن أن أتركه يقدّم تقريراً ويتجنّب الكتابة عن أشياء

(٨٤) رقم الوثيقة والهامش.

في هذا الخطاب الذي سيقدم فيه معلومات مفصَّلة لسيادتك يعلم بحقيقتها تماماً وسأساعد في ذلك وسيطلعك عليها .

أُدرك تماماً كيف تريد سيادتك - وبكثرة - وكنت حريصاً لتتعرّف عن حالة هذه المملكة وشؤونها ؛ حتى تستطيع تدبير كلّ شيء تحتاجه البلاد ، والمناسبة ، وبأفضل ما يصبّ في مصالح سيّدنا الملك ، والخير والحفاظ على هذه المملكة .

عليه ، واضعاً في الحسبان كل تلك الأشياء التي تجبرني على الكتابة لسيادتك ، وأنا لا أعتبر شؤون المملكة أمراً غير مهمّ ، وأعتبر أن المنصب واسم الملك هي مبرّرات كافية لأقدّم بياناً كاملاً وصحيحاً عنها .

سأنفّذ ما تأمرني به سيادتك بأفضل ما أستطيع وبقدر فهمي له ، الأمر الذي يجعلني أهتمّ أن تكون طبيعة ذلك العمل تغطي جميع نواحيه ، بحيث يوافق عليه جميع من ذكروا فيه .

سيّدي ، مرّت اثنتان وثلاثون سنة منذ وصولي إلى هذه المملكة وهذه المدينة ، برفقه "أفونسو دي البوكيرك" "Afonso de Albuquerque" (لترقد روحه في سلام بين يدي الرّبّ) ، كانت في ذلك الوقت غنيّة جدّاً ويعمّها الرخاء ، وخلال السنوات التي تلت ذلك عُدت مرّات عديدة إلى هناك مع الحكّام والأساطيل التي أبحرت إلى هناك .

كنت أيضاً هناك عندما قامت فيها الثورة والتمرّد ، ومنذ ذلك الحين وحتى الحاضر ، ظلّت كلّ شؤون هذه المملكة وهذه المدينة تسير نحو الهاوية ، ومن سيّئ إلى أسوأ ، لدرجة كبيرة ، وحتى الآن لا توجد نفس بشرية على هذه الجزيرة تؤكّد أن هذه مدينة هرمز!

عندما سألت الناس عمّن يعرف - بما إنّ فيهم كبار السّنّ والسّكان المحلّيّين لهذه البلاد - عن هذا الحال السيّئ وسوء الطالع ، أجابني البعض : "لماذا تسألنا عما تفعله أنت وما فعلته بنا؟"

أخبرني آخرون بأنّهم أسروا مع الممالك والمدن وسجنوا بطريقة غير قانونية بواسطة نبلاء أجانب وقوّات ، ولم يكن لهم خيار سوى الاستسلام والخضوع وتسليم ممتلكاتهم لها ... ، كما أن هناك العديد من الأسباب والأسّس عن سبب معاناة هذه المملكة وهذه المدينة والدمار العظيم الذي حلّ بها .

بدأَ كل ذلك بالتمرّد والثورة التي حلت بهذه المدينة قبل خمس وعشرين سنة ، الفترة التي عانى فيها المواطنون خسائر فادحة ، أنفق الملك أموالاً طائلة أكثر ممّا عنده ، ثمّ حدث بعد ذلك السجن المزدوج لريس شرف ، ونفيه لسنوات عديدة ، ووفاة ازدادت بصورة هائلة .

كبار الوزراء والحكام الذين تعاقبوا في حكم هذه المملكة كانوا دائماً يهتمّون ويركضون خلْف مصالحهم الخاصّة وأرباحهم الشخصية أكثر من المصلحة العامّة ؛ لأن ذلك كان ضرورياً لبقائهم في مناصبهم المستمرّة حتى الآن .

نتيجة لذلك عانت هذه المملكة وهذه المدينة ولا زالت تعاني الكثير من الصِّعاب والمشاكل ، وصلت الأمور لهذا المنحى حتى إن تجّارها المحلّيّين هجروها وهجرها الجميع ، حتى الأجانب الذين جاءوا إلى هنا في فترات سابقة وكانوا يطردون عندما يرتكبوا أيّة جرائم تجاه أسلوب الحكم وحاجة الناس للعدل ، بالرّغم من إنّه في سنوات مضت كان بعضاً من

هذا نتيجة للإساءات والتحقير الذي كان يمارس ضدّ التجّار وأشخاص آخرين ، إلّا أنّها كانت ذات طبيعة يمكن تحمّلها واعتبروا بقاءهم في البلاد أفضل من الهجرة منها ومغادرتها كما يفعلون في الوقت الحاضر .

لإقناع سيادتك بأكثر من ذلك ، فإن خواجا إبراهيم (الذي تلقّيت منه معلومات) هو الشخص الذي قال لرئيس موظّفي الخزينة أنه لو بقيّ في المدينة فبسبب أنها جزيرة ، لكنّها لو كانت على اليابسة لكان غادرها قبل عدّة سنوات ، بالرّغم من أنها موطنه ، وكان هذا على أساس غياب العدالة الذي وجده في كل مكان هنا وحتى هذا الوقت .

لكلّ ذلك ، ولمساوئ أخرى شوهدت في هذا الوقت القصير في هذه البلاد ، فإنك عندها ستدرك سيادتك ما يمكن أن يحدث في هذه المدينة ، لأن ذلك كافياً في تدمير أيّ مملكة ، حيث الملك صغير السّنّ والحاكم جشع وأجنبي يعتبر نفسه مخلصاً للدولة ومكرّساً نفسه لها لأنّه أنقذ تجارتها في أزمان مضت ، كما أنقذ "جوقورتا" "Jogorta" تجارة روما ، طبقاً للمثل الشعبي .

نتيجة لذلك ، فإن المملكة في حالة صار فيها الذين كانوا يخدمونها ويخشونها ويطيعونها يقومون الآن بعصيانها والتّحرّش بها ونهب أراضيها كما حدث لـ "جلفار" "Gulfar" و"موغستان" و"قلهات" قبل فترة وجيزة .

لا يوجد شخص يغيّر من مجريات هذا الذي يحدث لأنّها فيها كبار وزراء يدمّرون البلاد ويستعدون الناس ويحتقرونهم ولا يقومون بحراستهم أو الدفاع عنهم .

قد لا يكون ذلك كلّه خطأهم ؛ لأنّ البلاد يمكن الدّفاع عنها وحراستها فقط من أعدائها بالمال والرجال ، وهو الأمر الذي لا يوفّره كبار الوزراء أولئك ، في كلّ مكان ، وهذه المدينة ، وحول البلاد فإنّ كل الشّرّ والسّوء الذي عانت منه هذه المملكة وهذه المدينة ولا زالتا تُعانيان منه ، يبدو واضحاً وظاهراً للعيان يراه الجميع .

يمكن رؤيته بوضوح في الملك ، في منزله وما يقدَّم له من خدمة ، وبين عدد من الأشخاص الذين يشعرون بذلك في أعماقهم ، وهو أكثر وضوحاً وبرهاناً في الحزن والأسى الذي يجتاحهم ويغلفهم من الكلمات والتعابير التي لا يملكون الجرأة لقولها والإفصاح عمّا يعرفونه ويشعرون به ، حتى إن أكثر الناس تأثُّراً وتضرراً من ذلك لا يجرؤ على بثّ ما به وإعلانه لأيّ شخص ، فكيف لنا أن نعرف الحقيقة لنتمكن من إطلاع سيادتك بصدق على ما يحدث؟

على أيّة حال ، وسط كل تلك المخاوف وذلك الرعب الذي رآه وفهمه ، عمل رئيس موظفي الخزينة جاهداً مع بعض المواطنين بهذه المملكة ، الذين كانوا يوماً قادة هنا ، مُطلِعاً ومعلناً لهم بكلمات رقيقة رغبة سيادتك العظيمة في إعادة بناء هذه المدينة والمملكة .

أخبرهم بأن يضعوا في اعتبارهم ما يدينون به لملكهم وبلادهم والواجب المناط بهم شخصيّاً ، رَجاهم أن يطلعوا الملك ويقدّموا له رؤيتهم عما هو مطلوب لصالح هذه المملكة وإعادة بنائها ، وعن الأسباب التي أضاعتها .

بعد هذا أصبح واضحاً لهم أن يقوموا بإطلاع سيادتك عن كلّ شيء قالوه لكبير موظفي الخزينة الذي بعث لهذه المدينة لذلك الغرض .

بهذا ، وأشياء أخرى حدثت ، أجبر قلّة منهم للتحدّث معه ليلاً والبعض الآخر نهاراً وفي رأيي ... ، أطلعوه ، ليس بكلمات واضحة وصريحة ، بل بعبارات وبطريقة استطاع أن يفهمها جيّداً ، عما أحسوا به بخصوص الوسائل والسُّبل التي دمّرت وخرّبت هذه المملكة والمدينة حتى آلَت إلى الوضع الذي هي فيه .

كرّر كبير مراقبي الخزينة تلك الأشياء لسيادتك بنفس العبارات والأسلوب الذي عبّروا به عنها له ، وهو ما لم يَبْد سيّئاً لسيادتك ؛ لأنهم أحياناً تحدّثوا كالفلاسفة ، وآخرون كأشخاص مصابين لحِقَهم الأذى ، وفي مناسبة مثل أشخاص خائفين وجزعين وآخرين قلقين ، تلك الأشياء توجد بكثرة في هذا العِرق عنها في أيّ أشخاص آخرين ، بالرّغم من الأسى ، وجدوا أنفسهم معوزين وبؤساء مع بلد مدمَّر وملك لا يملك أي شيء سوى اسمه .

أحياناً يصبحوا مجبرين لقول كلمات بسبب الخوف يندموا بعدها على قولها ، واحد فقط تعاوَن غير الآخرين ، وبعث بوثائق لكبير موظفي الخزينة ، قمت أنا بكتابتها ووقّع عليها هو حتى يستطيع بواسطتها أن يطلع سيادتك بكل شيء قاله له الرجل من خلالي .

قال أولئك الرجال كلّ شيء رأوا أنّ عليهم فعله في إعادة بناء وإصلاح هذه المملكة والمدينة مبيّنين أن لم يكن ذلك قد تم بالطريقة

التي قالوها فإنهم سيتحمّلونها لأنهم اعتبروا أن ذلك أفضل للبقاء في البلاد بدلاً عن مغادرتها والهجرة منها كما يفعلون حالياً .

ليصبح سيادتك أكثر اقتناعاً بهذه المدينة ، فذلك بسبب أنها جزيرة ، ولو كانت أرضاً يابسة لكان غادرها منذ عدة سنوات بالرغم من أنها وطنه ، وهذا بسبب غياب العدالة التي رآها في كل مكان حتى الوقت الحالي .

لكل تلك الأسباب ، وشرور أخرى شوهدت في فترة قصيرة تلف هذا البلد ، سيرى سيادتك ما يمكن أن يحدث لهذه المدينة ، وهو ما يكفي لتدمير أي مملكة كون الملك شاباً يافعاً والحاكم رجل طامع وأجنبي يعتبر نفسه مخلصاً للدولة ، لأنه أنقذ تجارتها في أوقات ماضية ، مثلما أنقذ "جوقورتا" تجارة روما ، حسب إشاعة شعبية مشهورة .

نتيجة لذلك فإن المملكة في حالة صار الذين خدموها في السابق يخشونها ويطيعونها ، يعصونها الآن ويتحرشون بها وتسرق أراضيها كما حدث لـ "جلفار" ، "موغستان" و"قلهات" قبل فترة قصيرة .

لا يوجد أحد يغير الأشياء بسبب أن لهم كبار وزراء يدمرون البلاد ويضطهدون الناس ، ولا يقوموا بحراستهم والدفاع عنهم ، وقد لا تكون كل الأخطاء بسببهم لأن البلاد يمكنها فقط أن تحرس ويدافع عنها ضد أعدائها بالرجال والمال ، الشيء الذي لا يوفرونه لأولئك الكبار من الوزراء .

في كل مكان بهذه المدينة وحول البلاد ، فإن كل الشرور التي عانت منها هذه المملكة والمدينة واضحة وجلية ، بحيث يراها الجميع ويمكن ملاحظتها في الملك ، في منزله والخدمات ووسط العديد من

الناس الذين يحسون بذلك في أعماقهم ... ، وهي أكثر وضوحاً وبرهاناً في الحزن والأسى الذي يتملكهم ويدركونها من غير الكلمات والجدال الذي لا يجرؤون بقوله عما يعرفوا أن يحسوا به ، حتى إن كانوا من هم أكثر تأثراً بهذا لا يتجرؤون بذكره أو إعلانه لأي شخص ، فإين يمكن أن نكتشف حقيقة ذلك؟

حتى نتمكن من إطلاع سيادتك بطريقة صحيحة ، وسط تلك المخاوف والرهبة التي رآها وتفهمها ، عمل كبير موظفي الخزينة بجد مع بعض مواطني هذه المملكة الذين كانوا يوماً قادة وزعماء هنا ليوضح لك وأعلنه لهم عبر كلمات رائعة ونقاشات طيبة ، أن تلك رغبة سيادتك العظيمة في إعادة بناء هذه المدينة والمملكة .

أخبرهم بأن عليهم التفكير فيما يدينون به لملكهم والبلاد والتزامهم الشخصي ، التمس منهم إطلاع الملك وإبداء رؤيتهم عن كل ما بدا لهم أمراً مطلوباً لصالح هذه المملكة وإعادة بنائها ، وأيضاً الأسباب التي أدت إلى ضياعها ، بعد هذا بدا من الصحيح لهم أن يفيدوا ويعرفوا سيادتك بكل شيء أطلعوا عليه موظف الخزينة لأنه كان قد أرسل لهذه المدينة لذلك الغرض .

لن يطول الأمر حتى يكون كل شيء قد ضاع ، لن أقدّم بياناً مفصلاً عن تلك المسائل لسيادتك لأن مسؤول الخزينة يقوم بذلك ، ويحتوي تقريره الكثير عن الموجودات ، الموضوع الذي يتعلق بها جميعاً هو طلب العدالة من سيادتك ، لأنك بدون ذلك لا يمكن حكم وإدارة أي بلد أو مملكة والاعتماد عليها أو إعادة بنائها ، وحتى لا ينتهي أمرها أو

تدمر ، فقد طلبوا من سيادتك أن تجدد الإدارة والحكومة السابقة لهذه المملكة التي بدأت وتطورت وأصبحت قوة ودولة عظيمة والتي كانت قد ضاعت نتيجة للجرائم وبسبب حكامها المستبدين الطغاة .

سيّدي ، بعد أيام قليلة من وصول مسؤول الخزينة لهذه المدينة ، وصلت رسائل من ملك "لار" ، لا أدري أكانت مزوّره أم صحيحة ، وفيها أطلع ملك هرمز والقائد وكبير الوزراء أن شاه "طهماسب" الذي هو أحد أتباعه قدّم له تعليمات في حالة عدم تسليم الملك لخمسمائة وأربعين "ليكوساً" لأحد سفرائه بُعث لهذا الغرض ، والذي يدّعي أنه يدين بها له – من رسوم وجزية "pareas" لمؤن من سنوات سابقة التي تلتزم هذه المملكة بسدادها كل سنة – فإنه سيهاجم هذه المملكة في الحال دون تأخير ، وأن عليهم أداء ذلك المبلغ له .

أضاف أيضاً في رسائله أنّ عليهم الرّدّ عليه في الحال لأنّ سفير الشّاه ، الذي كان معه أصرّ على عدم تأخير هذا الطلب الذي أمر به الشّاه ، والذي سلّمه للقائد ومسؤول الخزينة وكبير الوزراء وأحد المسلمين الهامّين وعدداً من الأشخاص ، ممن لهم تجربة واسعة عنه .

اتّفق الجميع على الرّدّ لملك "لار" بأن هذه المملكة لا تدين بأيّ "pareas" للشاه من سنوات مضت لأنها قد سدّدت له كل شيء ، الأمر الذي يمكن معرفته من الإيصالات التي قدّمها أمين صندوق هذه المملكة ، وإذا أراد الشاه استخدام هذه الذريعة ليضع هذه المملكة تحت الإكراه والضّغط لأمر ليست هي مدينة به له ، ولم تكن حتى تحت التزام بذلك تجاهه .

فقد كانت جاهزة لكل المصاعب التي اعترضت طريقها ، وهي على استعداد للدفاع عن نفسها بالسلاح طالما كانت قادرة ضدّ كلّ من يطالب بأسلوب غير صحيح أن يستردّ مالاً لا تدين به لأحد ، وأنه ملك هرمز كان يكتب للشاه عن هذا الأمر .

كانت تلك هي الإجابة التي سلمت لملك "لار" .

بدا مناسباً أن يتمّ إخطار الوكيل التجاري بطريقة سرّيّة من قِبل المسلمين أنه كانت هناك نيّة أو توقّع بأن يقوم ملك "لار" بمهاجمة هذه المملكة ، فعلى القائد وكبير الوزراء أن ينتقموا منه وكلّ التّجّار الفُرس ، ويصادروا بضائعهم لأن الشاه ، دون وجه حقّ وبلا سبب ، أصدر أوامره باستخدام القوّة ضدّ هذه المملكة ، حيث كانت كل شؤونه تلقى الاحترام والتقدير ويدافع عنها .

كما كان يعلم ويشاهد من الطريقة التي يعامل بها ، كان مفروضاً أن يطلع الشاه على ذلك ، طالما أنه أمره بالقدوم إلى هذه المدينة ، حتى لا يترتّب أيّ ضرر من هذه المسألة إذا رفع له ذلك في تقرير ، ويدعي هو أنه كتب بهذا الوضع للشاه .

احتفظ ملك "لار" بذلك الرّدّ حتى نهاية أغسطس ، عندما كتب مرّة أخرى وكرّر نفس القصّة على الجزية "pareas" التي للشاه ، من المواد والأساليب التي تعكسها تلك الأشياء وما ترتّب عليها أن هناك شكّاً كبيراً بين المسيحيّين والمسلمين أن معظمها كاذبة وأنها فبركت هنا أو تمّ تدبيرها في "لار" .

أنا لا أؤكّد ولا أنكر هذا ، لأنني من رأي أولئك الذي يؤمنون بأن جزءاً منه كاذب وغير صحيح .

أجاب كبير الوزراء والقائد مرّة أخرى ملك "لار" قائلين إنهما يكتبان الآن لسيادتك مقدّمين لك بياناً عما يحدث في هذا الأمر حتى يمكن لسيادتك أن تتطلع عليه وتبدي فيه ما تراه مناسباً ، وفي مثل هذا الأمر كان المناسب والضروري ، حتى هذه اللحظة ، أن تلك الأمور يجب أن تظل على ما هي عليه .

وصلت بعد أيام قليلة رسائل من "لار" لكبير الوزراء كتب له فيها أصدقاؤه الذين هناك بأن الشّاه "طهماسب" قد منع بمرسوم سفر الخيول من فارس إلى هذه المدينة ، وانتشرت تلك الأخبار في هذه البلاد لفترة طويلة ، ورسائل أخرى رافقت تلك أطلعته بأن الشاه قد أصدر تعليمات يقول فيها إذا أعطته هذه المدينة مائتين "ليكوس" فسيسمح عندها بأن تأتي الخيول إلى هنا .

يستخدم المسلمون كل تلك الحيل والوسائل (بل أكثر من ذلك) عندما يشعرون بألا أحد يقوم بالتدقيق أو المراجعة أو معارضة ما يفعلونه ، يبدو لي أن السكان المحلّيّين بهذه المملكة يتفقون معه كما يقولون (لا فائدة من جلد حصان ميت) ، وهذا ما بدا لي بأن الشاه يريد التصرّف على نفس النحو .

سيّدي ، يدّعي شاه "طهماسب" أنّه ملك وسيّد هذه المملكة ، وهو يستخدم هذا النّصّ والأسلوب في الرسائل التي يكتبها لملك هرمز وكبير الوزراء ، يكتب أيضا للقائد بنفس الصيغة أيّ مسلم يدعي

حضوره إلى هنا من بلاطه يبدي نفس الغرور والصلف ، ويشمل هذا بعض الذين يأتون من "بالاغاث" "Balagat" ساحل الهند ، بسبب ما يعرفونه ويشاهدونه لحالة هذه المملكة فإن أقلّ ما يقومون به هو إحضار ضمانات ورسائل للشاه من عادل خان وسادة آخرين ، الأقمشة والبضائع التي يأتون بها تبعث مع أولئك الذين يخدمون ومن أصدقائه ، يأخذون هذا الأمر بمأخذ الجدّ .

جميعهم يؤمنون بذلك الرأي حتى يتجنّبوا سداد المستحقّات التي لمكتب الجمارك ، والبعض الذي يأتي من فارس يقومون بذلك مع الاختلاف بسبب أن الشاه له وكيل تجاري هنا ، فيبدون جرأة كبيرة في ممارسة تلك الأعمال طالما أنه يساعدهم ويعاملهم بأفضليّة ... ، وإنه بعد وصوله لهذه المدينة خلال "المونسون" الأخير تلقّى مبلغاً كبيراً كما اطلعت سيادتك .

وصل أحد المسلمين إلى هنا ، وقال إنه في طريقه كسفير للشاه لملك "Vijayanajar" وإلى عادل خان ، وبهذا العذر لم يسدّد أي رسوم عن بالتّين من الحرير .

مسلم آخر جاء "بالاغاث" ومعه كمّيّة كبيرة من الأقمشة وحاول تجنب أداء الرسوم عليها ، وقال أنه جاء من سعدي جهان "Sadi Jahan" وهو شخص مهمّ قريب من الشاه وأحد الذين لهم حظوة عنده وعند حاكمه ... ، وأضاف أن عادل خان قد بعثه بتلك الملابس ، عندما لبسها رئيس الخزينة تصبّب عرقاً أكثر ممّا كان يحس به في الصيف شديد الحرارة والرطوبة .

أكتب تلك التفاصيل لسيادتك ؛ لأنني أعتقد أن كل شيء تأصل ونشأ من حقيقة ، إن الجميع يرى ويعلم أن هذه المملكة ليست لها أرجلاً تقِف عليها ولا أيد تحميها ولا رأساً يقضي ويحكم فيها ، لسيادتك هناك ريس شرف وهو يدرك تماماً أن تلك الأشياء لم تحدث في هذه المملكة في أوقات ماضية ، ستتعرف سيادتك عن تلك المسائل وغيرها المتعلقة بهذه المملكة من رئيس موظفي الخزينة لأنه يتواجد هناك وستعرف الكثير عنها منه .

سيدي ، هناك الكثير ليقال عن شؤون هذه المملكة ، لكن القليل ليكتب ، لذلك سأطلع مرة أخرى كبير موظفي الخزينة ، ولتغفر لي سيادتك ذلك ، أعتقد أن هذه هي اللحظة والفرصة لعمل كل شيء يبدو صحيحاً من أجل هذه البلاد ، من أجلك ولأجل خدمة الرّبّ وسيّدنا الملك ، عندما يرى أصحاب هذه البلاد أنفسهم محاطين بالكثير من المبادرات والأحاديث فأنهم يبدون رغبة أكيدة بأن يحكموا عبر عدالة سموّه .

نسأل الرّبّ العظيم أن يحدث ذلك في فترة وجود سيادتك لتحظى بالثناء وليرفع شأنك وقدرك .

سيدي ، لا يستطيع المرء أن يفهم أو يتقبل الأعمال التي يقوم بها المسلمون ، لأنهم لا يوثق فيهم وغير صادقين ، بينما أكتب هذه الرسالة وصلت أخبار لهذه المدينة بأن شخصاً معيّناً يدعى ريس علي علو ، تابع لملك "لار" قد استولى على قلعة "لاستان" ، التي تعود لهذه المملكة

وتقع في أراضي الملك "لار" ، عن طريق خيانة أولئك الذين بالداخل الذين سلموها له ، من ناحية يعتقد أن ملك "لار" سلمها له .

ومن ناحية أخرى يوجد بعض الشك ، وعلى أية حال بدا الأمر صحيحاً للقائد ولكبير موظفي الخزينة وكبير الوزراء أنهم ينفذوا الانتقام والثأر على كل شيء في هذه المدينة التي اكتشف أنها تعود بملكيتها لملك "لار" ، وقد تم ذلك دون تأخير .

بعض التجار من "لار" وقد حفظت بضائعهم في هذه القلعة حتى تعرف ما هي إجابة ملك "لار" عما كتب له عن هذا الأمر ، وجد في هذه المدينة مستحقّات قدرها ألفان ومائة "باردواس" و"tangas" لملك "لار" ، وهي موجودة في حوزتي مع أكثر من سبعة أو ثمانية "ليكوس" تعود لاثنين من التجّار وأيضاً ثلاثة وعشرين "باردواساً" من أقمشة كانت في طريقها إلى "لار" من الشاطئ المقابل ، يقولون إن تلك الأشياء تعود للملك ، وستظلّ كذلك حتى يتم التأكد من أين جاءت .

تحوّلت الأخبار القادمة من الزكية "zequia" بطريقة مختلفة جدّاً عن التي أطلعت سيادتك عليها خلال فصل "المونسون" الأخير ، فلقد تمسّك الأتراك بالقلعة منذ استيلائهم عليها ، وقام قائد بغداد ببناء العديد من السفن ذات الستّة مجاديف في كل جانب ، وأخذ الرجال بمهاجمة جزر "جيزارا" Jizaria" و"الزكية" "zequia" .

أحد البرتغاليّين ويهودي جاءا من تركيا قبل شهرين وقدّموا هذه الأخبار والآن بعض البرتغاليّين وصلوا في البصرة يقولون إنّ عظيم

التّرك أمر قائد بغداد تجنّب الذّهاب إلى هناك ، وألّا يقوم بأيّ شيء حتى يتلقّى رسالة منه ، وتقدّم تلك المسائل المزيد من الأدلّة .

يخشى ملك البصرة كثيراً أولئك القوم ويبذل جهده مع الملوك المجاورين ليعقد معهم اتّفاقاً ووجّهوه لطرد أولئك الأشرار من البلاد ، من الذين ليس لهم سوى القليل من الإيمان ولا يلتزمون بالحق .

حالياً فإن الوضع يبقى كما هو بناءً على ما يقوله القادمون من هناك ، إن كان الأتراك سيواصلون التقدّم بناء على الترتيبات التي يعدونها الآن ، فالأمر واضح بأنهم سيتسبّبون في مشاكل في هذا المضيق .

كان المحصول وفيراً هذه السنة وحصد كمّاً هائلاً من الفلفل في هذه البلاد ، وحتى على ساحل الجزيرة العربية ، حيث لم تكن تنمو إطلاقاً ، حالما تلقى كبير موظفي الخزينة خبراً بذلك بعث بمأمور التنفيذ إلى هناك ، وعندما وصل لم يجد سوى اثنين "bahars" منها من كل الكمية التي كانت في البلاد .

قد حاول جهده ليتمكن من الحصول عليها مما حدا به للبحث عن ملجأ له في ميناء البصرة ... ، وقد أفيد أنه اكتشف كمّيّة منها هناك في تلك المدينة ، حصل على اثنين أو ثلاثة "bahars" دون أن يعلم أحد باستثناء كمّيّة صغيرة وجدها كبير موظفي الخزينة في منزله في صندوق تحفظ فيه الملابس ، والتي قام ابن أخيه بإخفائها سرّاً للرجل الذي كانت تخصّه .

أصدر مفتّش التنفيذ أوامر بأن يلقى القبض عليه ، لكن بما أنه هرب لم يتم القبض عليه ، ولا أعرف شخصياً أحداً قط عوقب لمثل هذا العمل الخبيث الذي حدث قبل عدة سنوات .

علمت الآن أنه خلال فصل "المونسون" الأخير ، أن "bahars" الفلفل الذي منح لي كان قد أُخذ من رجل في هذه المدينة ، ذهب في السنة الماضية من هنا إلى الهند حاملاً تعويضاً بأن يعاد له كل الفلفل الذي أخذ منه ، ويتم تشجيع الرجال على التصرف بخبث كما يحلو لهم ودون خوف أو حياء عبر تلك الأعمال .

سيدي ، يبدو لي الأمر كما قال القدماء بأن الاجتهاد والعمل الجاد ليس كافياً للكثير من الأشياء ، لقد بذل جهداً كبيراً للحصول على الكبريت الذي طلبته سيادتك لكن فقط تم الحصول على ثلاثة ونصف "bahara" منه و"faracola" خالية من نبات العلف .

الكبريت القادم من "لار" جيد وممتاز كما سيرى سيادتك من هذه العينة التي أبعث بها إليك ، أضرّت تجارة الكبريت هذه بـ"لار" كما أخبرت سيادتك ، وحالياً يبدو الأمر أسوأ لما أفيد بأن ملك "لار" لن يقبل أن يؤتي بها من هناك لهذه المدينة ، إن كان ليوفّر له مزيداً من الدخل فله ما أراد .

إذا كان الوضع الحالي بعد الاستيلاء على قلعة "لاستان" تم الاتفاق عليه بين الملك وملك "لار" ويغادر هذا الكبريت في ستّة وخمسين جوالاً من أجود أنواع القنب (جوت) فعلى سيادتك أن تتأكد من فحصها وفتحها لتعرف إن كانت للكبريت الذي يأتي من هنا ؛ لأن الجشع يتغلب على الرجال ليفعلوا ما ليس عليهم القيام به طالما أن كلاً منهم يعمل من تلقاء نفسه وينفي ارتكابه لأي خطأ أو ذنب يقوم هو بارتكابه في الحقيقة .

الريش الذي طلبت سيادتك بشرائه وإرساله لك لم نتمكن من إيجاده في هذه المدينة ، بعثت بباله من النسيج القطني الرقيق "موسلين" إلى البصرة حتى يقوموا بإحضاره ، وسأقوم بمتابعته حتى يصل .

سيّدي ، قام كبير موظفي الخزينة بالعمل على أن يصل لسيادتك ، وقام بذلك بالطريقة والأسلوب الذي طلبته ، وأوصيت به ، وسيقوم هو بكل كفاءة أن كان ذلك ممكناً ، لأنه يود خدمة سيادتك ، وهو يبدي كل الجهد وأفضل ما يمكن في هذه الأمور وكل ما تأمره به ، في خدمة سيدنا الملك ، وعليك أن تحمد الله أنّ لك خداماً وأصدقاء يقومون بما تطلب عبر مصداقيّتهم وإيمانهم العميق فلا تقلق أبداً ، ويمكنك الاعتماد عليهم دون أن تكون لهم اهتمامات خاصّة أو مصالح .

بسبب معاصينا من النادر وجوده في الوقت الحاضر ، وفي أي من منازل عائلات الملوك والأمراء أو الحاكم ، وبما أن لسيادتك واحدة من تلك فلتلجأ للرّبّ حتى يمنحك الأصدقاء الجيّدين والخدم المخلصين الذين يمكن الوثوق بهم ؛ لأنك تحتاجهم بشدة حتى تحظى بهدوء العقل والتفكير .

بخصوص ما أمرتني به سيادتك ، ويتعلق بالانسجام والصداقة والاعتبار الذي عليَّ أن أتعامل به مع كبير موظفي الخزينة ، فسيطلعك كيف وجدني من خلال تعامله معي وعن اعتبارات أخرى تاركاً جانباً أشياء أخرى مما أمر بها سيادتك ، وأنه من المعقول القيام بذلك مما يجعلني أنا من أرغب في صداقته بما أنه وجدني أستحقّ صداقته عندما منحتها لي .

قام بذلك لأنه هو مَنْ هو وأنا مَنْ أنا الذي فضلني واستحسن صداقتي كما سيعلم سيادتك منه .

تفيدني سيادتك بأنك منزعج مَنْ المشاكل التي بالهند وأنك تتألم كثيراً من طلبات الرجال أصحاب الرتب العليا ، عظيمة هي تلك المشاكل ومرهقة حتى إنني أعتقد بشدّة أن سيادتك قد انزعج بسببها أكثر مما يقرّ به أو يدركه أحد .

يعلم الله إن كان العديد من الحكام السابقين قد أحس بتلك الطريقة ، لأنهم كانوا فعلوا ، ولما كان سموك تأثّر بمثل تلك المشاكل الآن ، ولم تكن أصبحت تثقل الكاهل كما هي حالياً ، صحيح ما يقوله المثل : إن المصائب تحيق بالطيبين وهي قدرهم ونصيبهم .

إن كنت سيادتك قد انزعجت منه ، وهو الأمر الهامّ لكل من هُم تحت مسؤوليتك ، ما الذي سيحدث للدولة وسلطة سيدنا الملك في تلك الأنحاء التي تعود للمدينة ولنا جميعاً ، نحن الذين نعيش هنا ، إن لم يكن سيادتك تأثر وانزعج منها بهذه الطريقة؟

إنّ الرَّبّ يختار ذلك الذي يدافع ويحمي قومه ، بما أنه اختار سيادتك ليحرسنا ويدافع عنا في هذه المنطقة ، نسأله أن يكون معينك والمدافع عنك وبذراعه القويّة ويده المنتصرة أن يساعدك في كل ما تقوم به ، آمين .

تخبرني سيادتك بأنك تصبح يوماً بعد يوم وساعة بعد ساعة أكثر فقراً وعوزاً ، أجيبك بعبارات مماثلة لأنه كل شيء أملكه يأتي من قبلك ، وأذكر أنني سمعت إبّان العصر الذهبي ، من أقوال سليمان عليه السّلام : إن الاسم الجيّد خير من كنز عظيم .

هذا أمر لا يمكن إنكاره ، عليه ، فإنني أثمّن كثيراً الاسم والسمعة التي يتمتع بها سيادتك بين كل الأعراق في كل تلك الأنحاء عن كل كنوز العالم ، من ناحية ثانية ، كم مدى مصداقيّة أن الخير والفضيلة هما بلا جزاء وتعويض ، لعل الله الذي يكافئ الجميع ، وهو المكافئ والمعطي ، يكافئ سيادتك ويعوّضك عن أعمالك الشريفة ، وهو يجزي عن الخير ، أثِق فيه وعلى يقين أنه سيفعل ذلك ، لأن الله لا يترك عبده الطيب ، أو لم يتلقّ المجرم عقابه؟ كل ذلك يتم برحمة وعطف لأنه الرّبّ يعدل في تلك الأمور أكثر ممّا يستخدم القسوة والشِّدّة .

بما أنك ذكرت سيادتك قانون الفقر الذي عشت أنا تحت وصاياه ومبادئه لعدّة سنوات ، فتأكد أنني أفقر رجل في هذه المدينة ليس من باب عاداتي وآرائي أو بسبب صرفي للأموال المتوالي ، لكن يبدو أن وضعي لم يفهم مطلقاً .

أرجو من الله أن تتحسّن وتتغير للنية الحسنة بواسطتك ، وبرغبة سيادتك أن تكرمني وتحسن إليّ كما تفعل من كل شيء ومثلما فعلت سابقاً ، أتجرّأ وأتوسل من سيادتك أن تذكرني في رسائلك وتلفت انتباه سيدنا الملك لي بما تراه مناسباً .

بعد ثلاث وثلاثين سنة من الأعمال والتعرّض للمخاطر الجمّة في تلك المناطق ، ويشهد الله على ذلك ، فإنني لا أقترح أي شي لسيادتك عما أطلبه ؛ لأنه لا حياة من عمر الإنسان تصل لنهاية ما هو متوفر .

أقسِم لسيادتك وأتجرأ بالقول إنني سأخدم سموّه جيّداً في كل عمل يوكل إليّ ، لينعم عليَّ الرّبّ بالراحة وأن يعين بناتي ، ويمنحني

الراحة والسكينة في شيخوختي ، وحتى أتلقّى بكل كرامة ما أحتاجه في كل يوم ، لا توجد أي مسؤولية في الهند لا أقبل بتوليها لأنهم يحملون علامة الأعمال التي يلتزمون بها .

أنا أضع نفسي تحت سيادتك لأن أفضالك تتطلب مني القيام بذلك ، ليمنحك الرّبّ الجزاء لنواياك العظيمة والرائعة في أن تقدّم لي كل إحسان وفضل .

بما إنني عاجز عن ردّ الجميل لسيادتك عن الأفضال والتشريف الذي أدّيته وما تؤدّيه لي ، أو على الأقل لأرضي نفسي عبر كلمات أمينة وصادقة أكتبها على هذه الورقة ، اعترافاً بالواجب الذي أدين لك به ، وعن كل شؤونك ، فإنني أعلن تكريسي وإخلاصي لها ، وسأبقى خلال حياتي الباقية أعمل وأخدم بإخلاص كصديق وخادم أمين في كل شيء أقدر عليه .

أقول كصديق ، لأنه بعدم الصداقة الحقيقة لن تتحقق الأعمال الجيدة ، وأتضرّع إلى الله بحياة طويلة لسيادتك وسعادة عظيمة .

أسأل الله أن يطيل عمري لأراك تتمتع بذلك ، وأتمكّن من إظهار حبّي وخدمة شؤون سيادتك ، وما أشعر به في قلبي من الامتنان لكل المكرمات والإحسان الذي قدّمته لي .

ليكن الرّبّ في جانبك ويرشدك في كل أعمالك ... ، أقبّل يدي سيادتك .

***

"جواو جونسالفيس" "Joao Goncalves" ، خادم سيادتك كان في "جلفار" في الوقت الذي كان يقوم فيه العرب بنهبها سرق كل شيء منه وأصبح مديناً بأكثر مما أخذ منه ، جاء إلى هنا وقمت بما استطعت تجاهه ولآخرين في خدمة سيادتك ، بالرغم من أنه لم يكن بالكثير الذي وددت أن أقوم به لو كان ذلك ممكناً ، قدّم كبير الوزراء "لجواو جونسالفيس" مائة وخمسين "azares" بسبب السرقة والنهب الذي حدث له في "جلفار" ، حيث كان شقيقه كبير الوزراء هناك لأنه كان على علاقة وصلة بسيادتك .

من هرمز ، في الثّامن عشر من شهر سبتمبر ، عام ١٥٤٦م .

***

سيّدي ، "فرانسيسكو ماديرا" "Francisco Madera" من دار "دونا فايولانتي دي تافورا" "Dona Violante de Tavora" ، والذي تحترمه سيادتك وتقدّره كما أفضله أنا ، كأحد الملتزمين لك ولكبير موظفي الخزينة ، نفس التقدير له أيضاً ، بخصوص أمر يتعلق بأمين الإمدادات كما ستعلم سيادتك عن هذا منه ، يعمل "بالتاسار رودريجز" ككاتب في دار الأيتام وأملاك الموتى ، وهي الوظيفة التي منحتها له كجائزة وتقدير ... ، كان على وشك العودة لخدمة سيادتك لكنني منعته من القيام بذلك حتّى تصدر سيادتك الأوامر له ، حالما وصل "لورنزو دياز" من أهل بيت "دوم لويس" قام كبير موظفي الخزينة بتعينه كاتباً لإصدار تصاريح المرور كما أمرت سيادتك ولا زال يعمل في تلك الوظيفة .

***

كبير موظّفي الخزينة وشخصي رأينا أنّها فكرة صائبة أن نجد عملاً "لجورجي جونسالفيس" أحد الأثرياء الذي يمكن الوثوق به بما كلفته به وطلبنا منه لأجل خدمة سيدنا الملك ولإرضاء سيادتك في أن يبحث عن مسلم موثوق به في المدينة لإرساله إلى "لار" ، ليستفسر إن كان هناك أي كبريت ليقوم بشرائه وليتعامل في هذا الأمر بكل سرية .

رأينا إمكانية ذلك بهذه الطريقة لنعرف بصورة أكيدة حالة هذه البضاعة ، وقد تتطوع للقيام بذلك ، واستدعى في الحال أحد المسلمين كان معه وبعث به ، سيغادر هذا الرجل في الحال وعند وصول الرّدّ من ملك "لار" بخصوص الاستيلاء على قلعة "لاستان" ليتأكد سيادتك بأن كل الاجتهاد والحرص التي يتطلبها هذا الأمر في الحصول عليه متوفّر من طرفنا ... ، فإذا ما وجد الكبريت وتطلّب السهر عليه وحراسته حتى لا يذهب لآخرين فإننا هناك ، إنني مع الرأي بأن لن يقبل أي مسيحي مثل هذا الشيء .

حتى الوقت الراهن فإن مركز الجمارك هذا ، وقد وفّر حوالي تسعة وستين ألف "أشرفيّ" حسبما سوف يرى سموّكم من الشهادة المرسلة من طرف كاتب المركز إلى سموكم وسوف تعرف من كبير ضبّاط الخزانة لماذا لم توفر أكثر من خمسة وعشرين ألف "أشرفي" ذهباً هذا العام؟ بضائع قليلة جاءت إلى هذه البلاد بل ولسنوات خلت لم تشاهد تجارة رابحة ها هنا ، فإذا لم تكن جباية الرسوم والضرائب جيدة وحازمة وتم الاهتمام بها لكانت المداخيل أقل بكثير عن ذلك .

أؤكّد لسموّكم أنّ الكثير من الحرص والإخلاص في شؤون

الضرائب والرسوم تتم رعايته ، وهو مطلوب لأجل دخل هذا المركز ، وكذلك العقوبة للسلوك المشين لبعض الناس في هذه البلاد أو الذين يأتون إلى هنا .

ليحفظك الله ويحميك من كل الأصدقاء المزيّفين ، ومن الخدم المادحين .

أقبِّل يدي سموّكم الملكيَّتَين .

"باستياو لوبيز لوباتو"

وفي العام نفسه (١٥٤٨م)

بعث "دوم جواو دي البوكيرك" "D . Joao de Albuquerque" ، أسقف "غوا" ، رسالة إلـى "دوم جواو الثالث" ، "غوا" ، في الخامس من شهر نوفمبر ، عام ١٥٤٨م عن تواجد الأتراك في البصرة وعدن : [٨٥]

نَصّ مقتطف من رسالة طويلة :

مادّة : أحياناً ، تبرهن أوضاع هذه البلاد أنها أكثر سخونة وصعوبة بسبب أحاطتنا بالوثنيّين ، عليه ، يجد الحكام من الضروري تعيين أشخاص أكفاء للمجلس ولهم خبرة بهذه البلاد لا يسعون بحرص وعناية لإرضاء كل شخص لكنهم يقيّمونهم ، ومن ثَمّ يقدّمون بأفضل ما يمكن للقضاء .

في كل أسبوع ، وعلى الأغلب كل أسبوعين ، يبقى من الضروري

(٨٥) رقم الوثيقة والهامش.

اجتماع المجلس ، خاصّة في الوقت الحالي الذي يتواجد فيه الأتراك في البصرة ، وعدن ، ويعدون أنفسهم بنشاط وحرص شديدين لأعمال الحرب ، فاجتماعاتهم أفضل ومنطقية ومقننه أكثر مما عندنا .

خلال أيام "دوم جواو دي كاسترو" كان المجلس منظّماً بطريقة لم تتركنا نقضي وقتنا في كسل وخمول ، لذلك عندما كان مريضاً أصدر تعليمات بحيث يجتمع كل قضاة المحكمة العليا ومراقب المالية والسكرتير في هذا المنزل ، حيث أسكُن ، لثلاث مرات في الأسبوع ... ، ترأستها هناك وقدمت الكثير من الخدمات للرّبّ ولسموّك ، استمرّ ذلك حتّى وفاته ... ، كان شيئاً بين أمور أخرى كثيرة تستحق الثّناء ، مجدّها وأثنى عليها البرتغاليّون ، خاصّة من قِبل الملوك المجاورين والسادة حتى كونهم من الوثنيّين .

مسؤوليتي تجاه مصلحة وخير هذه البلاد والدفاع عنها وواجبي والتزاماتي تجاه خدمتك تجبر نفسي أن أضع ذلك في عقلي . . ، هناك الكثير من هذه الملاحظات ، لعلها تشحذ من أفكار وأعمال الحكام أو من يأتي .

لا أضيف الكثير عن هذا الأمر ، لأنني أدرك أن آخرين سيعطون إفادات أكثر تفصيلاً ، على أيّة حال يمكنك من معرفة النقاط كمّاً كبيراً من القليل الذي أكتبه ، لأنني بالرغم من كتابتي القليلة إلا أن إحساسي عميق .

لم أكتب حتى الآن عن هذا الموضوع خلال كل الفترة الماضية ، لكن يؤلمني كثيراً الآن أنني لا أستطيع تجنّب الإشارة إليه واستأذنك

أن تقوم بذلك من الآن فصاعداً متى ما كان ذلك ضرورياً إن أراد الله أن يمد في عمري .

هذه السنة ، في هذه الأبرشية ، وفي الأبرشيتين للمدينة ، فإن المسيحيين الذين تحوّلوا من الوثنيين بلغ عددهم تسعمائة واثني عشر ، من أطفال برتغاليّين مائتين ، من أطفال مواطنين ومسيحيين بلغ خمسمائة ، وقد عمدوا في أبرشية "ساو جواو" التي في "بانجيم" وفي كنائس الجزيرة عدد ثلاثمائة ، خلاف الذين من مجمع "سانتافي" الذين لا أعرفهم عددهم .

نسأل الرّبّ التّقدّم لدولتك والعمر الطويل لسنوات عديدة في خدمة الرّبّ ويمنحك المجد ، آمين .

من "غوا" ، في الخامس من شهر نوفمبر ، عام ١٥٤٨م .

خادم سموّك .

أسقفّ "غوا"

وفي العام نفسه (١٥٤٨م)

صدر بيان عن الحملة البرتغاليّة في عام ١٥٤١م إلـى البحر الأحمر : [٨٦]

بالإضافة للبيان المفصّل "لدوم ايستيفاو دا جاما" عن رحلته البحرية الشهيرة إلى البحر الأحمر وهي الحملة الأولى التي غطت كل طول البحر العربي المغلق والتي قدمها "كوريا" و"كوتو" وآخرون ، هناك روايتان مثيرتان للاهتمام من قبل "دوم جواو دي كاسترو" :

إحداها الرواية المعروفة جيّداً "Roteiro de Goa a Soez" (الرحلة من "غوا" إلى السويس) .

الأخرى الأقلّ شهرة عبارة عن مسوّدة لرسالة إلى الملك ، وللأسف ليست مكتملة وهي موجودة في أرشيف "the Torre do tombo" التي طبعت ونشرت

(٨٦) رقم الوثيقة والهامش.

في العام Coleccao de S . Lourenco, vol . IV, fos . 363 to 374)
١٩٥٥م بواسطة
(Agencia Geral do Ultramar in Cartos de D . Joao de Castro, p .59)

الـ Roteiro نشرت في العام ١٨٣٣م ، في دراسة بحثية رئيسية علمية عن الملاحة والجغرافيا ، الرسالة التي من الممكن ألا تكون قد أرسلت ، مؤرّخة في "غوا" ، بتاريخ أكتوبر ١٥٤١م ، بعد شهرين من العودة ، وهي في إحدى عشرة صفحة وفيها يكتب "جواو" تقريراً شاملاً يروي أحداث الرحلة البحرية بالرغم من وجود عدد غير معروف من الصفحات المفقودة تفصل أحداث الرواية في موقعين .

نجد في الأرشيف : (Corpo Cronologico, Parte1, Maco, 71, Doc .14) بياناً كاملاً كتب بيد شاهد أول آخر في الحملة المشهورة ، هذه هي الرسالة الرائعة بواسطة "دوم مانويل دي ليما" في أربع عشرة صفحة بخطّ جميل ومرتّب ، مؤرخة في الثّامن والعشرين من شهر نوفمبر ، عام ١٥٤١م ، في "غوا" ، هذه الرسالة التي لا يعرف عنها الكثير ، وقليلاً ما نقل عنها ، قد استخدمت إلى حد ما بواسطة "جراسيا باريتو" التي نشرت الجزء المتعلق بالأحباش ، وعن سوء الحظّ لأولئك الذين تخلّوا عن الأسطول البرتغاليّ مصوغ في حوالي صفحة ونصف من النسخة الأصلية في : (Documentos Habessinicos . Vol VIII P . 182)

أعتقد أن بقيّة الرسالة عبارة عن وثيقة مثيرة للاهتمام لدرجة كبيرة للعديد من وجهات النظر ، والتي لم تنشر بعد ، إن قيمتها واضحة من

التوقيع الذي عليها بما أن الرسالة موقّعة من قبل رجل ذكر كثيراً في وثائق تاريخ الهند ، حيث أصّل جزءاً من كل الملاحم الرئيسية التي حدثت في الشرق من العام ١٥٣١م فصاعداً .

تعرض معلومة محدّدة التفاصيل المتعلّقة بالسيرة الذاتية الشخصية "دوم مانويل دي ليما" :

كـــان الابـــن الثاني "لدييجو لويز دي ليما" ، عضو مجالس الشورى للملك "مانويل" و"جواو الثالث" ، "لورد كاسترو أيريس" "Castro Aires" وعمدة "جويماراس" وزوجته "دونا إيزابيل دي كاسترو بيريرا" "Dona Esabel de Castro Perriera" .

من المحتمل أن يكون قد ولد في بداية القرن السادس عشر وبناء على ما ذكره "جيتانو دي سوزا" "Jitano de Susa" فإن والده رشحه في منصب قانوني كنسيّ مع جماعة رجال الكنيسة بكاتدرائية "جويماراس" "Juimaras" الذي أصبح شاغراً في عام ١٥٢٣م ، وهو الترشيح الذي لم يكن مقبولاً من قبل أسقفّ "فونشال" "دوم دييجو بنهيرو" الذي كان في ذلك الوقت رئيساً لدير "جوماراس" وفضل عليه طامحاً آخر للمجد .

قد تسبب هذا في اضطراب وصخب شديدين في الإقليم ... ، فعائلة "ليماس" ذات قرابة لمعظم العائلات النبيلة في "انتر دورو بينهو" وحتى في "Golicia" . ، وحملت كل القبيلة السلاح لتدعم طموحات ابن العم ، وقد تطلب الأمر كل الحيل والكياسة والسلطة التي استخدمها كبير أساقفة "براجا" حتى يهدئ من غضب الأطراف ويتجنب سفك

الدماء ، وأيضا بتدخل من "كوندي دي كاستانهرا" القوي وهو قريب لكلا الطرفين حتى يحصل على عفو الملك لهؤلاء النبلاء الذين تنقصهم الحكمة .

لم يكن في حقيقة الأمر أي سبب لهذا الاضطراب الكبير لأن "دوم مانويل دي ليما" ترك العمل في المجمع الكنسي ، واتخذ عملاً في مجال العسكرية[أ] .

لـذلك نجـده فـي الهـند مرافقـاً للحـاكم "نونـو دا كو نها" ، ظل يعمل في تلك المناطق لثماني سنوات ... ، هذا ما كتبه "دوم مانويل" للملك في الثامن والعشرين من شهر أكتوبر ، عام ١٥٣٩م ، (Corp . Corn ., Part 1 . Maco 24, doc . 35) ، وبما أن اسْمه كان مذكوراً بين أسماء الفرسان الذين رافقوا الحاكم في يناير ١٥٣٠م إلى "ديو" ، يبدو من المحتمل أنه جاء إلى الهند في سبتمبر أو أكتوبر من تلك السنة في الأسطول الذي غادر "لشبونه" دون قائد .

في السنوات التالية نجد أن "دوم مانويل دي ليما" في كل أسطول وكل حملة نظمت في الهند في سفن "الغليون" ، كما قال "في أماكن خطيرة جدّاً وغير مريحة في المضيق وفي كل أجزاء الهند "ibid" .

بين عامَي ١٥٣١م ، و١٥٤٥م ، عندما عاد أخيراً إلى البرتغال ، عمل تحت أربعة حكّام ومعهم جميعاً ، باستثناء الأول "نونو دا كونها" فقد كان على خلاف معه .

(أ) A .C . de Sousa : Historia Genealogica da Casa Real Porluguesa Vol .XII . Parte 1 pp61/62

"كان سيّئ المزاج لدرجة كبيرة وشخصاً شكوكاً" حسبما قال "دييجو دو كوتو" "Diogo do Couto" ... ، وهذا ليس أمراً صعباً تصديقه ... ، في الرسائل العديدة الحالية لم يتوان عن إصدار اتّهامات شديدة ضدّ الحكّام الذين تعاقبوا بعده ، تحدّث عنه "دوم جارسيا دي نورونها" الذي خلف "نونو دا كونها" في العام ١٥٣٨م ، كتب يقول :

أؤكد لسموّك أنّه ، ومنذ اليوم الأول من وصوله إلى الهند وحتى الوقت الحاضر ، فإن نائب الملك قد ارتكب أخطاء فاحشة في كل موضوع هنا" .

أشار "دوم مانويل" إلى الملك بأشياء معينة ونتيجة لذلك ... ، "فهو غير راض عني" ، وهذا هو الأكثر احتمالا .

معلوم أن "دوم جارسيا دي نورونها" كان رجلاً كبيراً في السن وسيّداً شرساً ، ولا يحتمل أن ينتقده أحد ، لكن "دوم مانويل" لم يحسن سلـوكياتـه مع مـــن تعاقبوا بعده ، "دوم ايستيفاو دا جاما" "D . Estifao da Gama" ، لما سيعلمه القارئ من الرسالة التي نشرت أدناه : "دوم ايستيفاو" يكرهني بشّدّة ويسبّني ويتعرّض لي بالإساءة كلّ يوم" كما كتب ، فقط : "بسبب الأشياء التي أتحدث عنها بكل صدق وتتعلق بخدمة سموّك (رسالة بتاريخ الثامن والعشرين أكتوبر ١٥٣٩م Corp . Corn . Parte 1, M .24, no35)

لا يوجد أي تعليق من "دوم مانويل" على "مارتيم أفونسو دي سوزا" "Martim Afonso de Susa" ، وهو الذي أعفى "دوم ايستيفاو" من الخدمة في ١٥٤٢م ، وكان عليه احتماله لفترة قصيرة فقط .

هناك بعض الفقرات المجهولة أرسلت من الهند وتشير إلى ذلك الحاكم ، الذي تقول عنه أن : "مارتيم افونسو" قد عامل "دوم مانويل" بطريقة سيئة لأنه لم يكن من مجموعته (شلته) ، لم يسرد الكاتب أي تفاصيل لأنه قد قدم لسموّك بياناً طويلاً عنه ، (Gavetas 13, Maco 8, No .43) .

في الحقيقة أننا عرفنا عن طريق "جاسبار كوريا" و"دييجو دي كوتو" أن "دوم مانويل" والحاكم كانا على خلاف شديد حتى أن "دوم مانويل" فضل ترك رئاسة مدينة "ديو" قبل أن يكمل فترة رئاسته التي تبلغ ثلاث سنوات في المنصب على أن يبقى تحت قيادة وأمرة "مارتيم أفونسو" ، ويقال إنه غادر إلى "البرتغال" مع إصرار شديد ونيّة في تحدّي "مارتيم أفونسو" حالما يعود من الهند .

بناءً على ما قاله "دييجو دو كوتو" كان الأمر وباختصار تجنّب أي مواجهة ، لذلك أرسل الملك "دوم مانويل" مرّة أخرى إلى الهند في ١٥٤٦م حتى لا يصطدم بالحاكم العائد ، والذي كان من المفروض أن يعود إلى "لشبونه" في يوليو عن طريق البحر .

بالقدر الذي كان فيه "دوم مانويل" عصبيّ المزاج وحادّ اللسان ، إلّا أنه كان رجلاً باسلاً وفارساً لا يجاري ، وله خدمة طويلة تشفع له ، مدركاً وعالماً بحسناته وصفاته الرائعة منحه الملك في العام ١٥٤٠م رئاسة "باسين" ، معتبراً أنّه الأفضل .

عندما شغر المنصب بعد "دوم فرانسيسكو دي مينسيس" - كما رأينا - فإنّه ظلّ في المنصب من ١٥٤٣م إلى ١٥٤٤م قبل العودة إلى

البرتغال ، لكنه عندما أبحر للهند مرة أخرى في ١٥٤٦م كان قد ترشح لرئاسة هرمز خلفاً لـ"دوم مانويل دا سيلفيرا" .

حمل معه إلى الهند رسالة من كاهنه المحترم للحاكم ، "دوم جواو دي كاسترو" الذي كانت له صلة قرابة معه من ناحية والدته ، "إيزابيل دي كاسترو بيريرا" ، ولأنّه عمليّ وإيجابيّ ، فإن الرجل المُسنّ كان يأمل أن يكون مفيداً جدّاً في الخدمة والعمل الجيد وفوق كل ذلك يعود من الهند أكثر ثراءً ، طالما ، كما يعترف هو في سخرية وصراحة ، أن المال أكثر أهمية واستحقاقاً من الخدمة أو النبل ، تقول الرسالة ما يلي :

سيّدي ، يؤسفني رحيل "دوم مانويل" ، لكن لم يكن هناك بدّ من ذلك بما أنها مشيئة الرّبّ القدير ، لكن الرّبّ يفعل كل ما هو طيّب ، فقد غادر في أحسن حال كما سيطلعك على ذلك بنفسه .

لقد منحه الرّبّ هذا الفضل ، وحتى يكتمل كل ذلك فيجب أن يجدك حتى يتمكن من العمل من أجل الرّبّ ، وهو ما نرغب فيه نحن الاثنين .

أقبِّل يديك آملاً أن تمنحه الكثير من الإحسان والتشريف الذي يستحقّه ، وحتى يصل إلى قلعة هرمز فسيسعدك أن تكرمه وتمنّ عليه بإحسانك ، وتستخدمه في الأعمال التي يستطيع أن يجني منها الأموال .

عندما وصل "دوم مانويل" أخبره بصلة القرابة وهو بالإضافة لذلك خادمك ، بعد إحضار الأموال مرّة أخرى وكان أفضل شيء قام به ليشرف ويساعد به أهله .

ليس لي شيء أفضل من محبّة ابني وعليك أن تغفر لي حديثي الكثير عنه لأنني أعلم أنك ستُسر جدّاً لتبدي له بعض أفضالك ، كما أنني أيضا أودّ أن أكون مفيداً له .

سيقدّم لك أيضا الأخبار ، الإحسان الذي ألتمسه هو أن يعود ثريّاً جدّاً لأن الشخص الذي معه المال يستحقّ أكثر من الخدمة والنبالة ، وأذكّرك بكلّ هذا حتى لا يتمّ خداعك .

أسأل الله أن يمدّ في عمرك ، أقبّل يديك .

"الميريم" ، الحادي والعشرون من شهر مارس .

"دييجو لوبيرز دي ليما" "Diego de Lima"

وفي العام نفسه (١٥٤٨م)
بعث "سيماو بوتيلهو" رسالة إلى الملك ، في الرابع والعشرين من شهر ديسمبر ، عام ١٥٤٨م ، وفيها تفصيل عن "كامباي" ميناء غجرات ، و"باسين" قاعدة الأتراك ، ومن ثم بخصوص ملك "كامباي" : [٨٧]

سيّدي ، بما أنّني كنت في قلعة "باسين" هذه ، بعد أن كتبت لجلالتكم السنة الماضية ، وحتى الوقت الحاضر ، فإني سوف أقدّم لكم تقريراً عن جميع أحوالها التي كنت مشاركاً بالخدمة فيها :

بعد أن بقيت هنا مع نائب الملك "دوم جواو دي كاسترو" ، لكي نبدأ في تأثيث قلعة "ديو" وتزويدها بالمال والطعام والذخيرة ، وبينما كنا مشغولين بهذا ، جاءت رسالة من (عدن) إلى نائب الملك تخبره أن الأتراك قد تم طردهم ، وأن "دوم بايودي نورونها" بقي في القلعة مع عشرين من "البرتغاليين" الذين ذهبوا إلى هناك من هرمز .

(٨٧) رقم الوثيقة والهامش.

نتيجة لهذه الرسالة اتخذ نائب الملك الترتيبات اللازمة لكي يذهب ابنه "دوم ألفارو" إلى هناك ومعه ثلاثون من السفن ذات المجاديف .

قد تم إعداد كل هذا بسرعة في غضون بضعة أيام ، وتم تزويد السفن بأطقمها من البحارة ، وكل الأشياء الأخرى الضرورية ، ولكن هذا لم يتم إلا بعد جهود مضنية ، سواء من ناحية نائب الملك الذي كان في ذلك الوقت مريضاً ، أو بسبب الحرب التي كانت مشتعلة بين "كامباي" والبر الرئيس للبلاد ، والذي كان من نتيجتها أن تستطيع الحصول على الأموال اللازمة لشراء الأشياء الضرورية اللازمة ، وما زلنا نعاني من نقص الأموال .

كان عليَّ أن أواجه كل هذا ، وبالإضافة إلى كل هذه المشاكل ، جاءت مشكلة أخرى وهي مرض "أنطونيو بيريرا" "Antonio Perreira" الذي كان يشغل منصب السكرتير ، واستلزم هذا أن أقوم بعمله أيضاً .

بمجرد أن رحل "دوم ألفارو" حولت اهتمامي في الحال لإرسال الأموال إلى قلعة "ديو" لدفع مرتبات الجنود ، وكان مستحقاً لهم ثلاثة أرباع مرتباتهم ، كما عودوا الناس هناك وهنا وفي "تشاول" ، وقد استطعت جمع خمسة وعشرين ألف "برداوساً" من الذهب نقداً ، وأرسلتها إليه ، بعد أن ذهب إلى هناك ، وكذلك كل إمدادات الطعام والذخيرة التي يحتاجونها ، ولم يكن هذا بالجهد الهين ، وكان لابد أن أقوم بهذا .

بسبب مرض نائب الملك ، أصبحت قلقاً ومرهقاً إلى درجة جعلتني أقوم بتقديم خدمة أفضل لجلالتكم في حالة الألم الذي كنت أعانيه

في المهمة التي قمت بتنفيذها ، وبسبب معاناتي هذه ، وبحثي عن المال المطلوب ، أصابتني بعض النوبات التي كادت تؤدّي بي إلى الموت ومع ذلك لم أكفّ عن إصدار الأوامر إلى الجميع من سريري ، حيث اضطرني المرض إلى ملازمة الفراش ، وذلك حتى يتم الاهتمام بجميع الأمور وتقديم ما يلزم لتنفيذها .

يشهد على كل هذا ، شهادة طيبة ، راعي الكنيسة السيد "فرانسسكو" و"دوم جيرنومو دي نورونهو" ، ويشهد على ذلك أيضا جميع النبلاء وغيرهم من الشخصيات الأخرى التي تعيش هنا .

قد كنت دائماً على علاقة طيبة مع نائب الملك ، وأتعامل معه بكل حرص ، ولم أجعله يفهم أبداً أنه ضايقني ، ولم أظهر له مطلقاً أنني تألمت من أي من هذه المضايقات التي سببها لي .

بما أنني الآن في نهاية شهر مارس ، ونائب الملك يريد أن يتابع طريقه إلى "غوا" رغم المرض الذي يعاني منه ، وأعاني منه أنا أيضاً ، فقد ذهبت لمقابلة الأخير بالمكان الذي جاءتني الأوامر لقضاء فصل الشتاء معه ، لأني أصبحت الآن أعرف كيف أصبر على تصرفاته ، ولكن بسبب عملية التسجيل التي تحتاجها هذه البلد ، ويجب الانتهاء منها كما أمرتم جلالتكم في المرسوم الخاص بتعييني ، فقد حسب نائب الملك أن من الأفضل أن أبقى هنا .

بمجرّد أن تحسنت صحتي بدأت على الفور في إعداد دفاتر القيد ، وكانت البداية تسجيل بيوت الجمارك التي وصل عددها إلى ستة ، يتم فيها جمع الرسوم على البضائع ، بعد تقسيم كل منها إلى سبعة

أو ثمانية أجزاء ، وكان هذا يؤدي إلى أن تتعرض هذه الأجزاء لكثير من الظلم في تقدير الرسوم ، وإلى السرقة ، وإلى زيادة النفقات عليها .

بسبب كل هذا جمعت كل شيء وأعدت ترتيبه ، حتى لا يدفع أحد أكثر من النسبة المئوية المقررة ، أو أكثر مما هو مطلوب لكل جزء من البضائع ، ولأن البلاد كانت تعيش في حالة حرب ، فقد أرسيت هذه الجمارك على أصحاب أعلى العطاءات ، مما جعل إيجار مراكز الجمارك الثلاثة الرئيسية يزداد بمبلغ سبعة آلاف "برداواس" من الذهب عن إيجارها في السنة الماضية ، وتم إيجار مراكز الجمارك الثلاثة الأخرى بنفس مبلغ إيجارها السابق .

قد أعلنت الكثير من الإجراءات ، وخفضت الرسوم التي زادت على بعض البضائع ، لأني اعتقدت أن الرسوم إذا لم تكن مرتفعة بشكل مبالغ فيه على بعض البضائع ، فإن إيرادات الجمارك سوف تزداد ، لأن عدداً أكبر من التجار سوف يلجئون إلى هذه المدينة ، ويجلبون معهم المزيد من السلع التجارية .

بمجرد أن انتهيت من تسجيل القرى ، أقصد بيوت الجمارك ، بدأت بتسجيل الأراضي التي كانت شاسعة جداً ، وذات أهمية كبرى ، ومازلت مستمراً في هذا العمل ، لأنه يجب أن يتم بهذه الطريقة ، حتى يأتي على أفضل صورة ، وذلك لأني وجدت ، ومازلت أجد ، يومياً ، أراضي ورسوم يجب تقاضي مبالغ أكبر عليها ، وقد زدتها لصالح جلالتكم ، ووصلت الزيادة في الإيجارات إلى أكثر من ستة آلاف "برداواس" سنوياً ، إضافة إلى الإيجارات التي تم التعاقد عليها من قبل .

كانت الإيجارات الأخيرة للأراضي قد انخفضت إيراداتها بمبلغ أربعة آلاف "برداواس" ، وذلك بسبب القرى التي كان نائب الملك يتغاضى عنها بالنسبة إلى البرتغاليّين ، وكنت قد كتبت لجلالتكم من قبل في العام الماضي كيف أنه بدأ يتغاضى عنها ، وكيف أنني في "غوا" قد أخبرته أن بعض المعلومات التي جاءتني تؤكد أن ما يفعله أدى إلى الأضرار الشديد بخزانة جلالتكم .

وكان رده على هذا أنه ليس لديه من شيء يعطيه لهؤلاء الرجال "البرتغاليين" ، وقد قال هذا في كلمات شديدة ، ليس من اللائق أن أكررها لجلالتكم ، وقد أثر هذا على مساحات شاسعة من الأراضي لأنها منحت لعدد كبير من "البرتغاليين" ، ولأنها قدمت لهم طبقاً للأوامر الرسمية ، فإن خسارة جلالتكم في هذه الحالة تقدر بأكثر من عشرين ألف برداواس سنوياً .

إذا لم أكن قد تجنبت الحديث في هذا الموضوع مع نائب الملك لكنت عرضت نفسي لرد أسوأ من رده السابق ، وخاصة وانه يحتفظ بمثل هذه الردود ليقولها لي .

أما بالنسبة للقرى فإنهم يعرضونها في المزاد ، ولأن هذه القلعة لا يوجد فيها عدد كبير من الأشخاص المتزوجين ، ولأن العدد الأكبر من هؤلاء يأمل في الحصول على هذه القرى ، فإنهم يتحدثون مع بعضهم البعض ويتفقون على ألا يقدموا في المزاد أسعاراً أعلى من تلك التي يريدونها ، وبهذه الطريقة فإنهم عندما يحدث المزاد لا يقدمون إلا عطاءات تقل عن نصف القيمة التي تم التأجير لهم بها .

قد رجوت نائب الملك أن يفهم هذا ، وبعد كثير من الإلحاح أصدر بعض الأحكام التي تنص على إلغاء ما تم الاتفاق عليه من قبل ، وتمنحني صلاحيات النظر فيها والتصرف بما أعتبره في خدمة مصالح جلالتكم ، ومع ذلك كنت عاجزاً عن القيام بما يجب عليّ القيام به ، لأن الأمور كلها كانت قد أصابها بالفعل كثير من الضرر .

إنني أؤكد لجلالتكم ما قمت به في هذا الشأن قد جلب لي عداوات كثيرة ، بعد أن جئت إلى هذه القلعة ، وأصبحت على وعي بما يحدث فيها ، كما سأبينه لجلالتكم فيما بعد .

صحيح أن هذه القرى ، كما يبدو ، ستعمل الآن بشكل أفضل ، بعد أن زاد عدد السكان فيها ، ولكن البرتغاليّين لا يرغبون في دفع مزيد من المال ، وخاصة النبلاء والأعيان المتزوجين منهم ، الذين يعانون من بعض الفقر ، رغم أن لديهم بعضاً هذه القرى ، ولذلك فإن من الصعب في هذا الربع الأول من العام أن نجمع إلا حوالي ثلاثة آلاف "برداواس" ، ولست أعرف ما الذي ستنتهي إليه الأمور فيما بعد .

قد كانت شروط التغاضي عن هذه القرى هي أن الذين يحصلون عليها يعيشون في هذه القلعة ويزرعوها ولا يقوموا بتأجيرها لغيرهم ، وأن يكون لديهم عدداً من الخيل الجيدة والضرورية ، وكل هذه شروط لم يتم الوفاء بها ، برغم ما نصت عليه أحكام نائب الملك ، وكان من نتيجتها حصول بعض الأشخاص على هذه القرى .

كان نائب الملك قد منح "أنطونيو بيسوا" خمس قرى وجزيرة تدر إيراداً سنوياً لجلالتكم نحو ألفين وخمسمائة "برداواس" من الذهب ،

ويعطي منها مبلغ تسعمائة "برداواس" ونيّف ، كما كان يحدث من قبل ، كمعاش لأحد المسلمين في فترة حكم ملك "كامباي" ، ولذا فإنها تدر إيجاراً له كلّ سنة نحو ألف وستمائة "برداواس" من الذهب طيلة حياته وحياة زوجته .

لم يكن باستطاعتي أن أفعل أي شيء حيال هذا الأمر ، ولا يمكن أن تصدق جلالتكم أنه لا يوجد هنا مراقب عام لخزانة الدولة ، كما لا يوجد أي شخص يستطيع أن يقول أي شيء للحاكم هنا ، مع أن من المفيد جداً لخدمة مصالحكم ألا يكون لدى الحاكم في مثل هذه الأمور المالية إرادة مطلقة ليفعل ما يريد .

إني أكتب هذا لجلالتكم حتى يمكن إصدار بعض النصوص أو الأحكام حسبما ترون انه هو الأفضل في هذا الأمر[أ] .

إن قلعة "باسين" هذه والأراضي التي حولها هي الأفضل بين كل المناطق التي تملكها جلالتكم في هذه البلاد ، ويمكن أن نجد كل شيء فيها ، أو على الأقل أكثر الأشياء التي نحتاجها ، أي : الأخشاب الوفيرة ذات الجودة العالية ، والكتان الغزير ، والكثير من الموارد الغذائية مثل الأرز واللحم والطيور والزبدة وجميع أنواع الخضروات .

أضف إلى كل هذا أن على أحد أطراف "باسين" توجد مدينة "بالاجيت" "Palagate" التي تأتي منها كميات كبيرة من الحبوب والحديد والصلب وملح البارود وأنواع أخرى كثيرة من السلع التجارية .

(أ) على الهامش : سيكون عليه أن يتذكّر ، كما أن عليه أن يعلم ، أن جلالة الملك لم يزوده بما هو فيه إلا لفترة محدودة هي فترة حياته ، وأنه فعل هذا لكي يقوم بخدماته .

على الطرف الآخر توجد مملكة "كامباي" التي يأتي منها أيضا كميات كبيرة من السلع التجارية المتنوعة .

من هنا فإن "باسين" تقع في منطقة تعطيها الكثير من القوة والأهمية ، إلى جانب ما تحتاجه من مؤنه خاصة بها وبكل القلاع التي توجد في الهند ، وفي الحقيقة يمكن أن ينتج عن هذا خدمات ومنافع جليلة لجلالتكم ، إذا كان يوجد هنا هؤلاء الأشخاص الذين لديهم الرغبة القوية لخدمة جلالتكم ، وهذه هي الحقيقة .

يبدو الآن أن من المهم أن يقيم مراقب عام خزانة الدولة هنا ، وأن يقوم بعد ذلك بزيارة القلاع ، لأنه من هنا يمكن أن يرسله الحاكم إلى أي مكان حين تستدعي الضرورة ذلك ، فالمكان هنا قريب جداً من "ديو" ، كما أن من السهل الوصول إلى جميع القلاع الأخرى لأن "باسين" تقع في اتجاه الريح ؛ وقد أمرت الآن بصنع أقمشة قطنية خاصة للأشرعة ، ويمكن دائماً صناعتها هنا بطريقة جيدة لوجود العديد من النساجين من أهل البلاد ، وسيكونون مستعدين للعمل في أي وقت نحتاجهم فيه ، حتى لو كانت هناك حالة حرب في مملكة "كامباي" .

كما قلت لكم ، فإنه يوجد في هذه البلاد أخشاب جيدة جداً ، وكان يتم شراؤها دائماً من أجل جلالتكم ، ولكن هذا لم يعد يحدث الآن ، لأن أي إنسان يستطيع الآن أن يشتري هذه الأخشاب إذا أراد ذلك ، مع أن من المحظور على أي إنسان أن يشتري هذه الأخشاب في الغابة لأن هذا يمثل خسارة كبيرة لجلالتكم ، وأصبح الوسيط التجاري الآن ، إذا احتجنا إلى هذه الأخشاب ، يشتريها من أولئك الذين

اشتروها ، وهي مازالت في الغابة ، وبهذه الطريقة فإنهم يربحون كثيراً ، وبأرباح غابة واحدة يحصلون على ثلاثة .

قد منع الحاكم حدوث هذا الآن بعد أن طالبته بذلك ، ولست أدري حتى متى سيستمر ، ولذلك فإن على جلالتكم أن تأمروا بسن بعض القوانين فيما يتعلق بهذا الأمر ، لأنه بصرف النظر عن احتياجنا الشديد لهذه الأخشاب ، فإننا في حالة عدم احتياجنا لها ، نستطيع أن نربح كثيراً من بيعها[أ] .

يوجد في هذه القلعة ، قلعة "باسين" ، العديد من الضباط الذين يتلقون مرتبات ومصاريف لا ضرورة لها ، وأعني منهم كبير الضباط "التنادور" ، الذي ينفق الكثير من المال بما يأخذه من مرتبات هو وضباطه وخدمه ، كما سترون جلالتكم في كشف الحساب المرفق مع هذه الرسالة .

توجد أمثله أخرى على الإسراف في الإنفاق ، إن مثل هذه الوظائف يمكن الاستغناء عنها ، لأنها ليس لها من فائدة إلا ظلم عامة الناس والاستبداد بهم ، وبدا ذلك بشكل خاص في حالة الضابط السابق ، الذي كان يدعى "باستياو كويلهو" ، الذي عينه نائب الملك ولم يكن يسمح لأي أحد أن يقدم شكوى ضده ، أو حتى يقوم بتوبيخه .

ثم عين منذ فترة وجيزة "مارتيم أفونسو" عندما ألحّ الحاكم على متابعة هذه الاتهامات ، ولكن نائب الملك وقف إلى جانبهما ، وعندما

(أ) على الهامش : يجب على صاحب الجلالة ألا يمنح هذا التفويض لأيّ أحد هنا ، وأن يعطي الأمر فقط لـ"دوم أفونسو" ليذهب إلى هناك ، وترسل إليه مذكرة بذلك .

يكون من الضروري الدفاع عن اللصوص فإن أحد أقرباء القائد يذهب معهم ، لأنه بالإضافة إلى المرتب الذي يتقاضاه ، فإنه يتقاضى أيضا النفقات التي يتكبدها عندما يخرج معهم ، وهي على حساب جلالتكم ويتم صرفها للشخص الذي يختاره قائد القلعة ليرسله مع اللصوص[أ] .

يوجد أيضا في هذه البلاد خمسة من المحصلين "تينادارياس" ، ويبدو أن الحاجة لا تستلزم إلّا اثنين منهم فقط ، في "تانا" و"كافانجا" ، وعندما تكون البلاد في حالة حرب ، فإن تلك التي في "جاسيم" "قشن" يمكن أن تنضم إليهما ، ومع هؤلاء الثلاثة فإن مصاريف جلالتكم عليها ستكون كما سترون في كشف الحساب .

يوجد أيضا في "تانا متراس" يستخدم في وقت الحرب ، ويتطلب مصاريف غير ضرورية ... ، هذا وهناك مصروفات أخرى مع قائد الحرس إضافة إلى رواتبهم وكلهم من رعاياكم و(.....) وبراميل المياه ، وغيرها من الأشياء التي يمنحها الحكام لأي شخص يرضون عنه ، وبعض الحكام يمنع هذه الأشياء ، والبعض الآخر يهبها طبقاً للصداقة التي تقوم بينه وبين غيره من الحكام .

ولا يقوم جنود الحرس الوطني هؤلاء بأي عمل ، بل تسجل أسماؤهم فقط لكي يتم صرف الرواتب لهم ، ومادام الأمر كذلك ، فإنه من الأفضل لهم أن يطالبوا بزيادة رواتبهم إذا كانت صغيرة ... ،

(أ) على الهامش : ترسل هذه المذكرة إلى "دوم أفونسو" .

وليست هذه الحالة قاصرة على هذه القلعة فقط بل نجدها في بعض القلاع الأخرى ، وإذا أهمل بعض الحكام في منح هذه الزيادات إلى قائد الجيش الوطني ، حينئذ تنشأ بينهم البغضاء وتظهر الفضائح ، ولهذا السبب فإني أقترح على جلالتكم ، قبل أن تزيدوا مرتباتهم ، أن تأمر بعدم منحهم أياً من الأشياء الأخرى .

لكي تكون هذه القلعة هي الأفضل والأكثر فخامة في كل الهند ، فإن من الضروري أن تأمروا جلالتكم بعدم ذهاب أي برتغاليّ أو سفينة من سفنكم إلى "كامباي" للتجارة ، لأن في حالة الذهاب إلى هناك يترتب على ذلك خسارة كبيرة وشروراً كثيرة ، فبالإضافة إلى البرتغاليّين ، فإن التجار الفقراء يعانون من أمور عدة عندما يذهبون ببضائعهم إلى هناك كما يتعرضون إلى خسارة كبيرة .

أما إذا لم يذهبوا إلى هناك ، فإنهم سوف يأتون بكل سلعهم التجارية إلى هذه القلعة وإلى "ديو" ، وسوف يتركون الكثير منها في بيوت الجمارك ، وبذلك سوف يكون لدينا هنا كل ما نحتاجه من البضائع ، وبأسعار رخيصة جدّاً .

إذا حدث ونشبت الحرب ، فسوف نكون نحن المسيطرون عليهم وعلى بضائعهم ، ولن يكونوا هم الذين يسيطرون علينا .

أنا أؤكد لجلالتكم أن هناك أسباب أخرى كثيرة ومهمة لقرار منع الذهاب إلى "كامباي" ، وإنه مما يساهم إلى حد كبير في خدمة المصلحة الإلهية ومصلحتكم الخاصّة ألا يذهب أحد إلى هناك ، ولو كان الأمر بيدي لبينت الأسباب كلها في وثيقة طويلة ، وأحسب أن أحداً لن يعارض مثل هذه الوثيقة .

قد منع الحاكم ، "جارثيا دي سا" ، أي أحد من الذهاب إلى هناك ، لأن السلام لم يستقر بعد ، وذلك لأني كتبت إليه عن هذا الموضوع ، بكل صراحة ، وقلت إن البرتغاليّين في "تشاول" و"ديو" بدأوا يترددون على "كامباي" ، بمجرّد أن طُرح موضوع السلام معها ، وعندما منع الحاكم الذهاب إلى هناك ، وأعلنت القوانين والعقوبات الشديدة في "غوا" على من يخالف أوامر المنع ، انسحبوا كأنما لم يكن هناك من قرار منع من قبل ، لأنهم بعد ذلك أعلنوا أنهم سيذهبون إلى "ديو" ، ولكنهم طيلة الوقت يستمرون في طريقهم إلى "كامباي" .

بمجرد أن يصل الحاكم ، سوف أتحدث إليه ، وأطالبه بإصدار أوامره بعقاب أولئك الذين ذهبوا إلى هناك بعد قرار المنع .

كذلك فإنه من الواجب على جلالتكم أن تأمروا بإصدار قوانين شديدة حول هذا الموضوع ، وتنص على أنه لا الحاكم ولا قادة القلاع لهم صلاحية منح التصريح بالذهاب إلى هناك ، مع عقاب من يفعل ذلك عقاباً شديداً .

إذا ثبت بالدليل أن أحداً ذهب إلى هناك ، فيجب أن يجرى تحقيق حول هذا الأمر ، وأن يعامل كل من يذهب إلى هناك معاملة المتمردين ، ويكون عقابه شديداً ، وبطريقة تجعل غيره يتحاشى أن يفعل مثله[أ] .

من المفيد أن يذكر في قانون المنع هذا أنه لن يسمح للسفن وأنواع النقل البحري الأخرى التي تأتي من "كامباي" أن تتوجه إلى "تشاول"

(أ) على الهامش : سيعد نَصّ قانون حول هذا الموضوع ، وسيكتب في المذكرة المرفوعة إلى "دوم أفونسو" .

قبل أن تأتي إلى قلعة "باسين" أولاً لدفع الرسوم الجمركية المستحقة عليها ، وذلك لأنها إذا ذهبت إلى "تشاول" مباشرة فإن جلالتكم ستتعرضون للخسارة من جراء فعلهم هذا ، خاصة وأن هذه الرسوم ستذهب إلى نظام الملك / "نزا مالوكو" وإضافة إلى هذا ، فإن سمعة هذه القلعة سيصيبها ضرر شديد ، ولكن مع هذا القانون ، ومع الحقيقة إن عدداً من المقيمين المتزوجين ، بدأوا يفدون إلى هذه المدينة .

ونحمد الرب أن أعداداً أخرى كثيرة بدأ يجتذبها المكان مما سوف يزيد من أملاك جلالتكم ، فانه يجب على جلالتكم أن تكافئوا هؤلاء المقيمين مكافأة كبيرة لأنهم هم الذين سوف يحرسون الحدود ، ومن هنا فإنهم يقدمون لجلالتكم خدمة جليلة .

يوجد هنا اثنان من أقدم الذين خدموا جلالتكم ، وخدموا أيضا عدداً من النبلاء ، أحدهم يدعى "مانويل دي كارفالهو" "Manuel de Carvalho" والآخر "أمريك دي سوزا" "Amerique de Susa" ، وكلاهما خدم فترة طويلة في هذه البلاد ، ويعاني الاثنان من الفقر المدقع ، فإذا أظهرتم لهما بعض كرمكم فإنه سيكون في المكان المناسب جداً .

دأب قادة هذه القلعة والوسطاء التجاريين فيها ، منذ زمن وحتى الوقت الحاضر ، على منح الكثير من الأراضي سواء للمسلمين ، الذين ارتفعت مكانتهم أثناء الحرب ، كجنود خارج الخدمة ، أو للبرتغاليين و"البرهمانيين" من أهالي "غوا" الذين جاءوا إلى هذه المدينة ليعيشوا فيها ، ولم يرض هؤلاء بالذي طلبوه ، ولكن أمكن إرضاؤهم ببعض المزايا والأرباح التي خفضت من سخطهم وإحساسهم بالدونية ، وكان

ذلك أن تم منحهم الأراضي مع خفض كبير في قيمة الضرائب التي كانوا يدفعونها من قبل .

بمثل هذه الطريقة ضاعت أراضي أخرى أخذها المتمردون ، بعد أن دفعوا نصف قيمتها ، ورتبوا أمورهم مع المستأجرين وعملوا على أن ينسوهم ؛ ولأنهم كانوا منذ فترة طويلة يجمعون الإيجارات ولعمل هذا لم يكونوا في حاجة الحصول على أربعة من السود لكي يكونوا شهود زوراً على هذه العملية ، وقد وجدت الكثير من عمليات التزوير هذه أثناء قيامي بتسجيل الأراضي ، ومازلت أجد الكثير منها ، وهذا يجعلني أؤكد لجلالتكم أنهم استولوا منكم على خمسة أو ستة آلاف "برداواس" من قيمة الإيجارات .

قد سحبت كل هذه الأراضي ، مع أنها منحت لهم عن طريق التمليك ، وأعدت تسجيلها مرة أخرى ، كما كانت في السابق ، وقد جلب لي هذا العمل عدداً كبيرة من الأعداء ، لأن الأشخاص الذين كانوا في هذه الأراضي كانوا يعتبرونها ملكاً خاصاً لهم ، وأنهم حصلوا عليها عن طريق الإرث من آبائهم ، وأنني سحبتها منهم بالقوة ، وأنني لم أفعل هذا إلا تحت تأثير المعلومات الزائفة .

لذلك بالنسبة لهذا الموضوع ، فإنه سيكون من المفيد لجلالتكم أن تعدلوا بعض القوانين حتى لا يتم من الآن فصاعداً منح أراضي المتمردين ، لأن الأراضي الموجودة تم منحها بالفعل ، وأصبحت الأرض خالية من السكان .

على نفس المنوال فإنه من الضروري أن تصدر جلالتكم قانوناً

بتطبيق ذلك عندما تمنح الأرض إلى المبذرين أو تخفض الضرائب عن الذين منحت لهم الأرض .

حول كل هذه الأمور طالبت الحاكم بإصدار قوانين تنظمها وقد أصدرها بالفعل ، ولكن من المفيد جداً أن تصدر هذه القوانين من جلالتكم .

كما يوجد في هذه البلاد ثلاثة من الزنوج الذين يكلفون حوالي ثلاثة أو أربعة آلاف "برداواس" مصاريف أيجار لهم ، وهم من أسرة واحدة ، ويعملون على الأطراف كحراس ، ويجري استخدام هؤلاء عند الضرورة ....

لأن لزاماً عليهم أن يأتوا إلى هذه القلعة ، ويؤدوا ما يأمرهم قادة القلعة بأدائه باسم جلالتكم ، فإنهم يتقاعسون عن تنفيذ الأوامر ، وقد كتبت أسماءهم في السجلات على مضَض ، ويبدو لي أننا يمكن تستبدل هؤلاء الحرس بآخرين من البرتغاليّين ، وبتكلفة أقلّ ، وعندما يصل الحاكم سأقدم له هذا الاقتراح .

يتمّ بأوامر من جلالتكم تعيين محصلين "تينادار" من أهل هذه البلاد ، بمرتذبات ومكافآت كبيرة جدّاً ، ممّا يضرّ كثيراً بمصالح جلالتكم ، وليس من الممكن حتى في الوقت الحاضر توفير هذه المرتبات والمكافآت لهم ، وذلك لأن إيجارات الباطن يسمح بها بشرط دفع بعض المال للمستأجر الأصلي ، ولكي يتم تحقيق ذلك فإن النتيجة هي ظهور ورم خبيث جداً ، لأن المال ينتقل بين أياد كثيرة جداً ، والمحصلون يشغلون أنفسهم دائماً بأوامر المصادرة والاستيلاء على الأراضي ، ولا يكفون عن مطالبة جلالتكم بالمزيد لإرضائهم .

لذا فإن على جلالتكم أن تأمروا بوضع نصوص قانونية في هذا

الشأن ، حتى لا تكتب أسماؤهم في الوثائق الرسمية ، إلا في حالة واحدة فقط : عندما يجب جمع الإيجارات نيابة عن جلالتكم(أ) .

بينما كنت في هذا الشتاء أعد سجل الضرائب في منزلي ،مع الوسيط التجاري والموظفين والسود من أهل البلاد ، جاء إلى أحدهم ويدعى "لويس جودينهو" "Luis Godinho" ، الذي كان يعمل هنا مشرفاً على الأشخاص المتوفين ، وكان في حالة شغب عند الباب ، ومعه عشرون رجلاً مسلحين بالرماح والدروع ، وقد دعمه وسانده شخص آخر اسمه "أنطونيو دي سا بيريرا" "Antonio de Sa Perriera" .

لقد وقف "لويس جودينهو" يلوح بالرمح طالباً مني أن أخرج لهم ، لأنه وجد أن أحد أصهاره يعملون في خزانة المالية عندي ، وكان "جودينهو" يحمل لي نية سيئة لأنني وجدت أنه كان يسعى جاهداً من خلال سجلات بيت الجمرك الذي كان يؤجره ، إلى رسوم أكثر من تلك التي يستحقها ، وعليه قام بكثير من الخداع؟ (كلمة مكتوبة بالقلم الرصاص) .

عندما اكتشفت هذا رفع عليَّ دعوى قذف مما جعلني أحكم عليه بغرامة قدرها خمسة آلاف برداواس ، أما "أنطونيو دي سا" ، فقد انضم إليه ، لأنه هو الآخر كان له ما يطالبني به بسبب أنني سحبت منه بعض الأراضي التي منحها له "جيرونيمو دي سا" "Jeronimo de Sa" .

كانت عبارة عن فرسخ ونصف من المستنقعات في أرض ملحية ،

(أ) على الهامش : يجب عمل مذكرة بخصوص هذا الأمر وتقديمها "لدوم أفونسو" ، وذلك رغم أنهم يجب عليهم أخذها من هنا في هذه الرسائل ، ومع ذلك فإنه لا يفعل شيئاً وإلا ما يرى أنه من الواجب عمله لخدمة جلالتكم .

وكانت قيمة الضريبة عليها خمسة "برداواسات" ، وقد استولى بالقوة على أراضي أخرى تقع داخل نطاق المياه العذبة ، والتي كانت تخص القرى المجاورة .

التي كانت تغل لجلالتكم مبلغ مائة وخمسة وسبعين "برداواساً" ، وقد أراد أن يعيش ويستولي على كل هذه الأراضي ، ولا يدفع إلا ضريبة مقدارها خمسة "برداواسات" ، ولأني سحبت منه هذه الميزة ، فقد اتهمني بأني صادرت أرضه ... ، وسعى إلى تكوين عصابة مع هذا المدعو "لويس جودينهو" ، وقد قررت ألا أخرج لمواجهة هذا الشغب ، لأنه لن ينتج عن هذه المواجهة إلا الشر ، ثم ذهبت بعد ذلك إلى "دوم جيرونيمو" الذي كان قائد هذه المدينة ، لكي أشكو له مما حدث ، فأمر بإعداد وثيقة بذلك ، كما أصدر أمراً آخر بالقبض على "دي سا" في منزله .

ذلك بسبب بعض الألفاظ التي تفوه بها في المحطة التجارية أثناء جمعه للإيجارات ... ، ولكن "لويس كودينهو" أخفاه؟ وبقي في منزله فترة طويلة بعيداً عن مراقب الحسابات ، الذي كان يسعى للقبض عليه ... ، فكتب رسالة إلى الحاكم ، يطلب منه أن يصدر أمراً بالقبض على "لويس كودينو" في "شاول" ، وكان اسم مراقب الحسابات هذا هو "أنطونيو ليتاي" "Antonio Litai" . ، الذي أخذ "كودينهو" إلى "غوا" مقبوضاً عليه .

لقد خرق "أنطونيو دي سا" شروط الإفراج المؤقت عنه وذهب إلى هناك ، فأمر الحاكم باتخاذ الإجراءات القانونية ضده ، ولست أدري ماذا سيفعل في هذه القضية ، ولست أعتقد أن شيئاً سيتم اتخاذه

بشأنها ، لأنه لم ينجز إلا القليل جداً فيما يخص "سيماو دي ميلو" "Simao de Milo" .... ، وحتى الوقت الحاضر لم يحدث أي شيء ، وهذا مثل من الأشياء التي تدل على إن موظفي جلالتكم لا يؤدون عملهم كما يجب عليهم أن يقوموا به ، وبالطريقة التي يجب أن يتم إنجازه بها .

بالتالي تضيع أشياء كثيرة بسبب نقص الشجاعة لديهم ، إن هذا المدعو "أنطونيو دي سا" هو ابن أحد رجال الدين من "أبورتو" ، وأمّه إحدى الراهبات ، وكان من قبل قد قتل أحد الرجال غدراً ، ومنذ أيام قليلة مضت قتل أحد المواطنين السود ولم يتخذ ضده أي إجراء قانوني ، وهو يعيش على هواه في هذا البلد ، ولديه قرية أجرها له "أنطونيو رودريجيس دي كامبوا" "Antonio Roderigues de Camboa" بمبلغ مائتي "برداواس" ، في حين أن إيراداتها تبلغ أكثر من ألف "برداواس" .

إني أكتب هذه التفاصيل إلى جلالتكم لكي تعرفوا مدى الجهد الذي يبذله موظفوك الذين يخدمون مصالح جلالتكم هنا[أ] .

بمجرد أن جاء الحاكم "جارثيا دي سا" وتولى منصب الحاكم ، كتب إليَّ لكي أصنع هنا سفينتين شراعيتين حربيتين ، وأن أبدأ بمجرد أن يحل الصيف ، في إعداد كل المواد اللازمة لبناء القلعة من جديد ، وقد بدأت بالاهتمام بذلك في الحال ، وتم تجهيز إحدى هذه السفن وشرعنا في تجهيز الأخرى ، وبأسعار أرخص بكثير من تلك التي تم صنعها في

(أ) على الهامش : أعدت مذكرة بهذا الشأن لتقدم إلى "دوم أفونسو" الذي كان على وشك الرحيل ، وذلك ليكون على وعي بما حدث ، ويصدر أمره بمعاقبة المذنبين .

"تشاول" ، وتقريباً ربع القيمة أقل من أسعار السفينتين الأخريين ، وجهزنا الكثير من الجير والأحجار استعداداً لبدء العمل في البناء .

قد أعددت لذلك أربعة صنادل لنقلها ، والآن يتم صناعة ثلاثة "كنتالات" من البارود يومياً ، بواسطة آلة قليلة التكاليف جداً ، كما أعددنا كميات كبيرة من قذائف الحجارة والذخيرة الأخرى ، واشتريت كمية من الخشب ، وأرسلت من هنا أيضا إلى حاكم "غوا" ثمانية آلاف "برداواس" من الذهب ، التي أرسلها إلى "كوتشين" .

ذلك لصناعة سفينتين حربيتين أخريين ، وعدداً كبيراً من "الأتورياس" من تلك التي صنعتها هنا من قبل والكثير من "السيفا"؟ وأعواد الثقاب (الكبريت) ومجاديف ، وملح البارود وأنواع أخرى من الذخيرة ، وأشياء أخرى مشابهة لتلك التي تذهب من هنا في سفن المملكة .

قد أرسلت أيضاً من هنا إلى "ديو" أرزاً وكثيراً من الذخيرة للقلعة هناك ، وأيضاً لحفر خندق ، وبناء أسوار داخلية كان "مارتيم كوريا" "Martim Correia" قد بدأ في بنائها ، وبالنظر إلى الحماس الذي ظهر لي أثناء إنجازه هذا العمل ، فإني اعتقد أن كل شيء سينتهي خلال هذا الصيف .

بسبب هذه الأعمال الإنشائية ، سواء في هذه القلعة أو في قلعة "ديو" ، والسفن الحربية التي أمر الحاكم بصنعها ، والتي علمت أن عددها سوف يصل إلى ثمانية أو عشرة ، والحاكم سوف يكتب إلى جلالتكم عن عددها بالضبط ، ، لهذا كله فإني أخشى أننا هذا العام لن نستطيع أن نرسل إليكم شحنة كبيرة من الفلفل ، وذلك لنقص

الأموال ، وأيضاً لأنني علمت أن "روي كونسالفس دي كامينها" يمنع بكل ما يستطيع ذلك و"كوزمي آنس" ، ولكن هذه أخبار الأماكن البعيدة .

أما الحقيقة فإنها سوف تصل جلالتكم هناك ، ومع ذلك فإني لن أكف عن توضيح أنه يتحمل اللوم إلى حد ما ، سواء في المضايقات التي تلقاها الحاكم من "كوسمي آنس" ، وكذلك في أشياء أخرى ، ويجب أن أشكو لجلالتكم من واحدة منها مع أني أستطيع أن أشكو من أشياء كثيرة حدثت عندما كان مراقباً عاماً لحسابات الخزانة ، ولكني لم أدع له الفرصة ليدرك أنني لاحظت ما كان يفعل لأن هذه كانت رغبة نائب الملك ، ومع ذلك لا أستطيع إلا أن أشكو من هذه الواقعة .

والواقعة هي كما يلي :

ترك المدعو "جوام كاريرو" "Joam Cariero" ، من مواطني الجرف ، عند وفاته ابنا وابنة أنجبها من عبدة من عبيدة ، كما ترك لهما ثروة تقدر بثلاثة عشر أو أربعة عشر ألف "برداواس" ، لأن كلاهما هما ورثته .

قد عيّن أربعة أو خمسة لتنفيذ وصيته ، وكنت أنا واحداً منهم ، وقد أوصى بعدم وضع الطفلين أو المال بين يدي "روي كونسالفس" بقصد الربح ، وأن يقوم منفذو وصيته بتزويج الابنة والابن عندما يبلغان سنّ الرشد ، وبموافقة منها ، وبسبب وجود الأوصياء الآخرين في (بلاغات) ، فقد أرسلوا إلى تفويضاً شاملاً للتصرف في تنفيذ الوصية وتزويج الابنة التي كانت قد بلغت الآن سن الرشد .

كان "لروي كونسالفس" ابن أخ /أخت كسيح بريالة مشاكس ، ومدمن للقمار ، لدرجة أنه قامر أكثر من مرة بكل الموارد المالية التي

أرسل بها إلى هنا ، وبما أن المقامرة هي مهنته ، فقد طلب منّي "روي كونسالفس" أن أوافقه على زواج قريبه هذا من ابنة "جوام كاريو" السابق ذكره .

لكن رفضت أن أوافق على طلبه للأسباب التي ذكرتها ، وقد أخبرت زوجته أنها لا يمكن أن توافق على عقد مثل هذا الزواج سراً ، وأرسلنا لها هذه الرسالة عن طريق زوجة أحد المواطنين الأثرياء من خدم جلالتكم ، ثم حدث بعد ذلك أن شقيق هذه الفتاة توفي ... ، وهكذا أصبح المال كله من نصيب الفتاة .

لكن عند عودتي من "غوا" وجدت أنهم زوجوا الفتاة لهذا المعوق قريب "روي كونسالفس" ، وقد حدث هذا دون إذن مني ، إن الفتاة تمتلك ثلاثة عشر أو أربعة عشر ألف "برداواس" ... ، وبهذا القدر من المال كانت تستطيع أن تتزوج من أحد النبلاء دون أن يحاول أي أحد أن يمنع هذه الزواج ، أو حتى يعتبره خطأ .

ما زلت لم أحاول أشكو من هذا الذي حدث إلى نائب الملك ، لأن "روي كونسالفس" كان له ومازال له الآن النفوذ القوى لدى الحاكم ، وقد أخبرت جلالتكم بهذه الواقعة حتى تكونوا على علم ببعض الأشياء التي تحدث هنا ، ولأني أعلم تماماً أن هذه الأحداث سيتم نقلها لجلالتكم بشكل مختلف عن حقيقتها .

أما عن "ملاقا" فأن إيراداتها ظلت تتناقص أكثر وأكثر ، وليس من الملائم أن أقول ما أعرفه عن هذا الموضوع لأني ليس لي يد فيه ، ولدى جلالتكم طريقان للسؤال والحصول على المعلومات بشأن هذا الموضوع .

يجرى نهر "ليمي جواما" من "سوفالا" في اتجاه "موزمبيق" ، وقد جرت في هذا النهر عمليات اختطاف ، وطلب الفدية منذ زمن بعيد وحتى الوقت الحاضر ، ولكن سفن جلالتكم لم تتعرض لطلب الفدية .

لكن بسبب هذه العمليات لا يتم تصنيع إلا القليل جداً في "سوفالا" ، والدليل على ذلك هو كمية العاج الصغيرة التي تأتي من هناك في السنوات الأخيرة ... ، ويبدو أن أمام جلالتكم فقط خيارين : إما أن تأمروا بدفع الفدية لهم هناك ، أو تأمروا بمنع أي شخص من الذهاب إلى هناك ، لأن "سوفالا" سوف تعيد عاجها ... ، (هكذا في النص) .

نحن تنتظر أن تزوّدنا جلالتكم بما ترونه يخدم مصالحكم في هذا الموضوع ، ولكن لا تهملوا أو تعهدوا به إلى حكامكم في هذه البلاد[أ] .

أرسل إلى الحاكم برسالة أرسلتموها جلالتكم إلى "سيماو ماتينيز" المراقب العام للحسابات تطلبون منه أن يتحرى حقيقة ما قام به "دوم جيرينمو" عندما ذهبت الأساطيل لرفع الحصار عن "ديو" ، ومرت من طريقها إلى هذه القلعة ... ، فهل رفض تجهيزها ونفض يديه من المسألة تاركاً كل شيء للوسيط التجاري؟ ، وهل دفع لنفسه مرتبه ، ودفع أيضا مرتب أخيه "دوم فرانسيسكو" أثناء هذه الوقت؟

بما أن المراقب العام للحسابات قد توفي ، فإنه يجب عليّ أن أقوم بتنفيذ أوامركم وأقوم بما كان يجب عليه أن يقوم به لو كان على قيد الحياة .

(أ) على الهامش : ترسل مذكرة بهذا الموضوع إلى "دوم أفونسو" .

قد قمت بذلك بالفعل ، وأجريت تحقيقاً مع ما يقرب من ثلاثين شاهداً دون أن يذكر أي واحد منهم أي شيء من الأشياء التي ذكرتموها جلالتكم ، كما سترون في التحقيق ، وكان كل ما دفعه لأخيه "دوم فرانسيسكو" هو مبلغ ثلاثمائة "برداواس" أو تزيد قليلاً ، وهو المبلغ الذي كان يستحقه من مرتبه ، عندما أبدى رغبته في الرحيل لينضم إلى حملة رفع الحصار ، التي ورد ذكرها من قبل ، وبالإضافة إلى هؤلاء الشهود فقد حصلت على المعلومات بطريقة أخرى .

أؤكد صادقاً لجلالتكم أنني لم أجد أي شيء آخر ، بل وجدت كثيراً جداً عكس ما ورد في الرسالة ، وربما كان "دوم جيرونيمو" بسبب حالته الصحية لم يكن حازماً في هذه المسألة كما كان يجب عليه أن يكون ، وأن كان متحيزاً قليلاً لما فيه مصلحته ، ولكن عندما يتعرض لبعض المواقف فأنه ينفق حسبما يقتضيه العقل ، كما أنه أقرض جلالتكم ما يقرب من أربعة عشر ألف "برداواس" في هذا الصيف الأخير .

ذلك من أجل توفير المؤن لـ"ديو" وأيضاً لأسطول آدم (عدن) الذي كان مشغولاً به بالفعل ، كما أنه قدم نفسه شخصياً وموارده المالية لنائب الملك ، كما ذهب لرفع الحصار عن "ديو" ، وأنا لم أكن في هذه البلاد عندما قتلوا "لويس فالكاو" ، وقد أنهك قواه وأعطاني فكرة واضحة عما حدث هناك ، ومع أنه كان يتحرك بضعف إلى حد ما ، إلا أنه اختير ليكون في مقدمة الصفوف ، لأنه كان أصغر سناً من الحاكم الذي كان قد تقدمت به السن ونهكته الشيخوخة جداً .

أما فيما يخص وفاة "لويس فالكاو" ، فلا يوجد شيء مؤكد حتى

الآن عن الذي يجب عمله إلا مجموعة من الشكوك ، ندعو الله أن يكشف لنا عن الحقيقة لكي تتحقق العدالة ، لأن هذا ما تحتاجه مثل هذه القضايا الجديدة في هذه البلاد ، وهم يرغبون في القول إن وفاته حدثت لأنه عندما انتهى فصل الشتاء ، أرسل ("لويس فالكاو") خمسة آلاف "برداوس" إلى الحاكم "جارثيا دي سا" بمجرّد أن عرف أنه أصبح حاكماً ، وقد أخذ هذا المبلغ من أموال جلالتكم ، ولهذا السبب نقصت مرتبات الجنود والأشخاص المتزوجين ولم يتم دفعها لهم ، وأدى هذا إلى إثارة بعض الشكوك الشريرة .

سوف يرسل إلى جلالتكم بياناً تفصيلياً المراقب العام ولحسابات المنصرف من خزانة المال الذي ذهب إلى هناك لكي يحصل على المعلومات التي تتعلق بوفاة "لويس فالكاو" .

أما ما يتعلق بقضية آدم (عدن) ، فلن أكتب لجلالتكم عنها لأن الحاكم سوف يقوم بذلك ، وسيكون لدى "دوم ألفارو" القدرة على تقديم تقرير مفصل عن هذه القضية وعن "دوم جيرونيمو" ، ويبدو أن ما تم في هذه القضية لم يجعل الرب يرضى بأن تستمر .

قد استطاع "لويس فالكاو" أن يثبت دعائم السلام في "كامباى" ، قبل أن يلقي حتفه ، وقد استقر السلام بنفس الطريقة التي حدث بها في السابق ، والسبب في هذا كان انهم أدركوا أنهم في حاجة إلى التخلي عن العقل ، وقد صار حالهم أفضل منا ، أعني أنه ربما كان المتفاوضون من أجل هذا السلام يقع عليهم بعض اللوم ، لأن كلاهما لم يتفقا في وقت مبكر على ألا يحاول كل منهما أن يكسب على

حساب الآخر ، ولكي يحققوا أرباحهم في هذا الوقت ، الذي تلقى فيه نائب الملك تحذيراً من أب الكنيسة حول هذا الموضوع .

قال له إن الرب قد أهلك بالموت كلا من الشخص الذي لديه هذه الأفكار وأيضاً ذلك الذي يسعى لاستغلال عرق جبين الآخرين ، والشيء المؤكد تماماً هو أن جلالتكم يجب أن تشكروا الله في هذا الجزء ، وأنا أعني به معاهدات السلام .

إني أقول هذا لأن نائب الملك ، عندما تركني في "ديو" العام الماضي ، وكنت مشغولاً بالانتهاء من أغلاق الخندق الداخلي ، عندئذ جاءني أحد المسلمين وتحدث عن هذا الأمر ، وأخبرني أمام "لويس فالكاو" (أدعو الله أن يغفر له) أن ملك "كامباي" كان على استعداد لأن يعطي أي شيء يطلبونه منه بالإضافة إلى العقود التي كانت قد تم الاتفاق عليها من قبل .

قد أرسل الحاكم الآن سفيراً ليطالب بأراضي "مينورا" (؟) وعسى أن يمنحها لنا لأنها كانت الأولى في هذه البلاد ، وستكون هذه نعمة كبيرة ، وندعو الرب أن تكون هذه المفاوضات أفضل من تلك التي جرت في البداية .

كتب "أنطونيو منديس" ، الذي أرسله الحاكم سفيراً هناك ، كتب إلى "مارتيم كوريا" ، قائد "ديو" ، أن هناك في خور "كامباي" توجد سفن تستخدم المجاديف وتطوف بالمكان وتسرق من سفن المسلمين ، مع أن الحاكم كان قد حظر على السفن البرتغالية أن تذهب إلى هناك ، ولكن لا يمكن تجنب هذا تماماً بسبب (enxuqocao) ؟ (كلمة مكتوبة بالقلم الرصاص) الصغيرة

التي توجد هناك وأرجو أن تصدقوني جلالتكم أن هذا شيء ضروري جداً ومفيد لخدمة مصالح جلالتكم في الوقت الحاضر .

للحفاظ على هذا السلام وتجنب الكثير من الشرور ، وبصرف النظر عن الفوائد العظيمة التي ستعود على جلالتكم من جراء منع هذه السفن الصغيرة من الذهاب إلى أي مكان في الخور مما يستلزم إصدار قوانين صارمة ترسل من هنا بخصوص هذا الأمر ، وتنص على عقوبات شديدة لأنه إضافة إلى ما أشرت إليه ، سيكون هناك عزوفاً كبيراً عن الذهاب إلى "كامباي" .

قد بدأ هذا بالفعل في العام الحالي ، وأنا أراقب تنفيذ هذا مراقبة شديدة ، ومع ذلك فقد عملت منذ عشرة أو اثني عشر يوماً أن سفينة تخص أحد "البرتغاليين" قد مرت محملة بالفلفل ، وقد أرسلت وراءها مراقب الحسابات ، ولكنه لم يجدها ، وبالتالي اتجهت إلى هذه المدينة ، ونتيجة لتحقيق أجرى هناك ، تم القبض على برتغالي كان في السفينة التي جاءت إلى هنا .

اعترف أنه حمَّل السفينة والرجال الذين كانوا فيها ، وقد تم بيع السفينة بعد ذلك وكل الشحنة التي كانت فيها ، وأُلقي القبض على البرتغالي نفسه ، ثم أرسلت الرسائل إلى "غوا" حيث جاء الآخرون فقبضوا عليه وأخذوا بضاعته ، وسوف يعاقبونه ، وقد بذل مراقب الحسابات ، وهو في الوقت الحاضر المجاز "فرناو بيريز" ، جهودا عظيمة في هذه القضية .

يبدو أنه رجل يتمني أن بخدم جلالتكم ، ولكن هذا كله قليل

الفائدة إذا قارناه بما سيحدث إذا قيدنا تحركات "البرتغاليين" ومنعناهم من الاقتراب من الخور .

قد حذرني أحد آباء الكنيسة في رسالة بعث بها إلى دون أن يوقعها باسمه ، مما سمعه في الاعترافات من أن بعضهم يعدون لائحة اتهامات ضدي وسيرسلونها إلى جلالتكم .

تقوم على أساس الرسوم التي زدتها على الأرز الذي يقومون بتصديره من منفذين من منافذ الجمارك ، أكثر مما كان يفرض قبل أن أقوم بترتيب عملية التسجيل ، وخاصة في "كارامجا" و"سبايو" ، وهما منفذان من أقصى الأماكن بالنسبة لهذه القلعة ، والحقيقة أنني قمت بهذه الزيادة ، لأنه بدا لي أن هذا أكثر فائدة ويخدم مصالح جلالتكم ولأسباب أكثر من أن تحصر هنا .

لكن هناك سببان فقط منها يكفيان لتوضيح الهدف ، وهما :

إنني برغم زيادة الرسوم الجمركية عن الرسوم السابقة إلا أنها ليست أكثر مما يدفعونه في جمارك "تانا" و"فيلو" ، وأيضاً بسبب أنها مواد غذائية يمنع تصديرها ، وإذا أرادوا تصدير مثل هذه السلع الغذائية فإنه يجب عليهم أن يأتوا إلى هذه القلعة أولاً ويوفروا لها ما تحتاجه ، لا أن يأخذوها إلى أماكن أخرى لا يوجد فيها أحد .

قد خفضت الرسوم على هذا الأرز المذكور حتى يحضره التجار من هذين البلدين إلى هذه القلعة ، وقد لجأ الكل إلى هذه المدينة ، ولكن خطر ببالي أن هذه الاتهامات لابد أنها صدرت عن أهالي "تشاول" ، التي تقع بالقرب من هاتين المدينتين ، حيث إنهم اعتادوا على إعداد

شحناتهم الخاصة ، كما لن يدهشني أن أعرف أنها جاءت من بعض الأشخاص هنا في هذه المدينة ، لأن الكثير منهم يتمنون الشر لي لأني لا أسمح لهم بامتلاك المزيد من الأراضي دون أن يدفعوا الضرائب عنها لجلالتكم .

قد كانوا يدفعونها ، ولكن مجبرين تحت استخدام القوة ، وقد فرضت عليهم هذه الضرائب أن يعملوا في أرضهم ، وإذا كنت قد فعلت في أمور أخرى ما كان يجب ألا أفعله مما يضر بمصالح جلالتكم التي يجب عليَّ أن أرعاها ، فأن لجلالتكم أن تأمروا بقطع رأسي ، ولكن هذا لن يكون أشد شراً مما يحب أن أفعله لخدمتكم ، وذلك بعدم موافقتي على أن يأخذوا أملاككم دون مقابل .

إني لأخشى أن تصدقوا جلالتكم ما قد يقوله عني أولئك الذين يتمنون لي الشر ، وبسبب ما أفعله ، لا يوجد في هذه القلعة إلا قلة من الذين لم يتأثروا به ، ولكن بسبب هذا الذي أقوم به فأن جلالتكم سوف تتمتعون بهذه الزيادة في الإيجارات .

أما أنا فسوف تحل بي السمعة السيئة التي قد يلصقوها بي ، ولكن الله هو شاهدي على ما أقوم به ، وهو يعرف أنني لم أفعل هذا من أجل أن أزيد الإيجارات بل بهدف ازدهار هذه القلعة وزيادة ثروتها ، والدليل على هذا هو أن هذين البيتين من بيوت الجمارك لم تزد موارهما إلا قليلاً عما كانت عليه من قبل .

إني لأدعو الرّبّ أن يطيل في حياتكم ويزيد من أملاكم الملكية طيلة السنوات العديدة القادمة جزاءً لما تقومون به من خدمة في سبيله .

من "باسين" ، في اليوم الرابع والعشرين من ديسمبر ، عام ١٥٤٨م .

"سيماو بوتلو [أ] .

كتب في الظَّرف :

إلى مولانا الملك ، من "سيماو بوتلو" المراقب العامّ لحسابات الخزانة .

إرساليّة أولى .

(أ) على الهامش : لم يأت القادة إلى هنا ، ويثق جلالة الملك في أنّ (القادة) قاموا ، وسوف يقومون ، بما يجب لخدمته .

وتعـد مذكرة لـ"دوم أفونسو" بهذا الشأن . . ، ويجـب عليه أن يراقب زيادة الرسوم ولماذا لم يتمّ تنفيذها؟!

وفي العام نفسه (١٥٤٨م)

أرسل "جاسبار دو كاسال" "Gaspar do Cassal" رسالة إلى الملك ، يحكي فيها بالتفصيل الأحوال في هرمز ، بتاريخ عام ١٥٤٨م : [٨٨]

الرّسالة مقسّمة إلى فقرات ، وقد أحضرها "أليكسو دي سوسا" ، وهي من إعداد "أنطونيو دي سيلفييرا" :

الجزء الأوّل يحكي عن مغادرة سبع سفن وبعض الأمور المتعلقة بمخازن الملك ، وفي الجزء الثاني إلى أين أرسلت تلك السفن؟

في الجزء الثالث المؤنة وبعض الأضرار التي أصابت البلاد ،

في الجزء الرابع الخسائر التي ترتّبت على عدم الحصول على الخيول من البصرة .

في العديد من الأجزاء الأخرى إشارات إلى الأحوال المختلفة للمدينة .

---

(٨٨) رقم الوثيقة والهامش.

لم ترد في الرسالة إشارة إلى التّاريخ أو السَّنة .

سيدي ، أكتب إلى جلالتكم هذه الرسالة التي أقدّم فيها تقريراً شاملاً عن الأحوال في هرمز ... ، وهي مقسّمة إلى فقرات ، وسيحمل الرسالة إلى جلالتكم "أليكسو دي سوسا" ، وقد حرر الرسالة "أنطونيو دا سيلفييرا" .

فقرة : سيدي ، تقدم الفقرة الأولى تقريراً عن سبع سفن ، وبعض الأمور الخاصّة بمخازن جلالتكم .

فقرة : وفي الفقرة التالية تقرير عن المكان الذي أرسلت إليه السفن ، وعن بعض أحوال البصرة .

فقرة : وتتناول الفقرة التالية مشاكل المؤن والأضرار التي أصابت البلد .

فقرة : في الفقرة التي تليها تقرير عن الخسائر التي سببّها عدم الحصول على الخيول من البصرة .

فقرة : تتناول الفقرة التالية بعض أمور (........) .

فقرة : تتعلق الفقرة التالية بجمارك المدينة .

فقرة : تتناول الفقرة التي تليها مشاكل السرقة في المدينة .

فقرة : في الفقرة التالية تقرير عن الأتراك والروم .

فقرة : تتناول الفقرة التالية مشاكل القوافل والبضائع قبل أن تدخل إلى الجمارك .

فقرة : تتناول الفقرة التي تليها أحد موظّفي جلالتكم ، ويُدعى

"أنطونيو منديس" "Antonio Mendes" ، وإشارة إلى ما يفعله في هذه البلدة .

فقرة : في الفقرة التالية تقرير عن موظف آخر من موظفي جلالتكم والذي يعمل وسيطاً تجارياً في المدينة ، واسمه "ديوجو بليجا" "Diogo Pleiga" .

فقرة : تتناول الفقرة التي تليها السفينة الشراعية الكبيرة التي جاءت من البنغال ، والأحداث التي وقعت على ظهرها .

فقرة : في الفقرة التالية تقرير عن سفينة أخرى كبيرة من "مالاقا" ، وما حدث على ظهرها من سرقات .

فقرة : تتناول الفقرة التي تلي بعد ذلك سوء سلوك المترجم الذي يعمل في هرمز .

فقرة : وفي الفقرة التالية تقرير عن الوسيط التجاري لجلالتكم ، والأموال التي في خزانة جلالتكم .

فقرة : وفي الفقرة التالية إشارة إلى قائد البحر السابق "لويس فالكاو" .

فقرة : وتتناول الفقرة التالية الإشارة إلى البحرين والسفينة الشراعية ذات الصاريين ، التي أبحرت إلى هناك للاتجار في اللؤلؤ .

فقرة : وتتناول الفقرة التي تليها بعض أسلاب الحرب التي تعرضّت للسرقة .

فقرة : وفي الفقرة التالية إشارة إلى تكاليف القلعة التي قيل إنها بلغت ثلاثين ألف "كروزادوس" .

فقرة : وتتناول الفقرة التالية منزل "الأوراكاس" الذي كافأه به ملك هرمز .

فقرة : وفي الفقرة التالية إشارة إلى نقص المواد الغذائية ، وعدم تزويدهم بما يحتاجونه منها .

فقرة : وتتناول الفقرة التي تأتي بعد ذلك الأضرار الجسيمة التي سببّها وجود مترجم في هرمز .

هذه هي الفقرات التي سيتم تفصيلها بشكل موسّع في الرسالة التي ستصل جلالتكم ، وما هذه الرسالة إلا مجرّد تذكرة وإشارة إلى الأمور ذات الأهمية لجلالتكم ، والتي تحويها الرسالة الأخرى .

كما قلت ، فقد كتبت هذه المفكرة بالأمور المهمّة لخدمة جلالتكم .

أدعو الله أن يطيل أيام حياة جلالتكم ، وأن يزيد من أملاككم الملكية .

"جاسبار دو كاسال"

وفي العام نفسه (١٥٤٨م)
ورد وصف عن تصدير التوابل والأعشاب العطرية من الهند وأيضاً الأقمشة ذات التصاميم المطبوعة والأرز ، والتجارة في هرمز ، بتاريخ نهاية عام ١٥٤٨م : (٨٩)

تُزرع الأعشاب العطريّة في كلّ من "دابهول" "Dabhol" و"تشاول" ، وأيضاً في أماكن أخرى كثيرة ، ويتم نقلها في عربات نقل صغيرة عن طريق البرّ من "مكّة" ، وكذلك من كثير من الأماكن الأخرى من جميع أنحاء الجزيرة العربية .

هذه الكمّيّات تتّفق وتتناسب مع كميات الأعشاب العطرية المطلوبة سنوياً من الرسائل التي يصدّرها بيت الهند .

"اسكوينتاتي" : زهرة الأسل أو السمار أو الكولان ، وتطلق على قش "مكّة" ، وتأتي أيضا من مسقط حيث يوجد كميات كبيرة جداً منها ، وهي رخيصة الثمن جداً .

(٨٩) رقم الوثيقة والهامش.

"سوقطرة" "ألوي" : وهو عشب يزرع في جزيرة "سوقطرة" ، ومعظمه يذهب إلى "رأس فرتك" "Fartak" في هرمز .

"ريزن" : وهو عشب يستخدم للبخور ، ويتم جلبه إلى الهند من الجزيرة العربية ومن "قشن" و"ظفار" .

كما توجد خمسة أنواع من الصمغ ذي الرائحة الكريهة ، وهي : "أمونياك" ، "جالفانو" ، "أوبوبينكي" (وهو صمغ مر ذي رائحة منفّرة) ، "سارابينو" ، "أساديتيدا" (وهو نوع من التوابل يستخدمه الهنود في الطعام) ، وتأتي هذه الأنواع من الصمغ عن طريق هرمز ، ويُقال إنها تأتي من بلاد فارس .

"رافيتسيتي" : وهو نوع جيد وأصلي من نبات "الراوند البستاني" ، وهو يأتي أيضا من بلاد فارس ، ويتم نقله إلى هرمز عن طريق قوافل الإبل من "خراسان" ، ومن هناك ينقلونه إلى تركيا وإلى أجزاء أخرى كثيرة من العالم .

يزرع "الراوند البستاني" في الصين أيضاً ، لكنه يصل إلى هنا في حالة سيئة تجعل من الصعب الاستفادة منه ؛ لأنهم يقولون إنهم يقطّرونه أولاً ثم يشربونه سائلاً بعد ذلك ، وهذا يبدو حقيقياً ، لأنه عندما يصل إلى هنا يكون ضعيفاً .

"بذور الإكساندرين" : وهي جدية مثل نبات الشيخ "الهندي" ، وتوجد أيضا أعشاب "الإكساندرين" تسمى "وسال أمونياك" التي يسميها صاغة الذهب "أنوكساتر" ، وكل هذه الأعشاب تأتي إلى هرمز ، ولست أدري هل تأتي عن طريق بلاد فارس أو عن طريق "مكّة" ، ولكن

يكفي أن أقول إن هذه الأعشاب وعقاقير أخرى كثيرة يستخدمها الصيادلة تصل إلى أماكن قريبة من "كامباي" ، ولن أضع قائمة بأسمائها لأن الرسائل العامة التي يصدرها بيت الهند لا يطلبها منها .

أما جذور "النردين السنبلي" و"الكوسنوس" ، والتي يطلق عليها أيضا "بوكو" ، و"ثيبس سبيوم" ، والتي تسمى في عدن "أمفيوم" (الأفيون) و"ميرابولانوس كويبولوس[أ] فهي كلها يتم إنتاجها في "كامباي" ، وتأتي هذه الأعشاب في عربات صغيرة من مناطق مختلفة لأنها جميعاً لا تُزرع في هذه البلاد ، ما عدا الأفيون ، الذي يُسمى "آمفيون" في "كامباي" ، ونحن لا نستخدمه في البرتغال .

أما صمغ شحر المر و"البدبليوم" ، فإن هذين النوعين من الأعشاب العطرية يأتيان من أماكن عديدة في الجزيرة العربية ، ومن كل مكان في "كامباي" ، حيث أذهب إلى هناك كل سنة .

الصفحات ٥٨ و٥٩

نفس الشيء نجده على امتداد مضيق "مكّة" ، حيث توجد جميع أنواع النسيج الكتاني السادة ، والأقمشة الخشنة الغليظة (الأقمشة الكتانية) التي تُصنع منها جميع أنواع الأشرعة التي يحتاجون إليها في المضيق ، وكذلك جميع أنواع الأقمشة المطبوعة .

كما توجد أقمشة قطنية على امتداد ساحل الجزيرة العربية ، كما توجد أيضا النيلة و(التربيت) .

(أ) يستخدم في الصباغة (وخاسة الصباغة السوداء في "غوا")

يجلب التجار إلى هرمز كثيراً من أنواع الأقمشة المطبوعة والأقمشة الكتانية ، والتيل بنوعيه الخشن والسادة .

الصفحة ٦٥

مصادر الحصول على الأرز هي "باسرور" ، "باهاتكال" "Phatakal" ، و"مرجان" و"هنوار" "Henoir" ، حيث يوجد فيها وفرة من الأرز تجعلها مكتظة به ، بل يوجد منه ما يكفي لتموين عشر مدن في حجم "غوا" .

تقوم هذه الموانئ بتموين كل ساحل "مالبار" ، وجميع قلاعنا المنتشرة عليه ، كما يتم شحن كمية هائلة من الأرز إلى هرمز .

الصفحة ٧٤

الفصل الرابع عشر : هذا الفصل يصف الطريق الذي اتبعه التجار الذين يتاجرون في التوابل من هرمز إلى طرابلس في سوريا ، المطلة على شرق البحر الأبيض المتوسط .

إن التوابل والأعشاب العطرية التي تنتقل من الهند إلى طرابلس في سوريا ، تبدأ رحلتها بالذهاب أولاً إلى هرمز ، ومن هرمز تنتقل عن طريق البحر إلى البصرة ، ومن البصرة يتخذ التجار أحد طريقين إلى طرابلس في سوريا :

أحدهما عبر صحراء الجزيرة العربية الذي ينتهي عند مدينة "دمشق" ، والطريق الآخر يمر عبر "بابل" القديمة ، التي تسمى الآن بغداد .

تستغرق الرحلة من البصرة[أ] إلى "دمشق" ، عن طريق البر ، وعبر

(أ) ملاحظة على الهامش : تستغرق الرحلة من مدينة دمشق إلى مدينة طرابلس في سوريا سبعة أيام .

منطقة ما وراء النهرين ، ثمانية عشر يوماً ... ، وتبلغ المسافة بين البصرة و"بابل" حوالي أربعين فرسخاً .[أ]

أما الطريق عبر صحراء الجزيرة العربية ، والذي ينتهي عند "دمشق" ، فإنه أقصر ، ورغم ذلك ، وبسبب اللصوص والعصابات من اللصوص الذين ينتشرون في الصحراء ، فإن الأتراك أصدروا أوامرهم لقوافل الإبل وتجار التوابل بعدم اتباع هذا الطريق ، وفضلوا عليه الطريق الآخر الذي يمر عبر "بابل" ومنطقة ما وراء النهرين ؛ لأن القوافل والتجار يكونون في أمان من اللصوص ، وفي نفس الوقت يساهمون في إثراء وتقدم بلاده .

من "بابل" تستمر قوافل الإبل في طريقها حتى مدينة حلب ، ومن حلب تنقل جميع التوابل إلى طرابلس في سوريا في رحلة تستغرق نحو أربعة أيام .

من ناحية أخرى نجد أن الأعشاب العطرية والتوابل التي تُباع في بلاد فارس ، لا يتم نقلها إلى البلاد المطلة على شرق البحر الأبيض المتوسط ، لأن الرسوم الجمركية وتكاليف نقلها باهظة ، فالطريق طويل جداً ، مما يجعل تكلفة النقل أكبر بكثير من قيمة البضائع نفسها .

الفصل العشـرون : يحتوي هذا الفصل على معلومات تتعلق بالكبريت ، الذي يتم الحصول عليه من مضيق هرمز ، وكان الذي

(أ) يستغرق الطريق من "تبريز" إلى "كراميد" سبعة عشر يوماً ، والرحلة من "كراميد" إلى حلب عشرة أيام ، وتستغرق الرحلة من "تبريز" إلى "توكيت" على طول الطريق الشرقي في بلاد ما وراء النهرين أربعة أيام . (هذه الملاحظة الهامشية أضافها فيما بعد الناسخ الثاني) .

يقوم بعملية التزويد بالكبريت هو "سباستياو لوبيز لوباتو" ، الوسيط التجاري السابق في المدينة والقلعة هناك .

تضم مملكة هرمز العديد من الأراضي والمدن على طول ساحلي الجزيرة العربية وبلاد فارس .

تقع مملكة "لار" في الأراضي الفارسية ، وقد سميت على اسم إحدى المدن الرئيسية هناك ، وهي مدينة "لار" ، وتبعد هذه المدينة نحو سبعين فرسخاً عن جزيرة هرمز .

يحيط بمملكتي هرمز و"لار" العديد من البلاد الأخرى ، وتبعد "لار" نحو ثلاثة فراسخ عن سلسلة الجبال التي يوجد بها مناجم الكبريت .

يعمل عدد كبير من الرجال على استخراج كمية كبيرة جداً من الكبريت من هذه المناجم ، رغم أن هذا لا يتم إلا بصعوبة بالغة .

يحصل مولانا الملك من هذه المناجم على الكبريت ، الذي يُحفظ في مستودعات الذخيرة الخاصة بجلالته .

تجري عملية الحصول على الكبريت بالطريقة التالية :

- يكتب الوسطاء التجاريون عقوداً لشراء الكبريت مع يهودي اسمه "إسماعيل" ، وهو من مواطني "لار" ، ولكنه في الوقت الحالي يعيش في مدينة هرمز ، بعد أن جاء إليها من "لار" منذ نحو اثنتي عشرة أو خمس عشرة سنة مضت .

لهذا اليهودي إخوة وأسرة في "لار" ، وعن طريقهم يستطيع الحصول على الكبريت - الذي يتعهد بتوصيله إلى الوسطاء التجاريين .

- يُحزَم الكبريت في أكياس متينة مصنوعة من الخيش الخشن ، ثم يحملونه من "لار" عن طريق الإبل .

- يكلف (بار) الكبريت من الجودة العالية من أربعين إلى خمسين "أزارساً" ، وأعتقد أن الوسطاء التجاريين لمولاي الملك هم الذين رفعوا سعر البار إلى هذا الحد ، لأني أعرف أن البار يساوي عادة من خمسة وعشرين إلى ثلاثين "أزارساً" .

بعد أن بدأ اهتمام مولانا الملك بالحصول على الكبريت ، ارتفعت أسعاره حتى وصل سعر البار إلى خمسين "أزارساً" (هكذا ورد في النص) ، وقد أصبحنا الآن لا نستطيع الحصول على الكميات التي نريدها من الكبريت الجيد ذي الجودة العالية ، البار الواحد يزن أربع "كنتالات" (الكنتال يزن مائة كيلوجرام)

السبب الآخر الذي جعل الكبريت يرتفع سعره إلى هذا الحد هو أن المسلمين يشترونه لكي يتاجروا فيه في المدن المنتشرة على ساحل الهند ، وهذا يعني ، أنهم كانوا يحضرونه إلى "كامباي" ، وإلى المناطق التي يسيطر عليها عادل خان وتلك التي يسيطر عليها نظام مالك .

في هذه المدينة يبيعون البار الواحد من النوع الممتاز من الكبريت بسعر مائتي "كروزادوس" وأحياناً أكثر .

لا يهم كثيراً أن المسلمين يتاجرون في الكبريت لأن كثيراً يعملون أيضا من "البرتغاليين" في هذه التجارة ، ولكنهم في تعاملاتهم يخافون الله أكثر مما يفعل المسلمون أنفسهم .

يحصل البرتغاليون على الكبريت بالطريقة التالية :

يتفاوضون مع المسلمين الذين يتعهدون بإعطائهم بارات الكبريت التي يريدون .

ثم يحضر التجار المسلمون الكبريت إليهم في ميناء "جاسك" ، وهو ميناء عند مدخل مملكة هرمز .

بمجرد وصول التاجر المسلم بالكبريت إلى الميناء ، يبعث بخبر وصوله إلى البرتغالي الذي تعاقد معه ، ومن ثم يذهب هذا الأخير إلى الميناء ليستلم الكبريت ويدفع الرسوم الجمركية المقررة عليه .

بعدها يحمله في السفن الصغيرة التي تذهب به إلى الهند .

كما أنهم يستخدمون نفس الطريقة للحصول عليه من أماكن أخرى ، ويأخذونه إلى موانئ أخرى غير ميناء هرمز ، على مبعدة عشرين أو ثلاثين فرسخاً من ساحل بلاد فارس ، وبعض هذه الموانئ في مملكة هرمز ، وبعضها الآخر في مملكة "لار" .

في أغلب الأحيان يقوم البرتغاليون والمسلمون بشحن الكبريت داخل حدود مدينة هرمز وميناءها ثم ينقلونه بواسطة السفن إلى الهند حيث يبيعونه إلى المسلمين الآخرين .

في بعض الأراضي داخل مملكة هرمز ، والتي تطل على الجانب الفارسي ، توجد منطقة تسمى "دوشكوم" ، وقد اكتشفوا الكبريت حديثاً في هذه المنطقة ، ورغم أنه من النوع المناسب جداً لصنع البارود ،

إلا أن جودته متوسطة ، ولذا فإن البار الواحد يتراوح سعره من خمسة وعشرين إلى ثلاثين "أزارساً" .

يتبع مملكة هرمز قلعة تسمى "موغستان" التي توجد على قمة جبل مرتفع جداً يمتد فرسخين بعيداً عن البحر داخل البلاد ، وتقع هذه القلعة داخل أراضي مملكة لار ، ومنذ ثلاث سنوات قام أحد قادة ملك "لار" بالاستيلاء عليها ، وقد تم ذلك لأن بعض الحراس خانونا وسلموا القائد بعض المواقع التي كانوا يقوموا بحراستها .

توجد بالقرب من هذه القلعة سلسلة أخرى من الجبال التي تحتوي على كمية كبيرة من الكبريت ، ولكنه من نوع جودته قليلة جداً ، ولذلك فإن البار الواحد منه يساوي خمس أو ست أو سبع "أزارس" على الأكثر .

توجد كمّيّات كبيرة جدّاً من هذا الكبريت ذي الجودة الرديئة ، ويمكنهم الحصول على كل لكميات التي يريدونها من هذا النوع دون صعوبة تذكر .

ينقل كل من التجّار المسلمين والبرتغاليّين كمّيّات كبيرة من هذا النوع من الكبريت إلى "كامباي" وإلى البلاد الأخرى التي يسيطر عليها المسلمون ، حيث يبيعونها هناك ، ومعظم البارود الذي يستخدمونه مصنوع من هذا الكبريت .

يقول المسلمون أن البارود المصنوع من هذا النوع من الكبريت يفقد تأثيره بعد شهرين أو ثلاثة من صنعه ، ومع ذلك فإنهم يصنعون منه باروداً جيّداً جدّاً ؛ لأن هذا الكبريت قوي جداً ، وللحقيقة أنهم قد

استخدموه لتدمير وهدم قلعة "ديو" ، ولو شاء "الجوازيل" نائب الملك في هرمز ، فإنه يستطيع أن يضع كل هذا الكبريت تحت المراقبة الصارمة ، عندئذ لن يستطيع أحد من التجار البرتغاليين أو المسلمين أن يحضر رطلاً واحداً إلى الهند ، ولكن هذا النائب من المسلمين ، ويسعده كثيراً أن يسمح لهم بالحصول على الكبريت وفي الحقيقة لا يستطيع أحد أن يلومه على فعل هذا .

يستطيع قادة هرمز أيضاً مراقبة حركة الكبريت ، ولكن ليس بالشكل الشامل الذي يستطيعه نائب الملك ، ومع ذلك فإنهم يستطيعون الاستفادة من مركزهم بشكل أكثر فاعلية .

على أية حال فإني لا أهتمّ بالمسلمين ، ولا أستطيع أن أقول أي شيء عن قادة هرمز إلا أن أدعو الله لهم ليساعدهم ليعيشوا حياة سعيدة وليسلكوا الطريق القويم ، ولينجحوا في عقاب أولئك الذين يعيشون حياة شريرة ويورطون أنفسهم في تجارة غير مشروعة .

هذا كل ما أعرفه عن الكبريت ، والتجارة ، وكيف يمكن الحصول عليه ، وأيضاً أين يستخدم ، ومتى يجب عدم استخدامه ، لأنه ممنوع بالقانون الإلهي ، وطبقاً للقوانين الأخرى التي أصدرها مولاي الملك .

***

الفصل الثالث والعشرون : يحتوي هذا الفصل على معلومات عن موارد مدينة ومملكة هرمز ، قدمها "سيباستياو لوبيز لوباتو" ، الوسيط التجاريّ السّابق في تلك البلاد : -

عندما تكون مملكة "كامباي" في حالة سلام ، فإن تجارها يأتون إلى

هرمز ، وتصل إيرادات جمارك هرمز من الرسوم على السلع التجارية والبضائع التي تأتي من "كامباي" إلى حوالي ثلاثين ألف "أشرفي" ، وفي بعض السنوات تصل هذه الإيرادات إلى نحو خمسة وأربعين ألف "أشرفيّ" .

عندما لا تعاني بلاد فارس من الحروب أو المشاكل التي تمنع تجارها من إحضار سلعهم وبضائعهم إلى هرمز ، فإن إيرادات ضرائب هذه البضائع تصل إلى خمسة وثلاثين ألف "أشرفي" .

عندما تكون "ديو" ، التي يسمونها أيضا بلاد السند ، في حالة سلام ، ويستطيع تجارها أن يبحروا إلى هرمز ، فإن البضائع التي تأتي إلى جمارك هرمز تغل إيرادات تتراوح بين ثمانية وتسعة آلاف "أشرفيّ" .

تبلغ إيرادات الضرائب التي يدفعها البرتغاليون سنوياً على بضائعهم في جمارك هرمز ما بين عشرة آلاف وثلاثة عشر ألف "أشرفيّ" .

لكن هذه الإيرادات تتأثر أو تنقطع على نحو متكرر بسبب الحروب والمشاكل الأخرى التي تنشب بين الملوك والسادة ملاك الأراضي ، والتي يضطر التجار المرور من خلالها ، ولذلك لا يمكن الاعتماد بشكل كامل على مبالغ الإيرادات التي جاء وصفها فيما سبق ، وكما سنرى في قائمة الإيرادات التالية : -

في عام ١٥٤٣م بلغت حصيلة إيرادات جمارك هرمز ألف وثمانين "أشرفياً" ذهبيا ، وكان ذلك لأن أعداداً غفيرة من التجار في بلاد كثيرة جاءوا إلى هرمز ومعهم كميات كبيرة من السلع التجارية .

وفي عام ١٥٤٤م كانت إيرادات جمارك هرمز ثلاثة وتسعين ألف "أشرفي" تقريباً .

وفي عام ١٥٤٥م ، كانت عائدات ضرائب جمارك هرمز أربعة وستين ألف "أشرفي" ، وذلك في الفترة من الأول من يناير إلى الخامس عشر من أكتوبر من نفس العام .

في الفترة ما بين الخامس عشر من أكتوبر وحتى نهاية العام نفسه بلغت حصيلة إيرادات الضرائب مبلغاً يتراوح بين اثني عشر وثمانية عشر ألف "أشرفي" ، رغم أن جمارك هرمز في تلك الفترة الأخيرة لم تحصل على أي إيرادات .

في عام ١٥٤٦م ، كان ناتج حصيلة إيرادات ضرائب جمارك هرمز تسعة وثمانين ألف "أشرفيّ" ذهبيّ فقط ، رغم أن كمية البضائع الذي دخلت هرمز في ذلك العام لم تكن أقل من البضائع التي دخلت البلاد في أي من الأعوام العشرين الماضية .

ويتراوح الدخل السنويّ[أ] من إيرادات جمارك هرمز ما بين ثمانين ألف أو مائة ألف "أشرفيّ" ، وقد توصلت إلى هذه المعلومات من خلال ما أعرفه عن قلعة هرمز منذ وقت بنائها في عام ١٥١٥م حتى العام الحالي ١٥٤٨م .

(أ) ملاحظة على الهامش : لم تزد إيرادات جمارك هرمز في عام ١٥٤٨م عن ستة عشر ألف برداوس من العملات الزائفة التي ربما تنخفض إلى نحو أربعة عشر ألف أشرفيّ من العملات الصحيحة ، ولم يكن ذلك بسبب الحرب بل كان بسبب عدم كفاءة الخدمات التي قدمها نائب ملك هرمز والمسؤولون في المدينة من أجل مولاي الملك .

لكن الإيراد[أ] هذا العام لن يصل إلى ستّين ألف "أشرفيّ" ، وذلك بسبب الحرب مع "كامباي" .

قد توقّفت حركة التجارية البحرية من البصرة لأن في ذلك خدمة لله ولمولاي الملك ولمصالح دولية في هذه البلاد .

قد تم توقيع عقد تأجير "باسين" لهذا العام ١٥٤٨م .

الفصل الرابع والعشرون : في هذا الفصل وصف لطريقة صنع طوب (آجر) "تشارو" ، وهو نوع من الإسمنت يتم تصنيعه في هرمز : -

أوّلاً : على الصانع أن يحدد المكان الذي يوجد فيه نوع من الطين الخفيف واللزج جداً ، وهذا النوع يوجد في هرمز وهو طين أبيض نقي خالٍ من طين الأرض والرمل .

بعد ذلك يتم خلط الطين مع الروث المتعفن للخيل أو للماعز ، وخاصة الروث القديم الذي يتم الحصول عليه من مقالب الزبالة والمجارير العامة ، وهي توجد في المدينة وفي حظائر الخيل أو المواشي ، وبعدها تستخدم المياه العذبة في خلط الروث بالطين معاً بنسبة الثلثين للروث والثلث للطين ، ثم يعجن الخليط بشكل كامل ويُهرس تحت الأقدام ، وبعد أن يتم عجنه يتم تشكيله في قوالب وأشكال أخرى ، في

(أ) ملاحظة : في النّصّ تقرأ هذه الجملة كما يلي : "لن يكون الإيراد" وفي الملاحظة الهامشيّة تقرأ الجملة هكذا "لم يكن الإيراد" ، ولذلك فإنه يمكن الافتراض أن الملاحظة ، رغم أن الناتج نفسه هو الذي كتبها ، إلا أنها أضيفت في وقت لاحق ، ولكن في نفس السنة ١٥٤٨م في الفترة بين أكتوبر وديسمبر ، وكان هذا في منتصف فترة إدارة "جارثيا دي ساس" .

حجم أطباق تقديم الطعام الصغيرة ذات سمك متوسط ، وبعد ذلك يجب وضع هذه الأطباق في الشمس حتى تجفّ تماماً .

عندما تجفّ القوالب تماماً (تُخبز) أو (تُشوى) بالطريقة التالية : توضع كمية من أخشاب الوقود الصغيرة على رقعة من الأرض ، وتكون واسعة بما يكفي لخبز هذا الطين عليها ، ثم توضع هذه القوالب ، واحداً فوق الآخر ، مع ضمان أن تتلقى جميعها كمية الحرارة نفسها من النار .

يوجد رجل بالقرب من مكان الخبيز تكون مهمته تزويد النار بالوقود أثناء هذه العملية ، ويحرص على استمرار احتراق خشب الوقود حتى يتم خبز الطين بشكل تام ، ويعتبر هذا الرجل أحد الموظفين العموميين المسؤولين ... ، وهذه هي الطريقة التي يكسب بها معاشه ، وهذا كل ما يمكن قوله عن عملية الخبيز .

بعد أن يتم خبيز قوالب الطين فإنها تُطرق أو (تُضرب) بنوع من العصى يصنع خصيصاً لهذا الغرض ، وبقدر عدد العمال المتوفرين لسحق أو لعفص هذه القوالب ، فإنهم يضعون الكمية المناسبة منها على الأرض أو في المنزل المعد لعملية سحق هذه القوالب ، وكلما ازداد عفص الخليط كلما كان ذلك أفضل لأنه يصبح أقوى ويمكن أن يؤدي وظيفته بشكل أكثر فعالية .

بهذه الطريقة التي سبق وصفها يتم صنع هذا المعجون ، ويعتبر هذا المعجون واحداً من أغرب مركبات البناء المعروفة في العالم .

لكن لكي يكون العمل جيداً حقاً ، فإن على العمال أن يقوموا بسحق هذا النوع من الطين مباشرة وهو ما يزال ساخناً ، ولا يجب

عليهم أن يتأخروا في تنفيذ هذه العملية لأن قوالب الطين إذا بردت أصبحت غير صالحة إطلاقاً للاستخدام .

إذا انتظروا عدة أيام بعد أن يتم عجن الخليط ، فإن عليهم أن يقوموا بعملية العفص مرة أخرى حتى يملطوا الطين وتظهر خصائصه ليستطيعوا بعد ذلك استخدامه .

الفصل الخامس والعشرون : يحتوي هذا الفصل على معلومات قدمها "خواجا بيرغلوم" تتعلق ببعض الأمور في بلاد فارس :

يطلق اسم فارس على الأراضي التي تقع بين هرمز و"شوستار" ، وهي مدينة قريبة من البصرة ، وتعتبر كل الأراضي التي تقع بين "شوستار" و"بابل" ، ويبن هرمز و"سيستام" جزءاً من الإقليم نفسه ، وتقع "سيستام" على الحدود بين أرض الملك وفارس .

تبلغ الرحلة من داخل أراضي هرمز إلى البصرة وما بعدها إلى "لار" ، ومن "لار" إلى "شيراز" ، ومن "شيراز" إلى "أصفهان" ، حوالي مائتي فرسخ ، وكل هذه الأراضي داخل نطاق فارس ، وبما أن إقليم فارس هذا هو الأكبر في البلاد ، فإن هذه البلاد نفسها اتخذت اسم بلاد فارس .

تبلغ المسافة بين "أصفهان" و"يزد" خمسين فرسخاً ، ومنها إلى "سنّا" ثلاثين فرسخاً ، وهنا نجد ممراً يفصل تلك الأراضي عن أرض "خراسان" ، كما تبلغ المسافة بين "أصفهان" و"مازاندران" "Masandaran" ثلاثين فرسخاً ، وهذه المدينة الأخيرة تقع على حافة بحر "قزوين" ... ، وبين "أصفهان" و"همدان" ، وهي مدينة تقابل مدينة "بابل" ، وتقع بين "أصفهان" و"كاشان" .

وتبلغ المسافة من هذه المدينة إلى مدينة "قم" ثمانية عشر فرسخاً ، ومن "قم" إلى مدينة صباح اثني عشر فرسخاً ، ومن صباح إلى مدينة "غزوين" ستة وعشرين فرسخاً ، ومن "غزوين" إلى مدينة السلطانية أربعة وعشرين فرسخاً ، وكل هذه المدن والأراضي تسمى إقليم العراق .

كما يتبلغ المسافة بين مدينة السلطانية ، التي تقع على حدود العراق و"أذربيجان" ، وبين بلاد ما وراء النهر مائة فرسخ ، ومن السلطانية إلى مدينة "تبريز" خمسين فرسخاً ، وتسمى هذه الأرض "أذربيجان" .

يسمى كل الناس الذين يعيشون في الأراضي التي تقع بين "تبريز" وتركيا ، الأرمن ، وهم من رعايا الشاه .

لا يوجد مسيحيون إلى الجنوب من "تبريز" ، ويعبد كل رعايا الشاه الله ومحمد (صلى الله عليه وسلم) الذي قيل إنه بقي في مكانه وكان التتار قد استولوا على كل هذه الأراضي من الشاه ، وكانت أراضيهم الرئيسية في "كابلديس" ، وقد استمرت سيطرتهم حتى وصول تيمورلنك العظيم ، الذي هزم الجزيرة العربية كلها .

وأيضاً الأراضي التي تقع الآن في حوزة السلطان التركي ، ويعني هذا : أراضي تركيا القديمة حتى حدودها مع اليونان ، بعد ذلك انقسمت هذه الممالك مرة ثانية بين مجموعة مختلفة من الأمراء ، وظل الأمر كذلك حتى وصل الشاه "أسام باتش" ، وكان لكل إقليم أميره ، ولكن الشاه هزم معظم هذه الأقاليم ، ثم تزوج الشيخ إسماعيل إحدى بنات الشاه وورث كل شيء من والد زوجته .

قد استطاع بعد ذلك باستخدام العنف أن يتغلب على هذه الممالك

ويخضعها لحكمه ، ولكنه ظل يشن حرباً شرسة جداً على الأتراك ، وحرباً أخرى أشد شراسة ووحشية ضد التتار .

هذا الشاه كان له ابن اسمه "شاه طاهماسب" ، وهو الذي يحكم الآن ويسيطر على كل هذه البلاد التي ورد ذكرها فيما سبق ، وهو دائماً في حالة حرب شرسة ضد السلطان التركي ، ولكن معركته الحقيقية ، والتي تسبب له أشد الضرر ، هي معركته ضد التتار ، ورغم أنه يريد أن يكون جاراً مسالماً لهم ، وهم من ناحيتهم ، ليس لديهم أي نزاعات أخرى غير هذا النزاع ، إلا أنهم يشنون حرباً شرسة جداً ضده ، فهم لديهم خبرتهم القتالية الطويلة ورجالهم يتمتعون بالشجاعة ، ويسمّى ملكهم "أوزبك" .

وفي العام نفسه (١٥٤٨م)

صدر تقرير عن إعداد أسطول برتغاليّ إلى عدن ، بتاريخ عام ١٥٤٨م : [٩٠]

الحاكم يُعدّ أسطولاً يبعث عليه ابنه "دوم ألفارو" إلى عدن ، يرفض الرجال الصعود على السفن قبل سداد أجورهم ، الطريقة التي استخدمت لصعود بعض الجنود ، حيث غادر بعدها "دوم ألفارو" ، يسقط الحاكم صريع الحمّى ، يدخل الجنود إلى منزله حاملين علماً ، طبلاً ونايا للتفاوض معه ، يعود هو إلى "غوا" حيث يزوره سفير "الأنيز يمالوكو" ...

الأخبار التي تلقّاها الحاكم عبر مركب بعث به إليه "دوم بايو" ومن السفير المسلم الذي جاء على ظهره ، كان عن الأحداث التي جرت في عدن ، والتي بددّت مخاوفه وأشعرته بالرضا ، كانت أيضا راحة عظيمة لضميره حيث لم يتمكن من الذهاب ومساعدة الجنود

(٩٠) رقم الوثيقة والهامش.

واعتبر أن من حسن حظه وكان تشريفاً له أن يكون قد أضاف خلال فترة وظيفته مدينة بهذه الروعة وذات شهرة في كل ذلك الإقليم إلى دولة الهند .

عندما سمع أنه شقيق الملك المسلم الذي أرسله ، عرض الحاكم على السفير ترحاباً واحتراماً بناءً على مركزه السامي ولأنه جاء بتلك الأخبار السعيدة ، وبعدها مباشرة أعد أسطولاً بحجم كبير من الزوارق رداً لرسالته وكان عليه أن يسرع بتموينه بكافة ما يلزم ويؤمن بكم هائل من القوات .

عندما تحين الجنود الفرصة التي كانوا يحتاجونها ، استعادوا جأشهم وقالوا بوضوح أنهم لم يصعدوا على ظهر السفينة إن لم يؤد لهم الحاكم أجورهم حتى وهم يعلمون أنهم بذلك الفعل قد يفقدون أرواحهم .

عندما أخطر بذلك أصابه كربٌ عظيمٌ لأنه لم يكن يملك لا المال الذي يوفيهم به حقوقهم ولا المنطق الذي يجعله يتصرف بحده معهم طالما يملكون سبباً وجيهاً وتقف العدالة في جانبهم .

بعد التباحث في الأمر مع الزعماء من النبلاء تضرع إليهم لأن الأمر يتعلق بخدمة الملك وشرف تلك الدولة ، وأن عليهم مد يد العون وإظهار الكرم للرجال ، وتوفير أفضل ما يمكن ، بهذه الخدمة سيهدأ غضبهم وعنفهم وحثهم على المساعدة في الأمر بكل ما يحمله من قيمة ومصلحة له وللدولة وقبلوا جميعاً ذلك بكل حسن نية .

"مانويل دي سوزا" ، "دوم بيرناردو دي نورونها" "D . Bernardo de Noronha" ، "دوم جيرونيمو دي مينسيس" "D . Jeronimo de Meneses" ، قائد

القلعة ، "فرانسيسكو دا كونها" ، "فاسكو دا كونها" ، "دوم أنطونيو" وآخرون بدأوا في الحال بتوفير الخبز على سطح السفينة ، حيث هدأ الجميع .

بعد عدة أيام بدا فيها الجنود أكثر هدوءاً ، قام كل من النبلاء مع مجموعته بكل ما أوصوا به ، شارحاً للرجال مقدار حاجة الحاكم لهم في تلك اللحظة ومبرراً المصادر التي معه حتى يؤدي لهم ما عليه .

عند هذا أجابوا بأنهم تفهموا الموقف وحقيقة الوضع ، إلا أنهم لن يستطيعوا العمل وهم عراة وجياع ، وأن عليه أن يجد طريقة ما ليسدد لهم شيئاً ما حتى وإن كان القليل لأنهم بدون ذلك ، فإنهم غير مستعدين للصعود على ظهر السفينة .

لم يبق معه أسلوبٌ يمارسه لم يحاوله لحل تلك المعضلة ، أمر الحاكم بأن يجتمع السادة مع كل الرجال في الميدان ، حيث ألقى "مانويل دي سوزا" الذي كان يتمتع بالاحترام الشديد والسلطة بين الجنود بحديث طويل أمامهم ، أبدى فيه الكثير من الأسباب نيابة عن الحاكم ، إلا أنها لم تكن ذات فائدة أو مقنعة لأن القرار كان قد اتخذ من الجميع بعدم الصعود قبل أن يتلقوا بعضاً من مستحقاتهم .

أكثر من هذا ورداً على هذه الحاجة بدأ السادة بتوزيع خمسة أو ستة "باردوسات" من مالهم الخاص لكل رجل بناءً على حاجته ، وقد أعدوا مذكرة بكل ما سلموه لكل منهم .

تمكنوا بهذه الطريقة مع بعض الصعوبات من حشد مائتي رجل ، بما أنهم لم يسلموا كل ما يحتاجونه إلا أنهم كانوا مجبرين على الثقة فيهم ، تسبب

ذلك في تأخير كثير ، فاستدعى الحاكم "دوم جواو دي اتيدا" ، "جوميز دا سيلفا" و"أنطونيو دا فيجا" "Antonio da Vega" وأمرهم بإعداد أنفسهم على نفقتهم الخاصة والذهاب مباشرة إلى عدن وانتظار "دوم ألفارو" الذي كان يقوم بتجهيز نفسه ، غادر ومعه ثلاثة وعشرون مركباً بعد خمسة عشر يوماً وهو أكثر استعداداً بقدر المستطاع .

أبحرت أيضا ثمانية مراكب من "غوا" بأمر من الحاكم وثلاث سفن مع المؤن التي كان عليها بعض التجار يحملون أدوية لبيعها في عدن .

تواجد أيضا مركبٌ شراعيٌ عليه مدفعية وذخيرة ، كان على كل تلك السفن الانضمام لـ "دوم ألفارو" في "سوقطرة" .

في كل هذا الأسطول لم يكن هناك أكثر من ثلاثمائة من الرجال المقاتلين ، أحد المسلمين شقيق ملك عدن ، رافق "دوم ألفارو" ، وقد أعطاه الحاكم بعض قطع المدفعية الجيدة ، وذهب معهم أيضا ابن ملك "قشن" ، وقد جاء بطلب للحاكم بالمساعدة في طرد الأتراك من مدينته ، حيث قاموا ببناء حصن هناك ، وأجبروه على دفع جزية لهم .

كانت أوامر الحاكم لابنه بأن يذهب مباشرة إلى عدن ، ويستولي على المدينة ، ويوفر لها المؤن ويحصنها بكل ما هو ضروري ، كما عليه إبداء الكثير من الاحترام للملك ومعاملة الناس جيداً ويوفر العدالة للجميع ، كما عليه عدم السماح بأي فوضى من جانب رجاله وترك من يرتكب جرماً بغير عقاب في تلك البلاد .

عند الاستيلاء على المدينة عليه إخطاره بكل ما يراه ضرورياً .

بعد ترتيب كل أموره يبعث إن كان ممكناً بضابط مع خمسين أو ستين رجلاً إلى "قشن" وتدمير الحصن التركي وطردهم من المدينة .

قدم له أيضا تعليمات أخرى ، لذلك غادر "باسين" في مارس عام ١٥٤٨م .

بينما كان الحاكم يصدر تلك الأوامر كان الرجال يضايقون "لويس فالكاو" مطالبين برواتبهم ، لذلك بعث له برسالة يقول فيها بغض النظر عن الاهتمام والعناية التي أوليتها لهم ، إلا أنهم يرفضون الذهاب معه ، وغادر خمسة منهم إلى داخل البلاد ، ويخشى أنهم إذا قوبلوا بترحاب من قبل الملك أن يهجره الجميع .

طلب أيضا من الحاكم أن يبعث له ببعض الرجال الموثوق بهم لمساعدته في الحراسة ، لأنه لا يثق في الذين معه .

اجتاح الغمّ والكدر الحاكم ، فسقط مريضاً بحمّى شديدة ، ورفض مقابلة الجميع ، وقد اقتنع الرجال بأن مرضه كان مختلفاً حتى لا يواجههم ويطلبوا منه المساعدة في سد احتياجاتهم .

تجمع حشد من الجنود في أحد الأيام منظمين في طوابير حاملين علمهم وآلة موسيقية وطبلاً وتوجهوا نحو منزل الحاكم ، وهم يطلقون نيران بنادقهم بفكرة أن يجعلوه يخرج لهم ليرى ما يحدث ثم يسلموه مطالبهم .

عندما سمع الحاكم قرع الطبول ونيران البنادق أدرك ماهية الأمر ، وطلب من "مانويل دي سوزا" ، الذي حدث إن كان متواجداً معه في تلك اللحظة ، أن يذهب ويبعد ذلك التجمع من أمام بابه .

خرج "مانويل" من منزل الحاكم حاملاً قبعة في يده وبكلمات كيسة ورقيقة فرضتها حكمته في تلك اللحظة (وهي الطريقة التي هدأت القلوب الغاضبة التي كانت مليئة بالوقاحة والتي ظلت تستمع للكلمات القاسية والمعاملة السيئة) ، والتمس منهم الانسحاب لأن الحاكم كان في حالة لا تسمح له بالتحدث أو الاستماع لأي أحد .

قال ذلك بطريقة جعلتهم ينسحبون في هدوء .

على أي حال ، كان الحاكم يدرك مدى تهورهم ، فبعث برجل من منزله ليراقب ويتعرف على من كانوا يحملون العلم والناي والطبل ، وأمر بعد ذلك بإرسال مائة وخمسين رجلاً إلى "ديو" حاملين الأموال لسداد أجورهم وكذلك أجور أولئك الذين في القلعة وعليه ذهبوا جميعاً بكامل رغبتهم .

رأى الحاكم أن عليه الانسحاب إلى "غوا" وذلك لاقتراب فصل الشتاء .

بما أنه كان يشك في إمكانية إبرام السلام طالما أنه لن يتمكن من إرسائه مع "كامبي" ، أصدر أوامره مرة أخرى عبر المترجم بأن تعلن الحرب على "باسين" و"تشول" .

عندما قرر الصعود على السفينة تلقى معلومات تفيد بمن كان يضرب على الطبل عندما جاء الجنود إلى منزله وأمر بأن تقطع اليد التي تفعل ذلك من الرجل مع الإعلان بأنه كان يثير التمرد وهو خائن لخدمة الرب وسيدنا الملك ، واعتقل الرجال الذين كانوا يعزفون على الناي وحامل العلم وأخذوا كسجناء إلى "غوا" لتقديمهم للمحاكمة

هناك ، لكنهم هربوا أثناء الطريق ، إما باجتهادهم الخاص أو سنحت لهم الفرصة للقيام بذلك بتواطؤ مع آخرين .

كان شهر إبريل قد حلَّ عند الأسبوع المقدس حينما وصل إلى "غوا" مع قلة من الرجال وهو مازال يشكو من الحمى ، فاتخذ سكناً في بعض المنازل خارج المدينة ، كونه قرر عدم الدخول إليها حتى وصول ابنه "دوم ألفارو" .

لكنه أجبر على الذهاب إلى مسكنه في المدينة لمقابلة سفير "الانيزيمالوكو" الذي وصل مع "داورتي باربودو" "Duarte Barbodo" الذي كان قد بعث به إلى هناك للقيام بعملية ضد "عادل خان" .

طلب الحاكم أن يحضر السفير بواسطة "دوم دييجو دي الميدا" قائد المدينة يرافقه حشد من الناس على ظهور الخيل ، واستقبله هو بترحاب عظيم ، عند وصوله إلى المنصة التي كان يجلس عليها ، وقف قليلاً من على كرسيه ، وجعله يجلس على وسادة ، تحدثوا بعدها لفترة قصيرة ، وقدم له السفير هدية جاء بها معه ، ودعه بعد ذلك ، وأخذ إلى مقر سكنه بنفس الحشد الذي رافقه عند وصوله .

وفي العام نفسه (١٥٤٨م)

جاءت أحداث مسقط والبصرة ، وكذلك أخبار عظيم التّرك الذي بعث رسوله "علي شلبي" لأخذ خمس عشرة سفينة ذات مجاديف من البصرة إلـى السّويس : [٩١]

تقدم "دوم فيرناندو" لإيجادهم ومعه أسطوله ، وعند رؤيتهم عاد إلى مسقط ،

بعد المعركة الشرسة التي تمّت بينه وبين "غونسالو بيريرا ماراماك" مسقّط .

بعد المعركة الشرسة التي تمّت بينه وبين "غونسالو بيريرا ماراماك" "Goncalo Perriera Maramac" ، هرب "باربار وسا" "Barbarosa" من "دوم دييجو دي نورونها" "Diego de Noronha" وانسحب إلى البصرة مع السفن التي تحت إمرته ، تلقى عظيم الترك في الحال أخباراً عما حدث في اليابسة ، الأمر الذي أحزنه كثيراً وجعله توّاقاً للانتقام ،

(٩١) رقم الوثيقة والهامش.

حدث في ذلك الوقت أن كان هناك قرصاناً في البلاط يدعى "علي شلبي" وهو موظف كبير سابق في البلاط بالقاهرة ، رجل ثريّ جدّاً ومحبوب عند الباشوات .

كان هذا الرجل شغوفاً بأن يؤدي تلك الخدمة لعظيم الترك ، الذي شعر نحوه بتعاطف شديد ، لذلك اقترح على الباشوات أن يذهب ويأخذ معه الخمس عشرة سفينة إلى السويس ، وكان عظيم الترك قد أمر "بارباروسا" أن يقوم بذلك ، مضيفاً أن تلك لم تكن عملية حكيمة أن يوكل مثل هذه المهمة الهامة لرجل تنازل وسلم قلعة "القطيف" للبرتغاليين دون أن يسمع صليل سيف واحد .

بما أن الباشوات كانوا أصدقاءه ، ناقشوا الأمر مع عظيم الترك حتى يقبل بالعرض وغادر "علي شلبي" في الحال متجهاً نحو البصرة ، وتولى قيادة الأسطول وبدأ في إعداده وترتيب أموره حتى يغادر في بداية أغسطس .

في أول يوليو بعث "دوم فيرناندو دي مينسيس" ابن نائب الملك الذي كان وقتها في هرمز ومعه أسطول قوي ، بعث بثلاث سفن خفيفة كان ربابنتها هم :

"جوميز دي سيجويرا" "Gomez de Segueira" ، "لويس دي أجويار" "Luis de Aguiyar" و"سباستياو دي ماسيدو" "Sebastiao de Macedo" ، ومعهم أوامر بأن يتمركزوا عند مدخل مضيق البصرة ليتجسسوا على السفن ، أحدهما كان عليه أن يأتيه بالأخبار عما يستجد والآخران أن يبقيا في مراقبة دائمة حتى مغادرة تلك السفن .

عندما وصل أولئك الربابنة إلى الموقع الذي حدد لهم ، علموا من بعض المراكب التي استولوا عليها بأن "علي شلبي" قد وصل ، وانه كان مع تلك السفن في المياه يستعد للمغادرة .

عند تلقي هذه المعلومات غادر "جوميز دي سيجويرا" في الحال .

"بيرنارديم دي سوزا" "Bernardim de Susa" قائد القلعة كانت له خطته الخاصة ، حيث قام بإرسال بعض الجواسيس متنكرين في زي صيادي الأسماك لبيعها للسفن التركية ولاحظوا عن قرب ما كان يحدث عندهم دون أن يشك فيهم أحد ، وكان "بيرناردم دي سوزا" يتلقى منهم أخباراً بصورة مستمرّة .

في أيام قليلة من بداية أغسطس ظهر "علي شلبي" من المضيق مع سفنه ، وكان قد تمت رؤيته من قبل سفننا التي كانت تجوب المياه هناك ... ، وصلت الأخبار في الحال إلى "دوم فيرناندو" الذي كان قد صعد في نفس اليوم على سفن المجاديف التي كانت جاهزة وغادر إلى مسقط حيث بقيّة الأسطول ، رافقته "دوم أنتاو دي نورونها" على سفينة شراعية مع أربعين من الجنود والعديد من النبلاء ... ، وعند وصولهم إلى تلك الميناء انتقلوا إلى السفن الأخرى ، وبرفقة كل الأسطول ذهبوا في إثر السفن .

حالما غادر دوم فيرناندو قام "بيرناردم دي سوزا" بتسليح سفينة أخرى تعود ملكيتها لـ "جوميز دي فارينها" "Gomez de Varinha" الذي كان هناك مع ثلاث أو أربع سفن تابعة للتجار ، والتي وضع عليها مدفعية وذخيرة وقوات من الرجال .

صعد على ظهر السفينة مع فكرة أن يتمركز عند مدخل مضيق البصرة عندما تمر تلك السفن ، لأنهم إن هربوا من أسطولنا يكون قد أغلق المنافذ التي قد يتراجعون عبرها ، وبذلك لن يستطيع أي منهم الفرار .

بعث برسالة في هذا الخصوص إلى "دوم فيرناندو" ، الأمر الذي كان مستحقّاً من ضابط وربان عظيم مثله ، وأخطره إن تمكنت السفن من الهرب منه تجاه المناطق الداخلية من المضيق فعليه اقتفاء أثرها حتى البصرة حيث يكون هو في الانتظار وتكون نهايتها جميعاً .

حالما غادر "دوم فيرناندو" مسقط قام بالطواف في المناطق الداخلية من ساحل الجزيرة العربية ، وأرسل بعض القوارب الخفيفة أمامه لتتجسس على السفن ، عند وصولها إلى رأس مسندم وقع بصرهم عليها ، كانت خمس عشرة في مجموعها تبحر على خط مستقيم .

بعثت القوارب بسرعة تحذيراً عنها إلى "دوم فيرناندو" ، الذي أعدّ السُّفن وأصدر تعليماته عن الطريق التي ستهاجم بها سفن العدوّ ، كونه كان في المقدمة واجههم أولاً ، لكنه أرسل المراكب والزوارق أمامه لمهاجمتهم لأنها كانت مراكب خفيفة وسريعة ، قامت سفننا بذلك في إلحاح وتفانٍ عظيم وتبادلوا معهم إطلاق نيران جانبيه .

عندما رأى "على شلبي" أسطولنا ، فرد كل أشرعته واتّجه نحو الشاطئ مستمراً في إطلاق مدافعه .

"دوم أنتاو دي نورونها" "D . Antao de Noronha" ، الذي كان مبحراً في ذلك الوقت على سفينته ، انتقل إلى سفينة شراعية مع العديد من النبلاء والجنود حتى يتباحث مع القائد الأول ، لأن نائب

الملك كتب له أن يقوم بذلك ، وإن على ابنه ألا يفعل أي شيء دون مشورته ونصيحته .

كانت الرياح في ذلك الوقت طيبة والسفن تقترب من الشاطئ ، كانت سفينة "جوميز دا سيلفا" الشراعية الضخمة قريبة جداً من مدافعهم ، وبما أن "دوم أنتاو" كان يعلم أن السفينة ينقصها الرجال فقد كان يخشى عليها من الدمار لأنها كانت على مسافة من بقية الأسطول ، لذلك طلب من النبلاء الذين كانوا يبحرون معه إن كانوا يرغبون في الانضمام للسفينة الشراعية الضخمة ... .

وبذلك يكون قد قدم خدمة جليلة لسموه ، بعد الموافقة على كل شيء ، اقترب منها مخاطراً بالهجوم عليه من كل سفن العدو ، بعد أن نقل إليها حوالي ثلاثين رجلاً عاد لسفينة القائد الأول وصعد عليها ... ، وكانت سفن العدو قد تحركت لمسافة أقرب إلى داخل الشاطئ ، وانسحبت إلى أبعد جزء للداخل ، حيث لا تستطيع السفينة الشراعية الضخمة الوصول إليه .

عندما رأى "دوم فيرناندو" سفن العدو وهي تلتصق بالشاطئ ، طلب المشورة والنصيحة فيما يجب عليه القيام به ، كانت هناك العديد من الاقتراحات المتناقضة ولم يتمكنوا في الوصول إلى قرار ، كان مع الأسطول ربان كبير السن وله خبرة ، جاء للأمام وأشار إليهم بما أن الرياح أمامية فلا توجد أي فرصة لسفن العدو على الإبحار في ذلك الطريق أو الوصول إلى مسقط .

في رحلة أخرى وفي مناسبة أخرى كتلك وخلال رياح "المونسون"

قام هو باتباع نفس الطريق والمسار ووجد رياحاً مناسبة على الساحل الآخر والتي بسببها تمكن من الإبحار كيفما شاء وعبر من "رأس جاسك" ووصل بسهولة إلى مسقط ، اتفق الجميع على ما أشار به واتّبعوا نفس المسار في طريقهم إلى مسقط ، وبعث القائد المسؤول سفناً إضافية لتذهب وتتجسّس على سفن العدو .

في ذات يوم بينما كان الأسطول متوقفاً هناك ليتزود ببعض المؤن الضرورية دخل وحش بحري إلى الخليج الذي كانوا يرسون فيه ، كان أكبر من حوت وله مظهر غريب لم يشاهده أحد من قبل ، انطلق نحو سفينة القائد المسؤول الضخمة ودار حولها ببطء شديد .

عند سماع الخبر وضع بعض العرب المحلّيّين وبعض صيادي الأسماك على مركب ضخم مع بعض الحبال المتينة التي صنعوا منها أنشوطة وضعوا عليها الطُّعم ، وفي سرعة اتّجه الوحش نحوها وعلق فيها ، عندما تأكد المسلمون من ذلك بدأوا في إرخاء كل الحبال حتى لا يقوم بالغطس إلى الأعماق وبدأ يجرهم إلى خارج الحاجز ، لأنه كان على درجة كبيرة من القوّة .

وبدأ يتحرك من جانب إلى آخر ساحباً معه المركب ، استغرق الوحش زمناً طويلاً وهو يقوم بذلك حتى بلغ به الإعياء أشدّه ، بدأ بعدها المسلمون في جرّه نحو الداخل خلفهم حتى خليج "Mukallah China" حيث أوثقوه بالمزيد من الحبال وسحبوه للشاطئ ، تجمع حشد كبير من الناس وبدأوا جميعاً في سحب الوحش إلى حافّة المياه حيث قاموا بتقطيعه لعدم قدرتهم على سحبه كاملاً للشاطئ .

الزورق الذي ذهب للتجسس على سفن العدو بعث برسالة للقائد المسؤول هنا أنهم يغادرون جزر صحار الصغيرة التي تبعد اثني عشر فرسخاً عن مسقط ، من صباح الخامس والعشرين من شهر أغسطس شوهدوا في خط مستقيم أمامهم وهم يجدفون مبتعدين عن اليابسة مع رياح مع المقدمة ، أبحروا لمقابلة أسطولنا وسط جزر صغيرة على بعد فرسخين من مسقط بعيداً عن أنظف وأصفى وأجمل شاطئ على كل ساحل الجزيرة العربية .

اتّجه القائد المسؤول لمهاجمة سفن العدو بالسفن ذات المجاديف التي في المقدمة ، ومن خلفها مباشرة المراكب الشراعية ، كانت السفن الضخمة مبعثرة على سطح المياه ، وبما أنها كلها ترفع أعلامها فقد كان منظرها رائعاً .

عندما رأى "علي شلبي" أنهم استحوذوا على الساحل وأنه من المستحيل الآن أن يعود أدراجه ، زاد من سرعة التجديف بكل قدرة العبيد الذين كانوا على تلك السفن حتى يتمكّن من المرور من مقدمة سفننا ويصل إلى الشاطئ ... ، ومن هناك بعد قمّة الجبل تمكّن من الهرب نحو البحر .

اقترب "دوم فيرناندو" بسفينته حتى وصل إلى مياه بعمق ثماني قامات ، أمر بألقاء المرساة وواصلت القوارب اقترابها من الشاطئ في اتجاه سفن العدو ، "علي شلبي" الذي كان مبحراً في المقدمة وصل إلى رأس البر مع تسع من أخف سفنه قبل أن تصل سفننا ، لكن الستة التي بقيت في المؤخرة لم تتمكن من العبور ، لأن المراكب كانت أصغر وتحتاج إلى مياه أقل من السفن الضخمة فقد تمكنت من الإبحار والوصول إلى الشاطئ .

عندمـــا مـــرَّ "دوم جـــيرونيمـــــو دي كـــاستيلـــو برانكـــو" "D . Jeronimo de Castelo Branco" ، الذي كان يبحر من أمام سفينة القائد المسؤول الضخمة ، تعرف عليه "دوم أنطونيو دي كاستيلو برانكو" "D . Antonio de Castelo Branco" ، شقيقه الأكبر الذي كان على نفس السفينة ... ،

عند رؤيته له وهو يتخطاهم جميعاً ، صاح به من على عمود مقدمة السفينة ، "كيف أنت أيها الشاب" (لأنه كان مازال صغير السن) ، "أوقف ذلك المركب لي" وقد قام بتنفيذ ذلك حرفياً لأنه بتوجيهه للمقدمة باتجاه الرياح بقدر المستطاع ، وصل إلى الشاطئ في مقدمة سفن العدو ، في اللحظة التي انطلقت فيها قذيفة القائد الأول وأصابت إحدى سفن العدو التي كانت تبحر في المقدمة .

مما جعلها تنحرف واندفعت الأخرى نحو الشاطئ ، تحرك عندها "دوم جيرونيمو" بين السفن ومطلقاً من زورقه على إحداها وقتل كل الأتراك الذين عليها بحد السيف .

عندما وصل "دوم مانويل ماسكارينهاس" الذي كان خلفه لمسافة قصيرة إلى سفن العدو التي انخرط بينها بسرعة ، أطلق العديد من القذائف السريعة على إحداها التي اشتعلت فيها النيران وتقدم للإمام ضرب أخرى استسلمت أيضاً .

بدأت القـــوارب السريعة الأخرى في الوصول ، كل منها يدك بنيرانه إحدى سفن العدو ، عندما اتخذ "دوم فيرناندو دي مونروي" "D . Fernando de Monroe" و"أنـــطـــونيو دي فـــالارديـــــز"

طريقهما نحو السفن صعدوا في الحال "Antonio de Valardes" ، على سطحها ، وجرى قتال عنيف بالسيوف مع الأتراك ، قتلوا فيه العديد وأجبروا آخرين على إلقاء أنفسهم في المياه ، بعد أن استولى على سفينتين كان مع "دوم جيرونيمو" حبل قطر ألقاه في المياه وعن طريق السحب خلص نفسه من الضفة الرملية وأخذ معه السفينتين .

لأن النفوس الكريمة والشجاعة لا تحتاج لبرهان أحقيتها للآخرين فقد قام بالإعــلان جــهراً وعــلناً أن "دوم مانويل ماسكارينهاس" "D . Manuel Mascarinhas" قد استولى على أحدهما ودمرها .

الرجال الذين على السفن السّتّة والذين هربوا من رجالنا ، قفزوا جميعاً إلى البحر ، لكنهم حتى هناك لم ينجوا من قبضة رجالنا الذين على الزوارق والذين وضعوا أنفسهم بين سفن العدو واليابسة ولم يسمحوا لكل الذين كانوا في المياه بالنجاة .

"علي شلبي" الذي عبر مع التسع سفن تمركز بعيداً عن البحر يشاهد القتال مع أسطولنا ، وعندما رأى مصير السفن الستة التي تم الاستيلاء عليها أسرع بالإبحار نحو الساحل الآخر معتزماً الوصول إلى "كامباي" ، لأنه كان يعتقد أنه إذا قرر العودة إلى "القسطنطينية" فإنه سيرتكب مخاطرة عظيمة لأن عظيم الترك سيقطع رأسه ، وعلى أية حال عندما رأت قواربنا الشراعية الصغيرة تلك السفن تغادر قاموا بمطاردتها بكل سرعة .

سعداء بذلك الانتصار حالياً رجع "دوم فيرناندو" إلى مسقط للعناية بالجرحى ، حيث أمر بإعادة إصلاح ستّ من سفن المجاديف ، كما قام

أيضاً بفدية عبيد السفن من أيدي الجنود وطلب من الكهنة مباركة تلك السفن ، مطلقاً على كل منها أسماء تعرف بها ومقسماً رئاستها بين عدد من ضباط الزوارق .

سلم السفينة "سانتا إيلينا "Santa Elena" إلى "سبستياو دي ماسيدو" ، والسفينة "سانتا لوسيا" "Santa Lucia" إلى "مانويل دي سيجويرا" "Manuel de Segueira" و"كونسيساو" "Consisao" و "سانتياجو" "Santiago" إلى "جورجي بيريرا" و"سانت ميجيل " "Sant Miguel" إلى "غونسالو جويدس" .

حمّلوا في تلك السفن سبعا وأربعين قطعة من المدفعية المصنوعة من البرونز والتي كان من بينها كانت ذخيرة ، كرات دائرية ومدافع معها قرابة الأربعين قذيفة مع بعض الجمال والصقور ، بعث "دوم فيرناندو" في الحال برسالة عن هذا النصر لوالده وقام أثناء ذلك بتزويد الأسطول بما يحتاجه .

مراكبنا الشراعية الصغيرة التي كانت تبحر خلف السفن ظلت وراءها حتى ساحل الهند ، سبعة منها اتخذت ملجأ لها في "سورات" حيث تمركز "دوم جيرونيمو دي كاستيلو برانكو" ، و"نونو دي كاسترو" و"دوم مانويل ماسكرينهاس" عند الحاجز وحاصرهم هناك ، ذهب "دوم فيرناندو دي مونروي" و"أنطونيو دي فالارديس" خلف السفينتين الأخرين ومنعوهما من التحرك بطريقة أجبرتهما على اللجوء إلى الشاطئ ، إحداها في "دامان" "Daman" والأخرى في "دانو" حيث حطمتا لقطع ومن ثم ذهبوا إلى "باسين" .

عـــندما علـــم "فـــرانسيسكـــو دي ســا دي مينسيس" "Francisco de Ca de Meneses" قائد تلك القلعة أن السفينتين الأخريين لجأتا إلى "سورات" "Surat" ، رتب عشراً أو اثنتي عشرة سفينة وذهب بها وتمركز عند ذلك الحاجز مع المراكب الأخرى ، وعندما تلقى "جورجي دي ميندوزا" "Jorje de Mindonca" قائد "شول" تلك الأخبار .

قام بسرعة بتسليح عشر أو ست من السفن الإضافية وذهب للانضمام إلى "فرانسيسكو دي سا" ، تقريباً بعد مرور عشرين يوماً من شهر سبتمبر ١٥٥٤م بهذه الطريقة وفي الثالث والعشرين من نفس الشهر ظهر "بيدرو ماسكارينهاس" عند حاجز "غوا" كنائب للملك في دولة الهند .

وفي العام نفسه (١٥٤٨م)

وردت أحداث مهاجمة مدينة عدن ، بتاريخ عام ١٥٤٨م : [٩٢]

الملك التّركي يعاود مهاجمة مدينة عدن ."دوم بايو" يغادر سرّاً مع رجاله ، يدخل الأتراك المدينة عن طريق الخيانة ، "دوم جواو دي الميدا" "D . Joao de Almeida" يصل إلى ميناء عدن ، تأتي سفن الأتراك لقتاله ، ولسوء الحظّ يفقد اثنين من مراكبه التي تم إنقاذ بعض الرجال من على متنها .

كما ذكر في السابق ، عندما وصلت الأخبار بكل أحداث عدن إلى ضابط الأتراك الذي ذهب إلى "المخا" بتجميع ثلاث سفن وثلاثة مراكب شراعية وأربعة من الزوارق التي تمت صيانتها بطريقة سيئة ، ومع عدد قليل من الرجال ، اتجه نحو ميناء عدن ، عندما أصبح على مرأى من المدينة حدث ارتباك عظيم وفوضى ، ذهب الملك إلى "دوم

(٩٢) رقم الوثيقة والهامش.

بايو" الذي كان حاضراً بالقلعة وأخبره أن عليه الإبقاء على مائتين من الرجال الذين يكرهون الأتراك كثيراً .

في ذلك الوقت يمكنه تولي المسؤولية عن حراسة المدينة مع رجاله ، لأنه علم بوجود قلة من الأتراك ولن يتجرؤوا على الوصول إلى الشاطئ ولن يتسببوا في الأضرار بالمدينة من ناحية البحر ، لأنهم لم يأتوا بسفن ضخمة قادرة على دك المدينة بالمدافع ، وبالرغم من تأكده بأن المدينة مزودة جيداً بكل شيء وبها دفاعات لم يرتاح "دوم بايو" لكل ذلك أو يثق بأولئك الناس مطلقاً .

عندما طلب منه الملك في إحدى المناسبات أن يمنحه بعض "البرتغاليين" لمرافقة قومه عبر بعض الممرات الخطيرة حتى يكونوا في مأمن بوجودهم معهم ، أصبح كثير الشكوك تجاهه واتباعه ، حتى أنه تمت الموافقة بإجماع الكل بعدم الركون إلى بسط الثقة في المسلمين الذين هم في حقيقة الأمر من الأعداء ، طالما أنهم قد يبقوا جنودنا في الأسر أو يقتلوهم أو يسلموهم إلى الأتراك في أي وقت .

عندما كان الهدوء يخيم على كل شيء وفي الليلة الأولى الشديدة الظلام ومناسبة تماماً لتنفيذ هذا القرار ، غادر "دوم بايو" وكل "البرتغاليين" مع أسلحتهم ، وشرح للذين في القلعة أنه يود القيام بدورة حراسة ، وعندما اطمأن الجميع صعدوا جميعاً إلى السفن باستثناء جندي واحد يدعى "جواو ألفاريز" كان في موقع مراقبة بعيد .

أبحروا عندها على طول الساحل حتى "جزر كانيكويم" الصغيرة التي تبعد ثلاثين فرسخاً عن عدن ، في انتظار المركب الذي بعث به

"دوم بايو" من الهند ، في صباح اليوم التالي علم الملك بذهاب رجالنا ، وقد تألم كثيراً وأصابه الخوف لعدم معرفة سبب كل ذلك ، جيء "بجواو ألفاريز" أمامه ، الذي عرف أنه ترك وحيداً في الحراسة ، وأطلق الكثير من الحديث ، واشتكى له من زملائه الذين تركوه .

حاول "جواو ألفاريز" إيجاد العذر لهم ذاكراً الخدمات وتأمين السلامة التي وفروها للملك شخصياً ، لم يكن ذلك كافياً لإقناع الملك وأصبح أكثر انزعاجاً ، وخشي فقدان المدينة لأنه كان في حاجة لدعم "البرتغاليين" .

اهتم كثيراً بهذا الشخص الذي بقي معه ، وسلمه مسؤولية الدفاع عن القلعة ، قبل برعية شديدة بتلك المسؤولية وقام بإعداد كل ما هو ضروري ، وقد آلمه أن يرى الحزن واليأس الذي لف المدينة بسبب غيابنا .

شجعت الأخبار التي انتشرت عن مغادرتنا الأتراك الذين اقتربوا سريعاً من المدينة بآمال عريضة للاستيلاء عليها .

شنوا عدداً من الهجمات خلال الليل ، لكنهم وجدوا دفاعات جيدة طيلة عشرين يوماً إلا أنها لم تسفر عن أي شيء ، وبعد أن فقدوا الأمل في تحقيق هدفهم ، كانوا على وشك الانسحاب ، كان لهم جاسوساً داخل المدينة قاموا برشوته ليدلهم على مكان يتمكنون منه بالدخول للمدينة حيث أخفق المدافعون بوضع حارس فيه بسبب الظلام الحالك .

دخلوا في إحدى الليالي من تلك البقعة دون أن ينتبه لهم أحد ... ، أطلقوا صيحات عديدة والكثير من نيران البنادق التي قتلت كل من

كان هناك ... ، وحولوا المدينة إلى ساحة من الفوضى والاضطراب ، حتى لم يفكر الجميع سوى في إنقاذ حياتهم والفرار .

عند معرفة أن الأتراك في داخل المدينة وعلم الملك أن ذلك تم نتيجة خيانة وغدر ، وأن العدو سيبدأ بالبحث عنه ، هرب من القلعة مصطحباً معه البرتغالي والذين كانوا برفقته إلى أسفل التلال .

وصل إلى هناك في أمان ، هرب العديد من الناس خارج المدينة التي أصبحت تحت سلطة الأتراك ، شيدوا مواقع دفاع قوية لعلمهم أن العدو مازال قريباً منهم .

عندما كان "دوم جواو دي أتاييد" الذي غادر "باسين" قبل "دوم ألفارو" على مقربة من عدن مر بسفينة ضخمة من "مكّة" قادمة من المضيق .

هربت سريعاً عندما شاهدت قواربنا باحثة لها عن ملجأ في ميناء عدن حيث رست تتبعها سفننا عن قرب ، كون الليل قد أرخى سدوله .

كان رجالنا يعرفون الميناء ، وعلى افتراض أن السفينة ذهبت إلى هناك بحثاً عن حماية الملك الذي يعلمون أنه في جانبنا ، قرروا عدم القيام بتسبيب أي أضرار بها .

أمر "دوم جواو أنطونيو دا فيجا" "D . Joao Antonio da Vega" بالتجديف على طول الشاطئ ليستعلم عن زوارق "دوم بياو" وعما يحدث هناك .

عند مروره بالقرب من السفينة قوبلوا بصيحات الاستقبال

والترحيب وطلقات البنادق ، جاءت تلك أيضا من أسوار المدينة التي استولى عليها الأتراك قبل ستة أيام فقط .

من تلك الأخبار التي تلقوها من "أنطونيو دي فيجا" اعتقدوا أن المدينة في حالة ثورة ، لذلك أبحروا بعيداً في البحر ، وأرسوا سفنهم حتى صباح اليوم التالي ووضعوا حراسة جيدة .

أخطر بحارة سفينة "مكّة" أولئك الذين كانوا على الشاطئ عن ثلاثة زوارق قامت بمطاردتهم والتي رست الآن في البحر بعيداً .

اعتقد الأتراك أنها تابعة لـ"دوم بايو" فاستعدوا بسفينتين وثلاثة من المراكب الشراعية في تلك الليلة وجدفوا داخل البحر .

عند مطلع الفجر رأى رجالنا الزوارق الخمسة وهي تبحر باتجاههم بدأوا هم أيضا بالتجديف تاركينهم خلفهم ، وذلك للتجديف السريع الذي بذلوه .

عندما أدرك "دوم جواو" أنه يستطيع أن يفلت منهم دون أي خطورة ، اقترب من أحد المراكب الشراعية وتعلق بالقرب من مؤخرته ، قامت الزوارق الأخرى بنفس الشيء مع ضربات متلاحقة متبادلة وكان (مشعل النار) يتخذ ملجأ تحت قماش الشراع لم يفطن على أنه كان يحمل "فيوزا" مشتعلاً في يده ، لامس "الفيوز" البارود الذي يتعثر من خزانات المدافع وانتشرت النيران مما قذف بالشراع في الهواء فاحترق ثلاثة من "البرتغاليين" مع بعض المجدفين .

أدى ذلك لفقدان أحد الزوارق لشراعه مما دفع الأتراك للتجديف تجاهه بسرعة للاستيلاء عليه .

لكن جاء "أنطونيو دي فييجا" الذي كان قريباً لمساعدته ، وتقاسم المجدفون الذين معه في الزورق وبدأوا التجديف وشق طريقهم لعرض البحر .

لكن بما أن الزورقين لم يكونا معدين ومزودين جيداً بدأت السفن بضربهما ، وعندما رأوا أنهم لن يثنوهم عن ذلك بالذهاب لعرض البحر اتجهوا نحو اليابسة تتبعهم السفن عن قرب ، حتى وصلوا إلى اليابسة على الصخور وهرب من تمكن إلى داخل البلاد والذين تأثروا بالنيران قفزوا وسبحوا يبحثون عن النجاة هرباً من موت محقق لأنهم عند أسرهم من قبل السفن فسيقتلون جميعاً ، الذين أسروا على الشاطئ مع كل ما كان موجوداً على الزوارق (التي تحطمت) مع الأحياء ، ثبتوا بخوازيق على الجدران .

بيع بعض الشباب الأصحاء في دلالة وجمع مبلغ لا بأس به خاصّة شاباً غير ملتحي اشتراه قبطان بسعر عال عن الآخرين .

الذين فروا داخل البلاد انضموا لملك عدن ، وقدموا له بياناً عن سوء الطالع الذي لازمهم والأسطول الذي بعث به الحاكم لهم .

امتعض الملك معتبراً ان "دوم بايو" هو المتسبّب في دماره ، لم يقصر في استقبالهم وأبدى الكثير من حسن الضيافة والمعاملة الجيدة .

وفي العام نفسه (١٥٤٨م)
ورد ذكر أحداث الوصول إلى ساحل عـــدن ، بتاريـــخ عام ١٥٤٨م : [٩٣]

"دوم ألفارو" يصل إلى جزر "كانكويم" حيث يجد "دوم بايو" وما حدث له ، يذهب "دوم جواو دي أتاييد" إلى هناك لمقابلته ، بإذن من "دوم ألفارو" يذهب عمّ ملك عدن للشاطئ على زورقين بحثاً عن البرتغاليّين الذي عبروا لداخل البلاد ، يذهب "دوم ألفارو" إلى "قشن" ... ، وما يحدث له هناك ... ، يغادر للهند ، يصل "غوا" ويتبعه "دوم جواو"

مع رياح مواتية وصل "دوم ألفارو" إلى ساحل عدن ويبحر على طوله حتى جزر "كانكويم" حيث وجد "دوم بايو" ، أفيد أن الأخير أطلعه عن أسطول تركي ضخم وصل إلى ميناء عدن وأدخل الفزع والخوف في المدينة ، بعض التجّار من أصدقائه نصحوه أن يختبئ لأن سكان المدينة قد تآمروا على تسليمه للعدو ، وعليه ، كان مجبراً على

(٩٣) رقم الوثيقة والهامش.

البحث عن طريقه ينقذ بها حياته وكلّ البرتغاليّين ، باستثناء ، واحد تطوّع للبقاء .

هكذا أصاب الاضطراب موظّفي البحريّة ، وقالوا إنهم لا يجب أن يتواجدوا هناك ويتعرضوا لمخاطر هجوم الأتراك ، بما أن "دوم بايو" لم يكن قادراً على مده بأي أخبار عن "دوم جواو دي اتيدا" الذي لم يشاهده ، قرر "دوم ألفارو" البقاء لعدة أيام في انتظاره .

لهذا قام البحارة بالاعتراض عليه مشيرين للعديد من مخاطر الانتظار هناك أكثر من ذلك ، لذلك وبسبب عدم وجود أخبار عن "دوم جواو" ، أي أخبار عن "دوم جواو" ، بعث "دوم ألفارو" بقارب يذهب قريباً من عدن ليرى إن كان في إمكانه جمع بعض المعلومات .

كان هذا على وشك المغادرة ، عندما ظهر "دوم جواو" في البحر ، أطلع "دوم ألفارو" بوجود عشر أو اثنتي عشرة سفينة تعمل بالمجاديف في عدن ، وتمكن هو من الهرب من نيران بنادق ثلاثة منها ، ولو لم يتمكن من الهرب من الميناء لما كان حدثت كارثة الثلاثة زوارق التي فقدوها ، أيضا لم يكن يعرف إن كان الرجال الذين رحلوا للداخل قد توفوا أم لازالوا أحياء .

الرجل المسلم – عمّ ملك عدن فيما بعد – الذي كان مسافراً مع "دوم ألفارو" انزعج من الأخبار المتناقضة التي أفاده بها "دوم بايو" و"دوم جواو" عن الأسطول التركي ، فطلب من "دوم ألفارو" أن ينزله عند الشاطئ في الموقع الذي فقدت فيه الزوارق ، وسيأتي له برسالة عما حدث للبرتغاليين إن كان قد وجدهم .

أكّد ذلك بكثير من القسم بطريقته الخاصة بأن "دوم ألفارو" قرر إرساله رغم المخاطرة في أنه قد يعود وقد لا يعود ، وعرض "دوم جواو دي أتاييد" ان يأخذه في زورق كبير نقل إليه .

رافقه "بيرو دي أتاييد" الملقب بالجحيم "انفيرنو" على ظهر مركب خفيف ، أصدر له "دوم ألفارو" .

تعليمات تقول إذا لم يعد الرجل المسلم خلال عشرين يوماً فعليه الذهاب والانضمام إليه في "قشن" حيث سيكون ، لأنه تم الاتفاق في المجلس أنه خلال مرافقة "دوم جواو" للرجل المسلم فعلى "دوم ألفارو" الذهاب إلى "قشن" وتدمير الحصن الذي بناه الأتراك هناك ، غادر في الحال إلى "قشن" بعد "دوم جواو" مع اثنين وثلاثين زورقاً ، أخذ معه فيها ابن ملك البلاد ، وكان قد جاء به معه من "باسين" .

بعد إنزال الرجل المسلم الذي أكد له بكثير من القسم والحلفان أن "البرتغاليين" أحياء وسيأتي بهم خلال اثني عشر يوماً ، وإن كانوا قد توفوا فسيبعث برسالة خلال نفس المدة ، قرر "دوم جواو دي أتاييد" الإبحار بطول الساحل ، مطلقاً الدخان بالنهار والنيران ليلاً دون أن يقترب منه أي أحد من اليابسة .

عندما وصل الرجل المسلم للجبال ، حيث كان ابن أخيه الملك يحتمي هناك ، زاد من آلام الملك وحزنه على ضياع مدينته ... ، ومع الأخبار التي زوده بها عن تلقيه مساعدة أساسية يأتي بها ، بعد التشاور مع بعضهما ، أخبر العم ابن أخيه الملك أن عليه العودة في الحال وأخذ

كل "البرتغاليين" الذين هناك ، لأن ذلك كان ما وعد به ، وأيضاً كان هناك زورقان في انتظارهم .

أصبح الملك أكثر حزناً ، التمس من البرتغاليين عدم تركه والتخلي عنه عارضاً عليهم المكافآت والمنح الضخمة ، إلا أنهم رفضوا لأنهم لا سلطة عندهم للقيام بذلك ، شكرهم عندئذ الملك جميعاً وكانوا ثلاثين برتغالياً وبعض البحارة وعلى الأخص "جواو ألفاريز" الذي كان دائماً برفقته ، وسلمهم إلى عمه الذي أخذهم إلى الزوارق وأوصلهم إلى "دوم جواو" وطلب منه وثيقة موقعة بما أنه أنجز ما وعد به وأقسم على أدائه .

عاد بعد ذلك لداخل البلاد ، وغادر الزورق إلى "قشن" ، حيث لم يكن "دوم ألفارو" موجوداً بسبب مغادرته إلى الهند ، والتي غادر الجميع إليها معه ، التقوا في طريقهم بمركب "ماليباري" كان مبحراً إلى المضيق محملاً بالفلفل ، كان مجهزاً تماماً وقد دافع عن نفسه ضدّ أربعة من الزوارق دون أن تتمكن من الصعود على ظهره ، حتى تراجعوا بعد أن جرح بعض رجالنا وواصل كل طرف رحلته .

عند الوصول إلى "قشن" ، وكان الملك شخصياً قد قام بزيارة "دوم ألفارو" ومعه هدية قيمة من المؤن والمواد ، رجاه أن يقبل بالمصالحة عن الإساءة التي أصابته من قبل الأتراك على أساس الصداقة التي يدين بها للبرتغاليين وعن الخدمات التي قدمها لحكام الهند .

كان من السهل تدمير الحصن ، لأنه كان ضعيفاً ، والحامية الوحيدة التي به تتكون من سبعين من "الفرتك" الذين يتلقون أجوراً كجنود

ومعهم ضابط تركي ، أجاب "دوم ألفارو" عن ذلك باستعداده لمساعدته دون تأخير لأنه والده بعث به إلى هناك لذلك السبب .

بعد نزوله من الزوارق مع كل رجاله ومشاهدته للحصن أصدر أوامره لأخذ المواقع حيث وضع مدفعاً صغيراً لأن السفن التي كانت في طريقها حاملة للمدافع الثقيلة لم تصل بعد من "غوا" ، تسبب ذلك في قليل من الأضرار للحصن .

لكن حينما وصل المركب بعد خمسة أيام من الاشتباكات ، أنزلوا مدفعين هدمت جزءاً من الحصن ، رفع المسلمون علماً أبيض وأرسلوا رسالة مع امرأة لـ"دوم ألفارو" تقول إنه إذا سمح لهم بالمغادرة مع زوجاتهم وأغراضهم وسلاحهم فإنهم سيسلّمونه الحصن .

عندئذ ، وكان الملك حاضراً وسعيداً بما جاء في الرسالة ، قال لـ"دوم ألفارو" من الأفضل عدم المخاطرة بالرجال وأن ما جاءوا من أجله قد انتهى دون أضرار أو خسائر .

بعد مناقشة الأمر ، قال بعض الشباب المتغطرسين الذين ربما كانوا حريصين على أسر المسلمين وأخذهم كعبيد ، قالوا "لدوم ألفارو" ألا يقبل بذلك ، وسيتّهم بالضعف لعدم معاقبته أولئك الأعداء على وقاحتهم .

كما أنهم سيثأرون عن الإساءة التي لحقت بالملك وسيقتلونهم جميعاً ... ، وهو السبب الذي جاءوا من أجله ، طلب أحد السادة من "دوم ألفارو" أن يحتجز المرأة التي جاءت بالرسالة كأسيرة عنده ، وافق "دوم ألفارو" على ذلك .

حزن الملك كثيراً على ذلك ، وأصرّ على مناقشة النصيحة التي أفضى بها ، إلا أن الكثير من الناس ظلت تلقي على مسامع "دوم ألفارو" بالتوسّلات حتى خضع لهم وأمر بضرب الحصن بالمدافع مما تسبب في شرخ كبير فيه .

بعث المسلمون برسالة أخرى طالبين من "دوم ألفارو" السماح لهم بالمغادرة مع زوجاتهم وأطفالهم ولا شيء آخر ، وافق على ذلك ، لأن الملك استعطفه وتوسل إليه حتى يتجنب إلحاق الخطر بالرجال .

استمرّ الشباب في حثه على القتال ، وأيضاً على أسر الرجل الذي جاء بالرسالة مثلما فعل بالمرأة ، كما اعتقل ثالثاً أيضا جاء برسالة ثالثة ، عند كل تلك الأحداث تحول الاستعطاف والذلّة التي أحس بها المسلمون إلى غضب جامح ، وبدأوا بإطلاق العديد من الأعيرة النارية أصابت الكثير من رجالنا بجروح ...

قام عندها "دوم ألفارو" ومعه الكثير من السلالم التي أمر بإحضارها من المركب الشراعي بمهاجمة الحصن بالصعود إليه عبرها ، وكانت عملية واجهت فيها قواتنا مقاومة شرسة وقتل منهم أكثر من عشرين رجلاً وتمكنّا بعدها من الدخول .

عند دخول قواتنا قتلوا الجميع بحد السيف ، ولم يبق أحد على قيد الحياة ، ورضوا بالموت جميعاً بعد أن قتلت زوجاتهم وأطفالهم فقرّروا قبول الموت طواعية ، ثأروا من رجالنا وقتلوا أكثر من أربعين منّا وجرحوا أكثر من ثمانين ، ومن الأحداث اليومية لكل من يشتبك في حرب بحثاً عن الأطماع والمصالح الشخصية أو عن مجد باهت ،

وبفضل نتائج غير مؤكّدة بدلاً عن نصر مؤكد والأعداء تحيط بهم ، فلن يكون هناك من مجد سوى الذي ينال عن طريق قوة السلاح ويكون ثمنه الكثير من الدماء والتضحيات .

أرسل "دوم ألفارو" الجرحى في الحال إلى "غوا" لوجود أمل ضئيل في علاجهم هناك ، وقد توفي الكثير منهم ، بعد دفن الموتى سلم الحصن إلى الملك الذي أصيب بطلقة طائشة وقدم له العديد من مقطع المدفعية ، طلبها الملك منه ، وكمّيّة كبيرة من الذخيرة لأنه قرّر بناء قلعة هناك يسكن فيها .

بعد أن استأذن للمغادرة ، بعث الملك لـ"دوم ألفارو" بهديّة ثمينة من صناعة محلية ، بعث "دوم ألفارو" بمركب شراعي تحت قيادة "أندريه دي أغويار" ليذهب ويقضي الشتاء في هرمز ويغادر في الصيف إلى الهند ، فرد أشرعته وأبحر في طقس ملائم ووصل إلى "غوا" في الرّابع من شهر مايو .

حيث وجد رسالة من والده بأنّ عليه أن يبقى في "بانجيم" حتى تكمل المدينة الاستعدادات التي كانت تُعدّ لاستقباله ، وصل في ذلك الوقت "دوم جواو جي أتاييد" و"بيرو دي أتاييد" "Pero de Ataide" أيضاً إلى هناك .

دليل الباحثين

الوثيقة رقم : ١

بعث ملك "قشن" هديّة إلى الحاكم ، بتاريخ الرابع عشر من شهر يناير ، عام ١٥٤٧م .

(صفحة رقم ٩)

الوثيقة رقم : ٢

أُرسلت هديّة من ملك هرمز إلى الحاكم في "ديو" "Diu" ، "ديو" ، بتاريخ السادس عشر من شهر يناير ، عام ١٥٤٧م .

(صفحة رقم ١١)

الوثيقة رقم : ٣

بعث "باستياو لوبير لوباتو" "Bastiao Lopez Lobato" الوكيل التجاري في هرمز ، رسالة إلى سعادة الحاكم "دوم جواو دي كاسترو"

"D . Joao de Castro" ، هرمز الثالث من شهر فبراير ، عام ١٥٤٧م ، يذكر فيها احتلال الأتراك للبصرة . **(صفحة رقم ١٣)**

الوثيقة رقم : ٤

صدرت الامتيازات الّتي منحَت للسيّد "د . مانويل دي ليما" "Manuel de Lima" ، عندما ذهب كي يتولّى قبطانية هرمز ، بتاريخ شهر فبراير ، عام ١٥٤٧م . **(صفحة رقم ١٨)**

الوثيقة رقم : ٥

بعث"رافائيل لوبو" "Raffeal Lopo" رسالة إلى نائب الملك من "غوا" ، في يوم الثاني من شهر مارس ، عام ١٥٤٧م ، يشرح له الوضع في البصرة بعد احتلالها من قبل الأتراك . **(صفحة رقم ٢٠)**

الوثيقة رقم : ٦

بعث الملك رسالة إلى "د . جواو دي كاسترو" ، "الميريم" "Almereim" في يوم التّاسع والعشرين من شهر مارس ، عام ١٥٤٧م ، وفيها معلومات مغلوطة عن الوضع في البصرة . **(صفحة رقم ٢٢)**

الوثيقة رقم : ٧

بعث "لويس فالكاو" "Luis Falcao" رسالة إلى ملك البصرة ، عن

الأتراك ، بتاريخ عام ١٥٤٧م ، وقد استلم رسالة رياض باشا المرسلة لعلي بن عليان شيخ الجزائر .

(صفحة رقم ٢٦)

الوثيقة رقم : ٨

بعث "دي مانويل دي ليما" رسالة إلى "دي ألفارو دي كاسترو" "Alvaro de Castro" ، من "قلهات" في السّادس والعشرين من شهر إبريل ، عام ١٥٤٧م ، يذكر فيها خبراً مفاده أن الأتراك قادمون لهرمز .

(صفحة رقم ٣١)

الوثيقة رقم : ٩

أُرسل خطاب من "دي مانويل دي ليما" إلى "دي ألفارو دي كاسترو" ، "قلهات" في السّادس والعشرين من شهر إبريل ، عام ١٥٤٧م ، يشرح وضع هرمز .

(صفحة رقم ٣٣)

الوثيقة رقم : ١٠

أُرسل خطاب من قبل "مانويل دي فاسكونسيلوس" "Manuel de Vasconcilos" ، " غوا" ، إلى "دي جواو دي كاسترو" "D . Joao de Castro" ، "كانانور" "Cananor" ، الثاني عشر من شهر مايو ، عام ١٥٤٧م ، يشرح فيه الوضع في "الشحر" .

(صفحة رقم ٣٥)

الوثيقة رقم : ١١

أُرسل خطاب من خواجا شمس الدِّين غلام إلى "دي جواو دي كاسترو" ، "كانانور" الثَّالث عشر من شهر مايو ، عام ١٥٤٧م يشرح الوضع في "الشحر" .

(صفحة رقم ٣٨)

الوثيقة رقم : ١٢

بعث "دوم جيروينمو دي نورونها" "D . Jeronimo de Noronha" ، رسالة إلى "دوم جواو دي كاسترو" ، "باسين" ، في يوم الثَّامن عشر من شهر مايو ، عام ١٥٤٧م ، وجاء فيها ما يجري في "ظفار" و"قشن" و"الشحر" .

(صفحة رقم ٤٠)

الوثيقة رقم : ١٣

بعث أحد أهالي هرمز رسالة إلى الملك "دوم جواو الثّالث" "D . Joao III" ، "غوا" ، بتاريخ التّاسع عشر من شهر يونيو ، عام ١٥٤٧م ، ويذكر فيها أن الحكام البرتغاليين يسرقون الأموال العائدة للملك .

(صفحة رقم ٤٥)

الوثيقة رقم : ١٤

أُرسل خطاب من "دي مانويل دي ليما" إلى "ألفارو دي كاسترو" ، هرمز ، في الثاني والعشرين من شهر يونيو ، عام ١٥٤٧م ، يخبر عن هرمز بأنها فقيرة والطقس شديد الحرارة .

(صفحة رقم ٥٠)

الوثيقة رقم : ١٥

أُرسل خطاب إلى الحاكم من "مانويل دي ليما" ، هرمز في الثالث والعشرين من شهر يونيو ، عام ١٥٤٧م ، ويذكر فيه الاستعدادات من قبل البرتغاليين في مسقط وهرمز . **(صفحة رقم ٥٣)**

الوثيقة رقم : ١٦

أُرسل خطاب من "دي . مانويل دي ليما" إلى الحاكم "دي . جواو دي كاسترو" من هرمز ، في الثالث والعشرين من شهر يونيو ، عام ١٥٤٧م ، ويتحدث فيه عن الأوضاع في البصرة . **(صفحة رقم ٥٧)**

الوثيقة رقم : ١٧

بعث "مير برويز" رسالة إلى الحاكم ، هرمز ، في يوم السّادس عشر من شهر يوليو ، عام ١٥٤٧م ، يشتكي فيها من الريس شرف ، لأنه يلحق الضرر به وبأقاربه . **(صفحة رقم ٧٠)**

الوثيقة رقم : ١٨

بعث "أفونسو" ، "أندريه كورتيس" برسالة إلى الحاكم "دوم جواو دي كاسترو" ، هرمز ، في يوم السّادس عشر من شهر يوليو ، سنة ١٥٤٧م ، يروي فيها مأساته بين "قريات" ومسقط . **(صفحة رقم ٧٣)**

الوثيقة رقم : ١٩

بعث ريس شرف الدّين رسالة إلى حاكم الهند ، هرمز ، في يوم السّابع عشر من شهر يوليو ، عام ١٥٤٧م ، يذكر نشاطه منذ عاد من البرتغال .

(صفحة رقم ٨٣)

الوثيقة رقم : ٢٠

بعث خواجا قاسم ، خادم ريس شرف ، رسالة إلى الحاكم "دوم جواو دي كاسترو" ، هرمز ، في يوم الثّامن عشر من شهر يوليو ، عام ١٥٤٧م ، ويذكر ما يدور في هرمز .

(صفحة رقم ٨٩)

الوثيقة رقم : ٢١

بعث الملك "طورون شاه" ، ملك هرمز ، رسالة إلى حاكم الهند ، هرمز ، في يوم الثامن عشر من شهر يوليو ، عام ١٥٤٧م ، مؤكداً ومقراً بالأمر الصادر من الملك والحاكم في الهند بالنسبة لريس شرف .

(صفحة رقم ٩٣)

الوثيقة رقم : ٢٢

بعث "دوم مانويل دي ليما" ، رسالة إلى حاكم الهند ، هرمز في يوم الثّالث والعشرين من شهر يوليو ، عام ١٥٤٧م ، يخبره بسيطرة ريس شرف وابنه نور الدين على مملكة هرمز ، وينتمي إليهما كل ساحل بلاد العرب من "قلهات" حتى "البحرين" .

(صفحة رقم ٩٧)

الوثيقة رقم : ٢٣

بعث "مانويل دي ليما" رسالة إلى الحاكم ، هرمز ، في يوم السّابع والعشرين من شهر يوليو ، عام ١٥٤٧م ، يخبره فيها عن أحوال البصرة .

(صفحة رقم ١٠٣)

الوثيقة رقم : ٢٤

بعث حاجي شيخ رسالة إلى الحاكم "ماليندي" ، في يوم الثّلاثين من شهر أغسطس ، عام ١٥٤٧م ، يعرض نفسه أنه يرغب أن يحارب مع البرتغاليين .

(صفحة رقم ١٠٨)

الوثيقة رقم : ٢٥

بعث حاجي شيخ رسالة إلى الحاكم ، "ماليندي" ، في يوم الأوّل من شهر سبتمبر ، عام ١٥٤٧م ، للمرة الثانية ولم يستلم رداً من الحاكم .

(صفحة رقم ١١١)

الوثيقة رقم : ٢٦

بعث "أنطونيو دي سوزا" "Antonio da Susa" رسالة إلى "دوم ألفارو دي كاسترو" ، "تشاول" ، في الأوّل من شهر سبتمبر ، عام ١٥٤٧م ، ويذكر بأن الأتراك يتجولون في البحر حيث استولى أهل عدن على مدينتهم .

(صفحة رقم ١١٤)

الوثيقة رقم : ٢٧

بعث "دومينجوز باربودو""Domingos Barbodo" ، رسالة إلى الحاكم "دوم جواو دي كاسترو" ، البصرة ، في يوم السّابع من شهر سبتمبر ، عام ١٥٤٧م ، ويتحدث عن البصرة حيث إن هناك رضى تاماً .

(صفحة رقم ١١٧)

الوثيقة رقم : ٢٨

بعث خواجا شمس الدّين غلام رسالة إلى "د . جواو دي كاسترو" ، "كانانور" ، في يوم الثّامن من شهر سبتمبر ، عام ١٥٤٧م ، ويذكر أن الأتراك في حالة سيئة حيث قتل منهم العدد الكثير .

(صفحة رقم ١٢٢)

الوثيقة رقم : ٢٩

بعث "مانويل دي فاسكونسيلوس" رسالة إلى "جواو دي كاسترو" ، "كانانور" ، في يوم الحادي عشر من شهر سبتمبر ، عام ١٥٤٧م ، يخبره أن الأسلحة التي أُرسلت من "ديو" قد وصلت إلى عدن ومعها كمية من الذخيرة .

(صفحة رقم ١٢٤)

الوثيقة رقم : ٣٠

بعث "جوريبو" "Joribo" نائب ملك "كانانور" ، رسالة إلى "د .جواو دي كاسترو" ، "كانانور" ، في يوم السّادس عشر من شهر سبتمبر ، عام ١٥٤٧م ، يذكر نقل البضائع إلى ميناء المخا .

(صفحة رقم ١٢٨)

الوثيقة رقم : ٣١

رسالة إلى نائب الملك من "مانويل دي سوسا دي سيبولفيدا" "Manuel de Susa Sipulveda" ، "غوا" ، في يوم الثّامن عشر من شهر سبتمبر ، عام ١٥٤٧م ، بشأن ترتيب خط ملاحي بين هرمز والبصرة .

(صفحة رقم ١٣٣)

الوثيقة رقم : ٣٢

بعث ريس شرف رسالة إلى الحاكم "دوم جواو دي كاسترو" ، هرمز ، في يوم الخامس والعشرين من شهر سبتمبر ، عام ١٥٤٧م ، يخبر عن لجوء الأخ الأكبر لـ "شاه طهماسب" لدى السلطان التركي ، والحرب بين الأتراك والفرس .

(صفحة رقم ١٣٥)

الوثيقة رقم : ٣٣

بعث "سيماو بوتيلهو" ، "غوا" ، في يوم السّادس والعشرين من شهر سبتمبر ، عام ١٥٤٧م ، برأيه وهو المقاطعة مع البصرة .

(صفحة رقم ١٣٧)

الوثيقة رقم : ٣٤

بعث ريس ركن الدّين ، رسالة إلى الحاكم ، هرمز ، في يوم السّادس والعشرين من شهر سبتمبر ، عام ١٥٤٧م ، يخبره باستيلاء العرب على عدن من الأتراك .

(صفحة رقم ١٤٠)

الوثيقة رقم : ٣٥

رأي "كوزمي إيانس" "Cosme Ianes" لبناء مركز تجاريّ في البصرة ، "غوا" ، في يوم السّادس والعشرين من شهر سبتمبر ، عام ١٥٤٧م ، ويذكر الأسباب التي تأتي بالضرر .

(صفحة رقم ١٤٣)

الوثيقة رقم : ٣٦

بعث "لويس دي فالكاو" رسالة إلى نائب الملك ، من "غوا" ، بتاريخ شهر سبتمبر ، عام ١٥٤٧م ، ورأيه عدم التجارة مع البصرة .

(صفحة رقم ١٤٥)

الوثيقة رقم : ٣٧

بعـــث "جـــواو فرنـــانـــدس دي فاسكـــــونســـيلـــوس" "Joao Fernandes de Vasconcilos" رســالة إلـــى نائب المـــلك ، من "غوا" ، بتاريخ شهر سبتمبر ، عام ١٥٤٧م ، وكان رأيه المقاطعة .

(صفحة رقم ١٤٨)

الوثيقة رقم : ٣٨

بعـــث "دوم بدرو دا سيلـــفا" "Pedro da Silva" رســالة إلى نائب الملك ، من "غوا" ، بتاريخ شهر سبتمبر ، عام ١٥٤٧م ، ويذكر رأيه بالمقاطعة .

(صفحة رقم ١٥١)

الوثيقة رقم : ٣٩

بعث "فرناو دي سوسا" "Fernao da Susa" رسالة إلى نائب الملك ، من "غوا" ، بتاريخ شهر سبتمبر ، عام ١٥٤٧م ، وذكر رأيه بعدم المقاطعة .

(صفحة رقم ١٥٢)

الوثيقة رقم : ٤٠

بعث "فرانسيسكو دا كونها" "Francisco da Cunha" رسالة إلى نائب الملك ، من "غوا" ، بتاريخ شهر سبتمبر ، عام ١٥٤٧م ، ويذكر أنه لا يعرف شيئاً عن ذلك الأمر .

(صفحة رقم ١٥٣)

الوثيقة رقم : ٤١

بعث "ديوجو ألفاريز تيليس" "Diogo Alvares Teles" رسالة إلى نائب الملك ، من"غوا" ، بتاريخ شهر سبتمبر ، عام ١٥٤٧م ، وكان رأيه طرد الأتراك من البصرة .

(صفحة رقم ١٥٥)

الوثيقة رقم : ٤٢

بعث "جواو دي ماجالهايس" "Joao de Maguilheis" رسالة إلى نائب الملك ، من "غوا" ، بتاريخ شهر سبتمبر ، عام ١٥٤٧م ، وذكر رأيه بالمقاطعة .

(صفحة رقم ١٥٨)

الوثيقة رقم : ٤٣

بعث "جارسيا دي سا" "Garcia de Ca" رسالة إلى نائب الملك ، من "غوا" ، بتاريخ شهر سبتمبر ، عام ١٥٤٧م ، وكان رأيه المقاطعة .

(صفحة رقم ١٦٠)

الوثيقة رقم : ٤٤

بعث "دوم دوارتي دي سا" "D . Duarte de Sa" رسالة إلى نائب الملك ، بتاريخ عام ١٥٤٧م ، وقد علل رفضه بحوادث وأمور سابقة .

(صفحة رقم ١٦٢)

الوثيقة رقم : ٤٥

جاء ردّ "مانويل كوتينهو" "Manuel Coutinho" على الاقتراح الّذي طرحه الحاكم في المجلس ، بشأن النّقل البحريّ التّجاريّ إلى البصرة ، "غوا" ، في يوم السّادس والعشرين من شهر سبتمبر ، عام ١٥٤٧م ، مؤيداً لإقامة خط بحري بين هرمز والبصرة .

(صفحة رقم ١٦٤)

الوثيقة رقم : ٤٦

بعث "الدوم مانويل دي ليما" ، رسالة إلى "الدوم جواو دي كاسترو" ، هرمز ، في يوم السّابع والعشرين من شهر سبتمبر ، عام ١٥٤٧م ، يذكر فيها أحداثاً بين السلطان التركي والشاه الفارسي .

(صفحة رقم ١٦٦)

الوثيقة رقم : ٤٧

بعث "خواجا بابو" رسالة إلى الحاكم ، هرمز ، في يوم السّابع والعشرين من شهر سبتمبر ، عام ١٥٤٧م ، يطالب بحقوقه الأسرية من ملك هرمز .

(صفحة رقم ١٧٥)

الوثيقة رقم : ٤٨

بعث "دوم ألفارو كوتينهو" "D . Alvaro Coutinho" رسالة إلى نائب الملك ، من "غوا" ، في يوم الثامن والعشرين من شهر سبتمبر ، عام ١٥٤٧م ، مؤيداً إقامة الخط الملاحي بين هرمز والبصرة .

(صفحة رقم ١٧٧)

الوثيقة رقم : ٤٩

بعث "دوم ديوجو دي ألميدا" "D . Diogo de Almeida" رسالة إلى نائب الملك ، من "غوا" ، في يوم الثلاثين من شهر سبتمبر ، عام ١٥٤٧م ، ويذكر رفضه لحركة السفن بين هرمز والبصرة .

(صفحة رقم ١٧٩)

الوثيقة رقم : ٥٠

بعث "خورخي كابرال" "Jorje Cabral" رسالة إلى نائب الملك ، من "غوا" ، في يوم الثلاثين من شهر سبتمبر ، عام ١٥٤٧م ، وفيها رفضه لإقامة اتصال بالبصرة .

(صفحة رقم ١٨٠)

الوثيقة رقم : ٥١

بعث "د . مانويل دي ليما" رسالة إلى "د . جواو دي كاسترو" ، نائب الملك في الهند ، هرمز ، في يوم الثلاثين من شهر سبتمبر ، عام ١٥٤٧م ، وقد ذكر رفضه للاتصال بالبصرة . **(صفحة رقم ١٨٢)**

الوثيقة رقم : ٥٢

بعث "دوم ألفارو دي كاسترو" رسالة إلى نائب الملك ، في يوم الخامس من شهر أكتوبر ، عام ١٥٤٧م ، مبرراً رفضه الاتصال بالبصرة .

(صفحة رقم ١٨٤)

الوثيقة رقم : ٥٣

بعث "فيرناندو لويس دي أندراد" "Fernando Luis de Andrade" رسالة إلى الـ"دوم جواو دي كاسترو" ، هرمز ، في يوم الثّامن من شهر أكتوبر ، عام ١٥٤٧م ، مبرراً رفضه الاتصال بالبصرة .

(صفحة رقم ١٨٧)

الوثيقة رقم : ٥٤

رسالة إلى نائب الملك من "روي كونسالفس دي كامينها" "Rui Goncalves de Caminha" ، "غوا" ، في يوم الحادي عشر من شهر أكتوبر ، عام ١٥٤٧م . **(صفحة رقم ١٩٤)**

الوثيقة رقم : ٥٥

بعث "د . مانويل دي ليما" رسالة إلى الحاكم "د . جواو دي كاسترو" ، هرمز ، في يوم الثاني عشر من شهر أكتوبر ، عام ١٥٤٧م ، يشرح أفعال "خواجا بابو" في هرمز .

(صفحة رقم ١٩٦)

الوثيقة رقم : ٥٦

بعث ملك هرمز رسالة إلى الملك ، هرمز ، في يوم السّابع والعشرين من شهر أكتوبر ، عام ١٥٤٧م ، يشرح وضع المدعي "خواجا بابو" .

(صفحة رقم ١٩٨)

الوثيقة رقم : ٥٧

بعث "دومينجوز باربودو" ، رسالة إلى الحاكم ، من البصرة ، في يوم الخامس من شهر نوفمبر ، عام ١٥٤٧م ، ذاكراً كيف توصّل الأتراك إلى احتلال البصرة .

(صفحة رقم ٢٠١)

الوثيقة رقم : ٥٨

بعث "فاسكو دا كونها" "Vasco da Cunha" رسالة إلى نائب الملك ، "باسين" ، في يوم الحادي عشر من شهر نوفمبر ، عام ١٥٤٧م ، ذاكراً كيف توصّل الأتراك إلى احتلال البصرة .

(صفحة رقم ٢١١)

الوثيقة رقم : ٥٩

بعث "سيماو بوتلهو" ، كبير أمناء الماليّة ، رسالة إلى الملك "د . جواو الثالث" ، "باسين" ، في يوم الثّلاثين من شهر نوفمبر ، عام ١٥٤٧م ، ذاكراً كيف توصّل الأتراك إلى احتلال البصرة .

(صفحة رقم ٢١٤)

الوثيقة رقم : ٦٠

بعث "دوم مانويل دي ليما" رسالة إلى الحاكم ، هرمز ، في يوم الثّالث من شهر ديسمبر ، عام ١٥٤٧م ، يذكر فيها أن رجال "الشاه طهماسب" وعرب "الجزائر" قد هاجموا الأتراك .

(صفحة رقم ٢١٥)

الوثيقة رقم : ٦١

بعث "دوم بايو دي نورونها" "D . Bayo de Noronha" (قائد مسقط) رسالة إلى الحاكم ، مسقط ، في يوم الخامس من شهر ديسمبر ، عام ١٥٤٧م ، ويبين فيها عن التواصل بين عدن ومسقط .

(صفحة رقم ٢١٨)

الوثيقة رقم : ٦٢

جاء وصف الرحلات الفرنسية في المحيط الهندي في عهد "فرانسوا الأول" "Francois I" ، بقلم "ميشيل مولات" "Michel Mollat" ، وهي مادة تاريخية مهمة .

(صفحة رقم ٢٢١)

الوثيقة رقم : ٦٣

بعث "دوم مانويل دي ليما" رسالة إلى "دوم جواو دي كاستر و" ، هرمز ، في الخامس والعشرين من شهر يناير ، عام ١٥٤٨م ، يذكر فيها أموراً تتعلق بالأتراك وأمورهم في البصرة .

(صفحة رقم ٢٣٧)

الوثيقة رقم : ٦٤

بعث "نونو غونسالفيس دا كونها" "Nuno Goncalves da Cunha" رسالة إلى الحاكم "دوم جواو دي كاسترو" ، "قلهات" ، في التّاسع والعشرين من شهر يناير ، عام ١٥٤٨م ، بشأن الشيخ ربيّع كبير الوزراء في مملكة هرمز .

(صفحة رقم ٢٤١)

الوثيقة رقم : ٦٥

تم اتفاق بين الحاكم "دوم جواو دي كاسترو" وملك عدن ، "باسين" ، في الثّاني عشر من شهر فبراير ، عام ١٥٤٨م .

(صفحة رقم ٢٤٣)

الوثيقة رقم : ٦٦

بعث "دوم جواو دي كاسترو" رسالة من "باسين" ، في الثّاني عشر من شهر فبراير ، عام ١٥٤٨م ، بالاتفاق بين الحاكم وملك عدن .

(صفحة رقم ٢٤٨)

الوثيقة رقم : ٦٧

جاء تفويض بمنْح حقّ النّظر في القضايا والسّلطة القضائيّة إلى "دوم ألفارو دي كاسترو" ، على رجال الأسطول الذي يقوده إلى عدن ، "باسين" ، في الثّالث والعشرين من شهر فبراير ، عام ١٥٤٨م .

(صفحة رقم ٢٥٣)

الوثيقة رقم : ٦٨

بعث "دوم جواو دي كاسترو" رسالة من "باسين" ، بتاريخ الثّالث والعشرين من شهر فبراير ، عام ١٥٤٨م ، وفيها أمر بتفويض الوكلاء التجاريّين والموظّفين بالقلاع التي في الهند ؛ لتوفير موادّ ومؤن وأشياء أخرى ضروريّة لأسطول "دوم ألفارو دي كاسترو" ، للأسطول الذي برفقته إلى عدن بناءً على أوامر موقّعة من طرفِه .

(صفحة رقم ٢٥٦)

الوثيقة رقم : ٦٩

بعث "دوم جواو دي كاسترو" ، تفويضاً ليمكّن "دوم ألفارو دي كاسترو" ، بمنح تصاريح عبور آمن للهاربين من العدالة ، الذين يأتون للعمل في الأسطول المتقدم لعدن ، "باسين" ، في الثّالث والعشرين من شهر فبراير ، عام ١٥٤٨م .

(صفحة رقم ٢٥٩)

الوثيقة رقم : ٧٠

بعث "دوم جواو دي كاسترو" ، "باسين" ، في السّادس والعشرين من

شـــهر فـــبراير ، عـــام ١٥٤٨م ، رسالة وفيها أمْر تفويض بالسلطة لـ "دوم ألفارو دي كاسترو" لإرساء السّلام والصّداقة مع ملك عدن .

(صفحة رقم ٢٦١)

الوثيقة رقم : ٧١

تعليمات كتابيّة من "دوم جواو دي كاسترو" ، نائب الملك في الهند إلى "دوم ألفارو دي كاسترو" ، بشأن عدن ، "باسين" ، في السّادس والعشرين من شهر فبراير ، عام ١٥٤٨م .

(صفحة رقم ٢٦٣)

الوثيقة رقم : ٧٢

أصدر "دوم جواو دي كاسترو" ، رسائل من "باسين" ، في السّادس والعشرين من شهر فبراير ، عام ١٥٤٨م ، بشأن تفويض بالسلطة والصلاحيات لقائد عدن القادم .

(صفحة رقم ٢٧١)

الوثيقة رقم : ٧٣

صدرت تعليمات من "دوم جواو دي كاسترو" لـ "دوم ألفارو" لأجل رحلته إلى عدن ، تتضمّن ما عليه القيام به ، في تلك الرحلة ، التي بعثه على رأسها للاستيلاء على مدينة عدن ، "باسين" ، في السّادس والعشرين من شهر فبراير ، عام ١٥٤٨م .

(صفحة رقم ٢٧٣)

الوثيقة رقم : ٧٤

صدر تقرير من "دوم ألفارو دي كاسترو" ومرافقيه من السّادة ، التّاسع عشر من شهر مارس ، عام ١٥٤٨م ، عن الأوضاع في عدن .

(صفحة رقم ٢٨٢)

الوثيقة رقم : ٧٥

صدر تقرير من "دوم ألفارو دي كاسترو" ، جزر "كاناكاني" ، عدن ، في العشرين من شهر مارس ، عام ١٥٤٨م ، عن الأوضاع في عدن .

(صفحة رقم ٢٨٨)

الوثيقة رقم : ٧٦

صدرت تعليمات من "دوم أنطونيو دي نورونها" ، جزر "كاناكاني" ، عدن ، في العشرين من شهر مارس ، عام ١٥٤٨م ، للتصرف في عدن .

(صفحة رقم ٢٩١)

الوثيقة رقم : ٧٧

صدرت أوامر محلية لـ "أنطونيو دي أجويار" "Antonio de Aguiyar" ، جزر "كاناكاني" ، (عدن) ، في الثّالث والعشرين من شهر مارس ، عام ١٥٤٨م ، ليتخذها وهو في طريقه إلى عدن .

(صفحة رقم ٢٩٤)

الوثيقة رقم : ٧٨

صدرت أوامر محلية من "دوم ألفارو دي كاسترو" إلى "دوم جواو دي اتيدا" ، جزر "كاناكاني" ، في السّابع والعشرين من شهر مارس ، عام ١٥٤٨م ، للتوجه إلى عدن .

(صفحة رقم ٢٩٧)

الوثيقة رقم : ٧٩

صدر تقرير من "ألفارو دي كاسترو" إلى نائب الملك في الهند ، عن محاولة الاستيلاء على قلعة "قشن" ، في الخامس من شهر إبريل ، عام ١٥٤٨م .

(صفحة رقم ٣٠٠)

الوثيقة رقم : ٨٠

بعث "دوم جواو دي كاسترو" رسالة إلى ابنه ، "غوا" ، في الثّامن والعشرين من شهر إبريل ، عام ١٥٤٨م .

(صفحة رقم ٣٠٣)

الوثيقة رقم : ٨١

بعث "دوم جواو دي كاسترو" رسالة إلى ابنه ، "غوا" ، في الأوَّل من شهر مايو ، عام ١٥٤٨م ، بخصوص تحيته .

(صفحة رقم ٣٠٥)

الوثيقة رقم : ٨٢

بعث "دييجو دا سيلفيرا" "Diego da Silviera" رسالة إلى الحاكم ،

"كوتـشين" ، فـي الأوّل مـن شهر يوليو ، عام ١٥٤٨م ، بخصوص احتلال "قشن" .

(صفحة رقم ٣٠٨)

الوثيقة رقم : ٨٣

كتب "دوم ألفارو دي كاسترو" يومياته عن رحلته إلى عدن ، حاجز "غوا" ، في العاشر من شهر يوليو ، عام ١٥٤٨م .

(صفحة رقم ٣١٠)

الوثيقة رقم : ٨٤

بعث "سباستياو لوبيز لوباتو" رسالة إلى الحاكم ، هرمز ، في الثّامن عشر من شهر سبتمبر ، عام ١٥٤٨م ، فيها أخبار عن الأتراك في البصرة .

(صفحة رقم ٣١٦)

الوثيقة رقم : ٨٥

بعث "دوم جواو دي البوكيرك" "D . Joao de Albuquerque" ، أسقف "غوا" ، رسالة إلى "دوم جواو الثالث" ، "غوا" ، في الخامس من شهر نوفمبر ، عام ١٥٤٨م عن تواجد الأتراك في البصرة وعدن .

(صفحة رقم ٣٣٩)

الوثيقة رقم : ٨٦

صدر بيان عن الحملة البرتغاليّة في عام ١٥٤١م إلى البحر الأحمر .

(صفحة رقم ٣٤٢)

الوثيقة رقم : ٨٧

بعث "سيماو بوتيلهو" رسالة إلى الملك ، في الرابع والعشرين من شهر ديسمبر ، عام ١٥٤٨م ، وفيها تفصيل عن "كامباي" ميناء غجرات ، و"باسين" قاعدة الأتراك ، ومن ثم بخصوص ملك "كامباي" .

(صفحة رقم ٣٥٠)

الوثيقة رقم : ٨٨

أرسل "جاسبار دو كاسال" "Gaspar do Cassal" رسالة إلى الملك ، يحكي فيها بالتفصيل الأحوال في هرمز ، بتاريخ عام ١٥٤٨م .

(صفحة رقم ٣٧٩)

الوثيقة رقم : ٨٩

ورد وصف عن تصدير التوابل والأعشاب العطرية من الهند وأيضاً الأقمشة ذات التصاميم المطبوعة والأرز ، والتجارة في هرمز ، بتاريخ نهاية عام ١٥٤٨م .

(صفحة رقم ٣٨٣)

الوثيقة رقم : ٩٠

صدر تقرير عن إعداد أسطول برتغاليّ إلى عدن ، بتاريخ عام ١٥٤٨م .

(صفحة رقم ٤٠٠)

الوثيقة رقم : ٩١

جاءت أحداث مسقط والبصرة ، وكذلك أخبار عظيم التّرك الذي

بعث رسوله علي شلبي لأخذ خمس عشرة سفينة ذات مجاديف من البصرة إلى السّويس .

(صفحة رقم ٤٠٧)

الوثيقة رقم : ٩٢

وردت أحداث مهاجمة مدينة عدن ، بتاريخ عام ١٥٤٨م .

(صفحة رقم ٤١٨)

الوثيقة رقم : ٩٣

ورد ذكر أحداث الوصول إلى ساحل عدن ، بتاريخ عام ١٥٤٨م .

(صفحة رقم ٤٢٤)

هوامش المجلد الثامن

1- Arquivo Nacional da Torre do Tombo (TT), Lisboa, Biblioteca da Ajuda (BA), Lisboa, 51-VII-19 f 194.

2- TT, BA, 51-VII-19 f 184.

3- Arquivo Nacional da Torre do Tombo (ANTT), Lisboa, Elaine Sanceau, Cartas de Ormuz a D. Joao de. Castro, ff 86r-87r.

4- TT, BA, 51-VIII-46 f 104v.

5- TT, BA, 51-VII-19 f 329.

6- TT, Corpo Chronologico (CC), Parte I, Maco 79, Document No. 10.

7- TT, Colleccao de Sao Lourenco, vol. IV, f 494r, f 495r-v, f 496r-v.

8- TT, Colleccao de Sao Lourenco, vol. II, p. 141 [ff 73-74].

9- TT, Colleccao de Sao Lourenco, vol. II, p. 142 [ff 69 and 78v].

10- TT, Colleccao de Sao Lourenco, vol. III, ff 170-170v.

11- TT, Colleccao de Sao Lourenco, vol. III, ff 172-173v.

12- TT, Colleccao de Sao Lourenco, vol. III, ff 98-99v.

13- ANTT, Fragmentos, Caixa 4, Maco 1, Document No. 56.

14- TT, Colleccao de Sao Lourenco, vol. II, pp. 143-144 [ff 68 and 79v].

15- ANTT, Elaine Sanceau,Cartas Massivas No. 10 C.F.36 ff 91r-92v, Cartas de Ormuz a D. Joao de. Castro.

16- ANTT, Elaine Sanceau, Cartas de Ormuz a D. Joao de. Castro, fos 88r-92r.

17- ANTT, Elaine Sanceau, Cartas de Ormuz a D. Joao de. Castro, f 95r-v.

18- ANTT, Elaine Sanceau, Cartas de Ormuz a D. Joao de. Castro, ff 96r-98r.

19- ANTT, Elaine Sanceau, Cartas de Ormuz a D. Joao de. Castro, fo 98r-99v.

20- ANTT, Elaine Sanceau, Cartas de Ormuz a D. Joao de. Castro, f 100r-v.

21- ANTT, Elaine Sanceau, Cartas de Ormuz a D. Joao de. Castro, f 101r-v.

22- ANTT, Elaine Sanceau, Cartas de Ormuz a D. Joao de. Castro, fos 102r-106v.

23- ANTT, Elaine Sanceau, Cartas de Ormuz a D. Joao de. Castro, ff 107r-108v.

24- ANTT, Elaine Sanceau, Cartas de Ormuz a D. Joao de. Castro, fo 111-112.

25- ANTT, Elaine Sanceau, Cartas de Ormuz a D. Joao de. Castro, fo 113.

26- TT, Colleccao de Sao Lourenco, vol. II, ff 149r-v, 158v.

27- ANTT, Elaine Sanceau, Cartas de Ormuz a D. Joao de. Castro, ff 116r-120v.

28- TT, Colleccao de Sao Lourenco, vol. III, ff 180-181v.

29- TT, Colleccao de Sao Lourenco, vol. III, ff 185-186v.

30- TT, Colleccao de Sao Lourenco, vol. III, ff 176-177v.

31- TT, BA, 51-VIII-19 f 298.

32- ANTT, Elaine Sanceau, Cartas de Ormuz a D. Joao de. Castro, f 115r-v.

33- TT, BA, 51-VII-19 f 294.

34- ANTT, Elaine Sanceau, Cartas de Ormuz a D. Joao de. Castro, ff 114r-v.

35- TT, BA, 51-VII-19 f 295.

36- TT, BA, 51-VII-19 f 309.

37- TT, BA, 51-VII-19 f 321.

38- TT, BA, 51-VII-19 f 305.

39- TT, BA, 51-VII-19 f 304.

40- TT, BA, 51-VII-19 f 320.

41- TT, BA, 51-VII-19 ff 316-317.

42- TT, BA, 51-VII-19 f 308.

43- TT, BA, 51-VII-19 f 325.

44- TT, BA, 51-VII-19 f 326.

45- TT, BA, 51-VII-19 f 296.

46- ANTT, Elaine Sanceau, Cartas de Ormuz a D. Joao de. Castro, ff 121r-124r.

47- ANTT, Elaine Sanceau, Cartas de Ormuz a D. Joao de. Castro, f 135r-v.

48- TT, BA, 51-VII-19 f 307.

49- TT, BA, 51-VII-19 f 297.

50- TT, BA, 51-VII-19 f 319.

51- TT, Colleccao de Sao Lourenco, vol. IV, fl 360.

52- TT, BA, 51-VII-19 f 306.

53- TT, Colleccao de Sao Lourenco, vol. II, pp. 326-328.

54- TT, BA, 51-VII-19 f 318.

55- ANTT, Elaine Sanceau, Cartas de Ormuz a D. Joao de. Castro, f 130.

56- TT, CC, Parte I, Maco 79, Document No. 115.

57- ANTT, Elaine Sanceau, Cartas de Ormuz a D. Joao de. Castro, ff 131r-134v.

58- TT, BA, 51-VII-19 f 328.

59- TT, CC, Parte I, Maco 79, Document No. 134.

60- ANTT, Elaine Sanceau, Cartas de Ormuz a D. Joao de. Castro, f 139r-v.

61- ANTT, Elaine Sanceau, Cartas de Ormuz a D. Joao de. Castro, ff 125r-v.

62- Passages frncais dans 1'ocean Indien au temps de Francois Ier, Michel Mollat, Studia Revista No. 11, Jan 1963, pp. 239-250.

63- ANTT, Elaine Sanceau, Cartas de Ormuz a D. Joao de. Castro, ff 140r-141r.

64- ANTT, Elaine Sanceau, Cartas de Ormuz a D. Joao de. Castro, fo 142r.

65- TT, Colleccao de Sao Lourenco, vol. V, ff 11-13.

66- ANTT, Elaine Sanceau, Letter from Cartas D. Joao de. Castro, pp. 385-389.

67 - ANTT, Elaine Sanceau, Letter from Cartas D. Joao de. Castro, pp. 373-374.

68- ANTT, Elaine Sanceau, Letter from Cartas D. Joao de. Castro, pp. 371-372.

69- ANTT, Elaine Sanceau, Letter from Cartas D. Joao de. Castro, pp. 375-376,

- TT, Colleccao de Sao Lourenco, vol. V, f 27r-v.

70- ANTT, Elaine Sanceau, Letter from Cartas D. Joao de. Castro, p. 377.

71- TT, Colleccao de Sao Lourenco, vol. IV, fl 348-352.

72- ANTT, Elaine Sanceau, Letter from Cartas D. Joao de. Castro, pp. 390-391.

73- ANTT, Elaine Sanceau, Letter from Cartas D. Joao de. Castro, pp. 378-384,

- TT, Colleccao de Sao Lourenco, vol. IV, f 348.

74- TT, Colleccao de Sao Lourenco, vol. VI, ff 283r-284r.

75- TT, Colleccao de Sao Lourenco, vol. V, ff 46.

76- TT, Colleccao de Sao Lourenco, vol. V, ff 45r-v.

77- TT, Arquivo 1: Arquivo Portugues Oriental. Nova Goa, Imprensa Nacional. 1861 (fasc. 3. °, p. II); 1865 (fasc, 5.° p. I); 1876 (fasc, 6. °, suplementos), Fasc. 5, p. I, d. 95.

78- TT, Colleccao de Sao Lourenco, vol. V, f 15.

79- TT, Colleccao de Sao Lourenco, vol. IV, fl 276.

80- ANTT, Elaine Sanceau, Cartas de D. Joao de. Castro, pp. 394-395,

- TT, Colleccao de Sao Lourenco, vol. IV, f 387.

81- ANTT, Elaine Sanceau, Cartas de D. Joao de. Castro, pp. 396-397.

82- ANTT, Elaine Sanceau,Cartas Massivas No. 12 F. 97, Cartas de Diu a D. Joao de. Castro.

83- TT, Colleccao de Sao Lourenco, vol. IV, ff 143r-145v.

84- TT, Colleccao de Sao Lourenco, vol. IV, f 470r-471v, 473r-478r.

85- TT, *Documentacao*: Documentacao para a História das Missões do Padroado Português do Oriente. Coligida e anotada por António da Silva Rego, Lisboa, Agência-Geral das Colónias. volumes: I (1499-1522), 1947; II (1523-1543), 1949; III (1543-1547), 1950; IV (1548-1550), 1950; VI (1555-1558), 1951; VII (1559), 1952, vol. IV, pp. 113-114,

- TT, CC, Parte I, Maco 81, Document No. 78.

86- ANTT, Elaine Sanceau, Uma Narrativa da Expedicao Portuguesa de 1541 ao Mar Roxo , Studia Revista No. 9, January 1962, pp. 199-234.

87- TT, Corpo Chronologico (CC) 1500-1630. I/3/144, 1548-1630, Part 1st Maco 81 Document No. 125.

88- TT, Cartas dos Viso-reis, No. 127.

89- Livro que trata das cousas da India e do Japao, Adelino de almeida Calado, Universidade de Coimbra, 1957, pp. 55-56, 59, 65, 74, 117-120, 128-132.

90- Chronica do muyto alto e muyto poderoso rey destes reynos de Portugal dom Joao o III deste nome, Francisco de Andrade, 1540-1614, Part IV, Chapter 25, pp. 103-107.

91- Chronica do muyto alto e muyto poderoso rey destes reynos de Portugal dom Joao o III deste nome, Francisco de Andrade, 1540-1614, Part IV, Chapter 107, pp. 446-452.

92- Chronica do muyto alto e muyto poderoso rey destes reynos de Portugal dom Joao o III deste nome, Francisco de Andrade, 1540-1614, Part IV, Chapter 26, pp. 107-111.

93- Chronica do muyto alto e muyto poderoso rey destes reynos de Portugal dom Joao o III deste nome, Francisco de Andrade, 1540-1614, Part IV, Chapter 27, pp. 111-115.

ISBN 978-9948-721-96-3
9 789948 721963
www.alqasimipublications.com